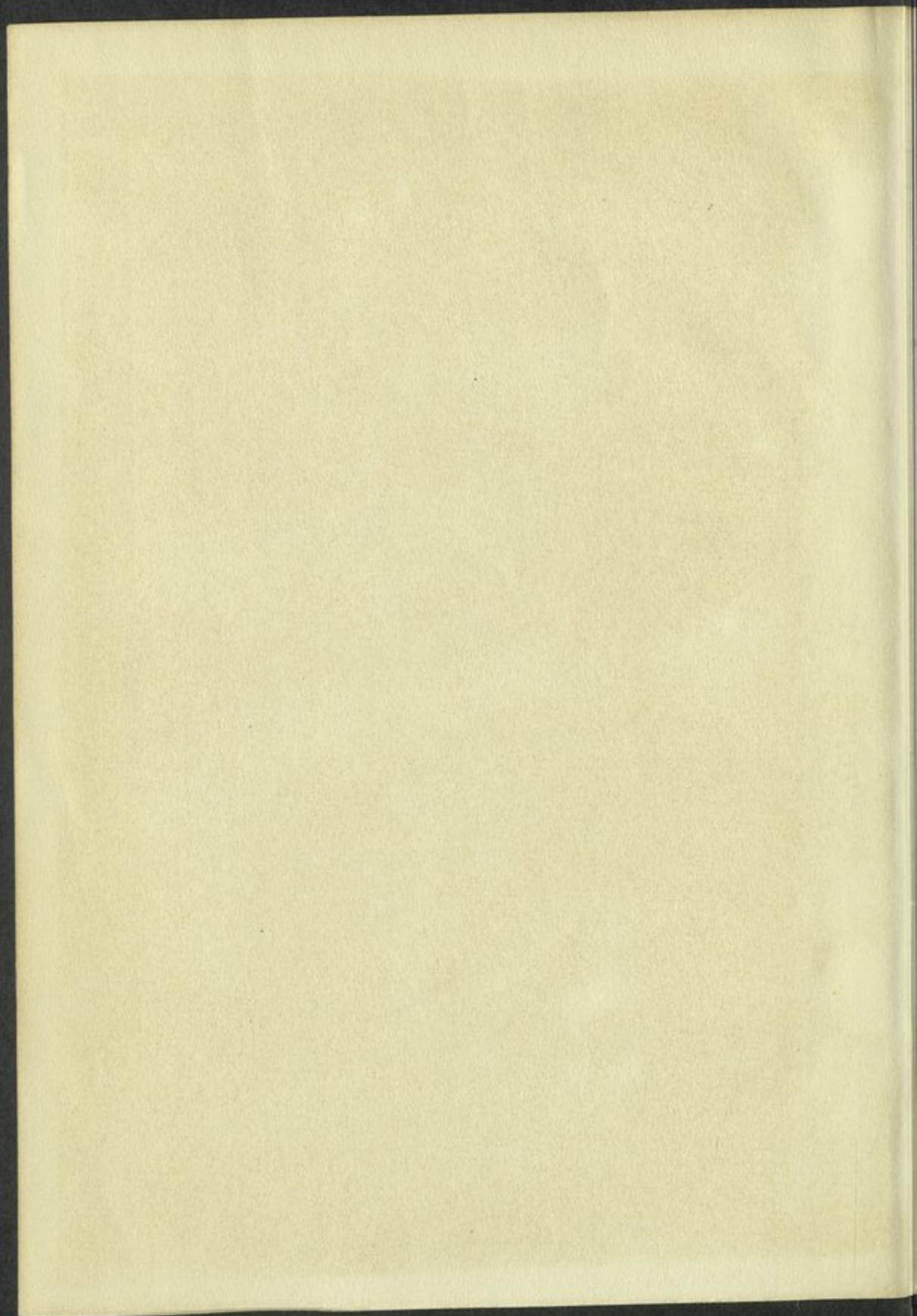
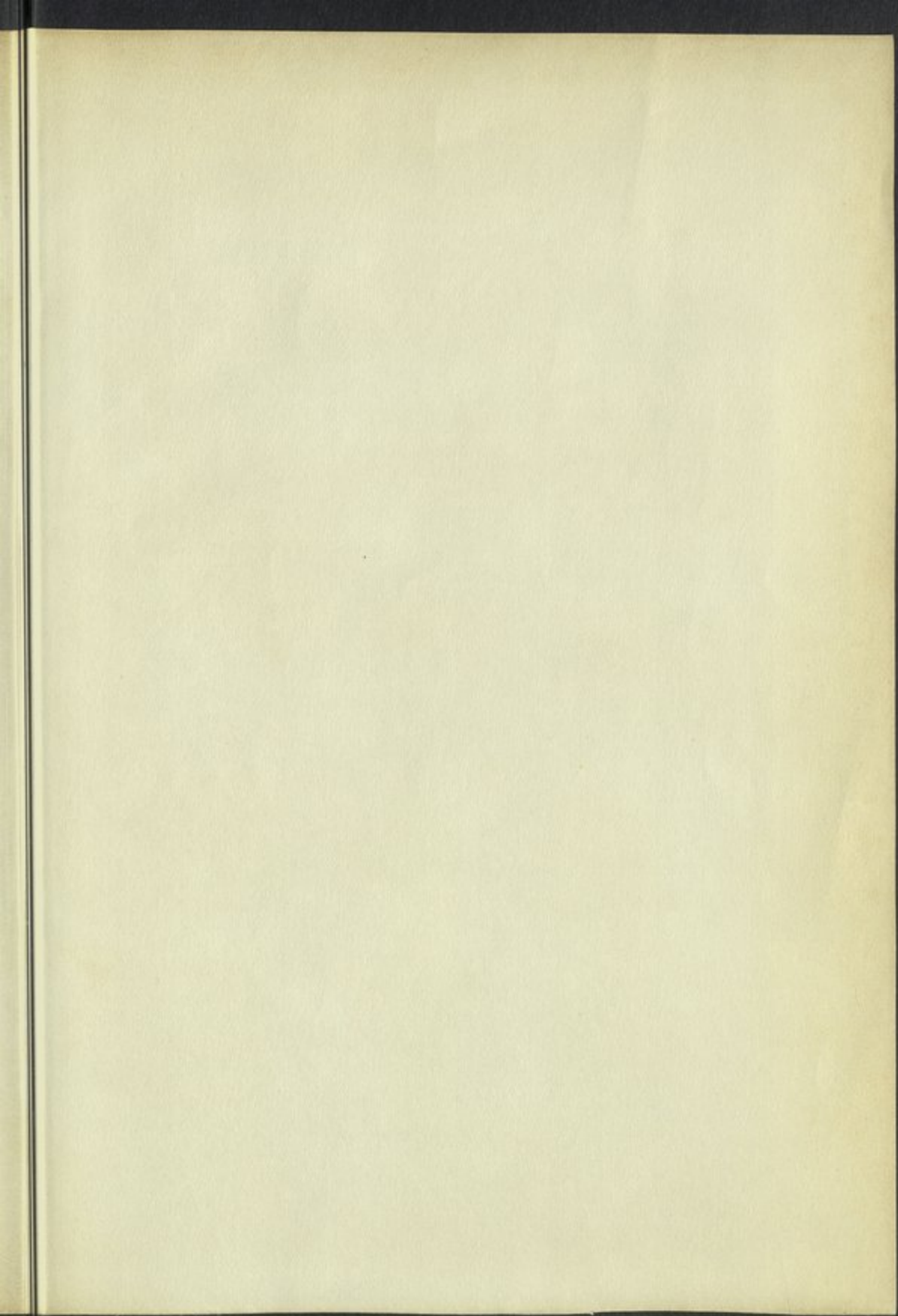
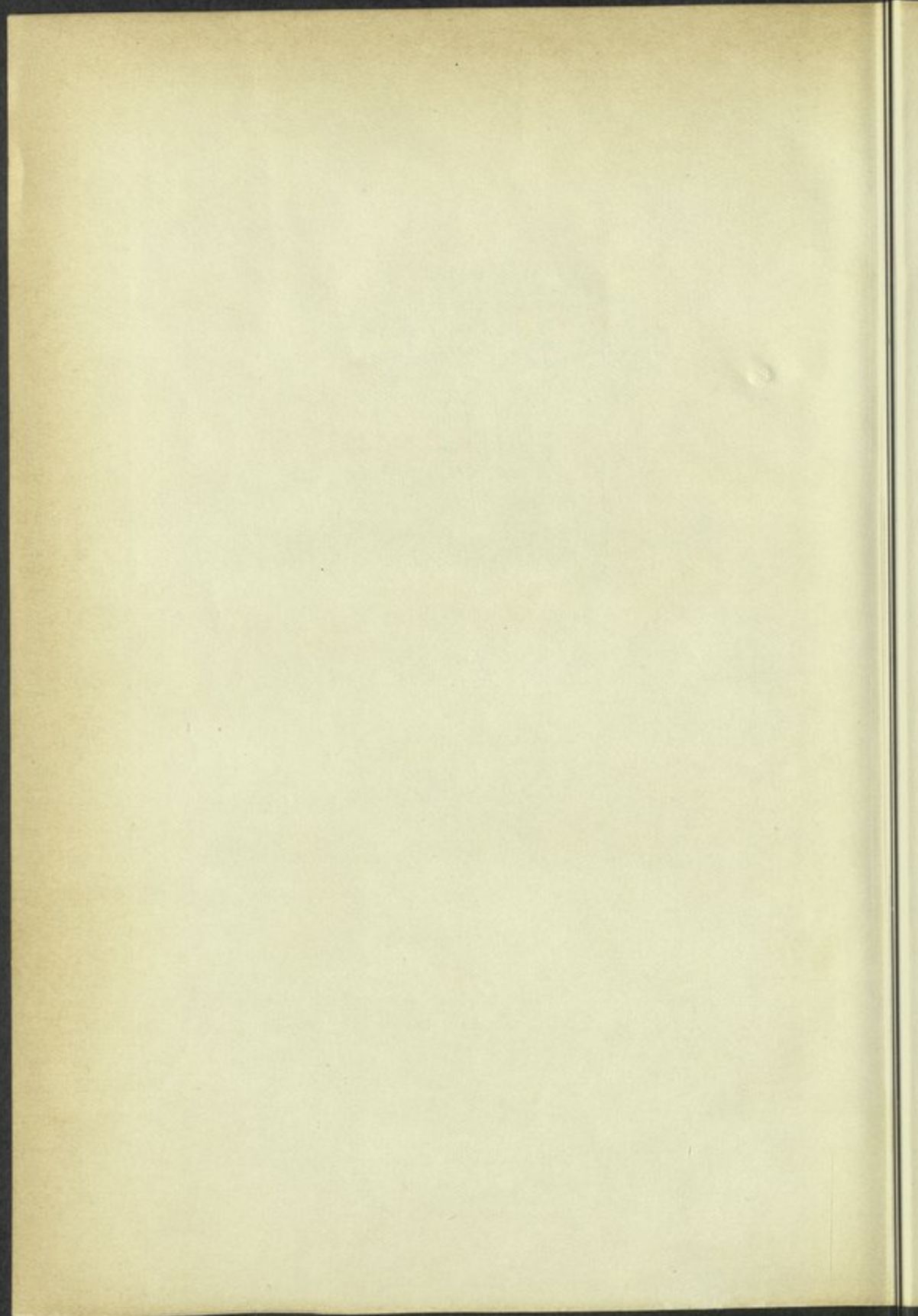
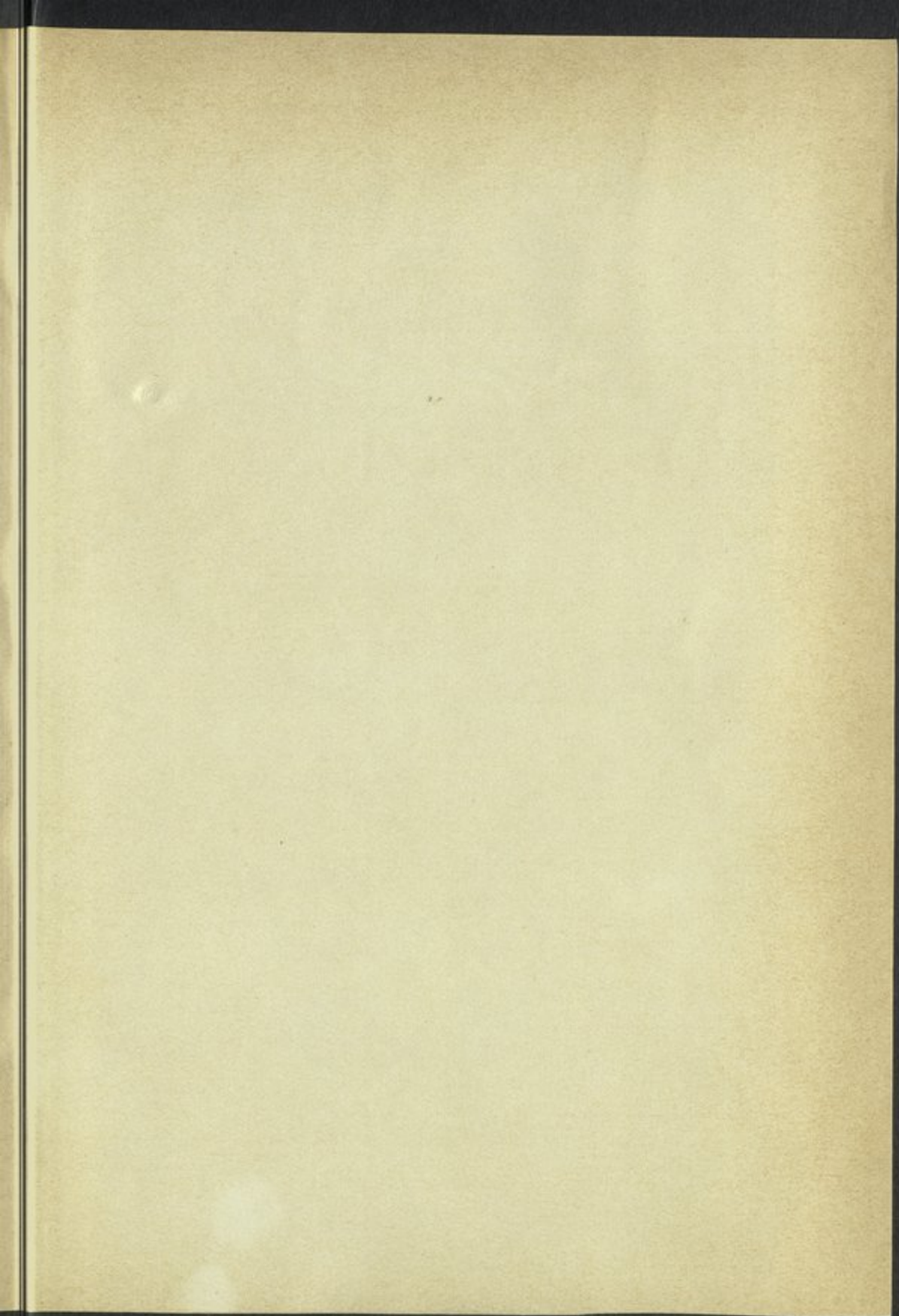


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT









دائرة المعارف الصوفية

297.04
M29m A

مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ

في الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة على ضوء نور الإسلام والائمان والاحسان

من تأليف

السيد محمود أبو الفيز المرصفي

كتاب المفتاح

دار العالم الإسلامي
١٨ شارع عبد الحى التوتوت - ٧١٨١٢ م. ب. ٣٠١٤ القاهرة



دار العهد الجديد للطباعة
كامل مصباح - ت : ٥٠٨٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هو الأول ولا شئ قبله والآخر ولا شئ بعده تفرد بالوحدانية ولا شريك له فى أبديته كما أن ليس له قبل فى أزليته ذلكم الله ربكم الذى أقام بها عليّة صفاته كيان الظواهر فكان لها بذاته هو الباطن . وبما كانت به البداية كان لصيرورتها هو الغاية حيث به قامت فكان القيوم وإليه صارت فكان الوجود الحق وما سواه معدوم ولذا قال عز من قائل : هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم .

والصلاة والسلام على العبد المحمود والرسول الشاهد والحبیب المشهود محمد المسكمل دون كل متصف ومعدود وأحمد الخلق والصفات وأطهر من أنجب للآباء والأمهات فلق الهدى وبجلى الحق من دامس الدجى الموصوف بالخلق العظيم والروح الكريم فيض النور ونموذج الجمال وجلال درة عقد الوجود وصاحب المقام المحمود والخوض المورود فما من علم للهدى وجد أو إمام متبع خلق أو منار للحق يقتدى به إلا وهو وصلته ونقطة صلته ومعقد غايته وفاتحة هدايته كيف لا وهو الباب لمن لا رب له ولا معبود سواه . قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .

اللهم فاغرق من مزن صلاتك الدافقة ولطيف سلامك الذى هو عين رحمتك واجعلهما صلاة وسلاماً دائمين متلازمين لا يحد من دوامهما كون ولا زمان ولا يصل إلى ذروة علاهما كم ولا مكان واجعلهما سارين سريان الأمر الذاتى فى الوجود الصفاتى والإبداع الإمكانى لتقويم العالم الفانى .

واجعل من ذلك كله كفلا عظيما لإخوانه الأنبياء والرسل الكرام وآله وأصحابه وسائر المهتدين بهديه والتابعين لسنته واجعل لى من ذلك عندك شهادة من شهد مخلصا (بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده وحيه ورسوله) ثم اقتدى بشرعه وتابع هداه .

فاعلم أحاطك الله بالطافه ولا أخلاك من رحمته وباعد بينك وبين معصيته أن الغرض المنشود لكل إنسان من هذا الوجود الذى نعيش فيه هو جلب السعادة ودفع الشقاوة والطريق إلى استنباط ما يؤدى إلى هذه السعادة وما يدفع الشقاوة هو الدين القويم والعقل السليم والدين والعقل لا يتناقضان ثم هما يستحكمان بالعلم وسبيل ذلك الفقه فى كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما مضاهما إلى ذلك النظر فى خلق الله وكريم صنعته وتكون الحكمة المستمدة من هذه الغاية هى الثمرة الحلوة والنتيجة المتاحة لأولى الألباب وبالحكمة بعد العلم تتحقق المعرفة .

ثم النظر فى خلق السموات والأرض بالفسكر والقلب والمعرفة الحققة تجلب بالنظر السليم واستنباط النظر السليم لا يتم إلا بالتفكير والتذكر وذلك موضعه العقل ثم القلب ثم الروح - وهذا موجب للعبارة وتحذر من التهاكة ومؤد لاستقامة الطبع وذلك معنى التقوى . ولا تتم الاستقامة ولا كمال المعرفة إلا بالاستقامة والاستقامة لمواطن الحق وموضع الخير وأبى القيم فإذا صح النظر واستقام المنهج رشد الإنسان فى فهم الحقائق وتبصر فى العواقب واتضح له الفارق بين الحق والباطل وذلك مقصود رب العالمين من ذكر الصراط المستقيم وهو كالخط المفروض بين واديين من تفریط وإفراط يؤدى إلى واحدة من نتيجتين إما الهدى وإما الضلال ونهاية من نهايتين إما الشهود شهود وجه الحق فى جنات النعيم وإما السقوط الأبدى فى وادى الجحيم والنعيم فى أعلى عليين والجحيم فى أسفل سافلين فليفهم من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وذلك منوط بصواب الرأى أو خطئه واستقامة مسلك النفس أو اعوجاجه فاستقامة الرأى تحصل بالنظر العقلى السليم وأما مسلك

النفس فبالنوجيه والمجاهدة وهذا النوجيه يحصل بالشرع علما وعملا وحالا وهو طريق يؤدى بصاحبه إلى حقيقة الإسلام ثم حقيقة الإيمان ثم حقيقة الإحسان وبعبارة أوضح إلى تذوق الشريعة وتفهم الطريقة ومشاهدة الحقيقة ولما كان هذا الأمر من الخطورة بمقدار عظيم لأنه السبيل القاصد إلى الحق والصراط المستقيم المذكور في أم الكتاب والطريق الاوحد إلى رحاب الحقيقة وأعتاب الحضرة ومجلى الشهود استخرت الله في وضع كتاب يكون كالمرجع الجامع للمناهج الثلاثة (الشريعة والطريقة والحقيقة) على قاعدة أن لا مدخل للطريقة إلا من باب الشريعة ولا وصول للحقيقة إلا بالسلوك في مقامات الطريقة كما لا ينمو إيمان دون اسلام ولا تنبت شجرة الإحسان الا عن بذرة من صادق الايمان ، وقسمت ذلك المنهج الى أربعة كتب كتاب المفاح وكتاب الشريعة ثم كتاب الطريقة وكتاب الحقيقة وجعلته كدائرة معارف للتصوف بقدر الامكان بعد أن مهدت له بثلاثة كتب : (كتاب المدخل الى التصوف الاسلامي . وكتاب بداية الطريق الى مناهج التحقيق وكتاب جرة الاولياء وأعلام أهل التصوف) وعلى مثل هذا النمط نذكرن قد قسمنا منهجنا هذا إلى سبعة كتب وسمينا الكتاب الجامع لكل ذلك (معالم الطريق الى الله) في الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة هي . وقد مهدنا له بمدخل يكون بمثابة المجاز إلى فهم علوم أهل التصوف وزيلناه بمسطلحاتهم وهذه الكتب مجتمعة تعتبر كالمسلك الواحد والمنهج الموصل الى حقيقة العلم الذي كان تأليفنا بصدده (والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل) وها قد أن أن نشرع في كتاب (المفتاح) (١).

والله أسأل أن يوفقنا وإياكم الى ما فيه صلاح أنفسنا وحسن خواتمنا فهو الموفق لعظام الامور وجلال الاعمال .

(١) ونعني بكتاب المفتاح . نقل المعلوم إلى طبقة ما وراء الحس والعقل وهو عالم الوجدان والبصيرة اللائق بالتصوف الذي نحن بصدده والذي يجب أن منطقته يشتمل على كفايات الحس والعقل والبصيرة جميعا

كفايات المعرفة الصحيحة

إعلم عليك الله من علمه الممكنون أن الحقائق نسبية ومطلقة . وعرفان الحقائق النسبية يكون بكفايتي الحس والعقل ولكل منهما منطقة المعلوم . وعرفان الحقيقة المطلقة أو حقيقة الحقائق لا يكون إلا بصير القلب أو الذوق الفطري أو قل بالبصيرة وذلك المنهج الآخر - منطقة الروحي . وتلك الإدراكات أو الكفايات كلها مجتمعة فطريا في الانسان وهي من أخص خصائصه (الإدراك الحسي والإدراك الفكري أو الشعور أو الإدراك الوجداني أو الروحي المنعكس على القلب الإنساني من النور الإلهي) .

وتصل كل كفاية من هذه الكفايات بناحية نسبية من الحقائق والعلل الوجودية . وفي تضافها وتكاملها على النظر (النظر الصحيح في خلق السموات والأرض وفي النفس) منهج مؤد - على قدر الطاقة - إلى عرفان الحقيقة المطلقة وبعبارة أخرى ، الذات الكلي الأعظم ، أو حقيقة الحقائق ويحصل العلم ، الكوني بالإدراك الحسي والنظر العقلي طبعاً أو ، الفلسفة ، وذلك بالمنطق العقلي على أن يكون سليماً ومسقيماً .

وتحصل المعرفة الإلهية بالذوق القلبي الصوفي الناتج عن الصفاء الذائق مضافاً إليه نتائج العقل والحس بالإلهام الرباني والكشف الإلهي وبواسطة السلوك على يد مرشد كامل يحصل الفتح ومجال ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، وموضوع بحث اليقين ذات الله وصفاته وأسمائه تعالى وقلنا ، إن انتهاج المنهج السليم للتفكير هو النظر في الكائنات الوجودية ، الظاهرة المرئية والباطنة المعقولة وفي الحقائق الروحية الإلهامية تكون كل هذه الكفايات مجتمعة فيفضي ذلك إلى المعرفة الكاملة . وهذا يتم بثلاث وسائل من ضروب النظر .

الوسيلة الأولى : النظر الطبيعي الواقعي وأدواته الحس ومجالاته وظواهر الكائنات المحسوسة وخصائصها ونتائجها المعقولة ومنطق ذلك المنهج الحسي وموازنته المدركات الحسية بمنطقها الحسي ولا مجال لذلك المنهج فيما وراء ذلك من معقولات عدا تأييد نتائج الحسية وتنظيم قضايها بضروب من منطق العقل .

الوسيلة الثانية : النظر العقلي المحض ومجالاته المدركات الذهنية الفكرية التي لا مجال للحس فيها إلا أن يسترشد بمنطق العقل على صحة نتائج قضايها العلمية التي تهيم الإنسان لادراك صحة نتائج الحس بما وراء الحس من مدارك معقولة ومسببات ظاهرة موصولة بأسبابها غير المنظورة .

الوسيلة الثالثة : هي النظر الروحي البصيري ومجالاته المعاني الغيبية أو الحقائق الإلهية الذوقية وتلك مشاهد غيبية مما فوق متناول الحس والعقل والفعل معاً في مقابل المشاهد الحسية والعقلية . وما وظيفة الادراك العقلي إلا أن يكون صلة متوسطة بينهما ، الروح والجسم أو الكائنات الوجودية وحقائقها العلمية المعقولة .

وملخص القول : إن النظر الحسي يختص بظواهر هذه الكائنات الإمكانية ووجودها المشهود لحواسنا وجود اعتباري لأنها (الأشياء السكونية) مجرد ظاهرات لحقائق مغيبية تدرك ولا تحس هي أسبابها وعلة وجودها . والنظر العقلي من أخص خصائصه ربط العلاقات الوجودية بين ما هو منظور ومدرك بالحس وما هو غير منظور يدركه العقل ، وأما النظر الروحي البصيري فهو معيار سائر ما يسمو على مدركات الحس والعقل معاً من سائر الحقائق الوجودية وله مع ذلك منطق الخاص به وقد يستخدم النظر الروحي البصيري منطق الحس والعقل لإبراز قضايها الغيبية من طريق التشبيه والتمثيل (سنربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

وما اختلاف الناس في مباحثهم - علمهم وجاهلهم - إلا تابع لاختلاف وجهات النظر ، وبعبارة أخرى إن ذلك ناشئ من اختلاف الوسائل والمقاييس المنطقية في إدراك الحقائق ، والمثال الذى يوضح ذلك ، أنك إذا شاهدت زهرة من زهرات الورد مثلا فيها لون وعبير وجمال ثم ذهبت بجميع وسائل النظر وما عرضنا عليك من جميع كفايات المعرفة وموازينها - واحدة أثر واحدة - (الحس والعقل والبصيرة) فالعين وهى أقوى الحواس وأشدّها تحصيلًا للمحسّات لا تعطيك من خصائص هذه الزهرة إلا مجرد لونها ، واللون لا يكفى أن يقوم حكما على عموم حقيقة لأن علامة الخطر أيضا حمراء وهى تتفق فى اللون مع الزهرة إذا كانت حمراء وكذلك لون النار ، فإذا ذهبت تستخرج من تلك المعانى وهى معانى متناقضة ، حقيقة زهرة الورد بعدت كثيرا عن الصواب لاشتراك الجميع فى مجرد اللون ، وكذلك الشم وهو فى المرتبة الثانية بالنسبة للنظر لا يعطيك من تلك الزهرة سوى عبيرها ، فإن كان صاحب هذه الحاجة مزكوما لم يشعر بذلك العبير وهو يعبق فى الجو من حوله ، فإن كان سليم الشم أحس العبير ولكنه يحتاج إلى استعمال التصوير العقلى والذوق الوجدانى فى تحليل ذلك العبير وفى سبب انبعائه وسبب الارتياح انشائه عن الشعور به .

وإذا عللت حقيقة الزهرة بمجرد النظر العقلى لا تبصر فيها إلا نبتة مسيبة عن بذرة استمدت تكوينها من أسباب طبيعية كالماء والتربة والشمس والهواء حتى نمت فأزهرت . ولا ينظر المنطق العقلى فيما وراء ذلك من أسباب روحية أو جمالية إلا أن يستعين الإنسان بالنظر الوجدانى البصيرى . وهنا ما يشعر بالوجدان - وهو نتيجة الشعور الذوقى المنبعث عن نور البصيرة - أطيافا معنوية عبقرية مجتمعة من الجمال والأريج واللفظ والإبداع فى الصنع مما يجعل الروح فرحة نشيطة متسامية بنوع من التسامى العلوى وهنا يدع الإنسان العقل والحواس فى ذهول محايّد حادث عن قصور ذاتى فى الإدراكين الحسى والعقلى لانتهاؤ وظيفتهما عند هذا المدى وتبقى الشاعرية - شاعرية الوجدان والبصيرة وحدهما .

ثم انتقل معنا لفحص بالنظر آلة موسيقية مثلا فلا يرى الحس المجرد فيها سوى كم منتظم وجرم محدود ذى طول وعرض وعمق . ثم اعرضها على العقل فلا يرى العقل فيها غير أن تلك الأدلة تدل في صنعها على تفكير وهندسة وابتراع معقول أريد به مجرد أن تكون لعبة أو ملهاة . ثم سل الوجدان والروح والبصيرة والقلب والعاطفة سل أولئك - وقد انتهت وظيفة الحس والعقل - عند هذا الحد فكيف تلك الآلة . فيجيبك الجميع بأنها عبارة عن جامد ناطق وصامت متكلم وأداة من الأرض تبعث سائر بواعث السماء في الروح والقلب كالخير والجمال والحق إذا تسامت ففكرة السامع بها . وقد يحل السماع ويحرم بحسب قصد السامع وغايته .

وتعلم من هذا البيان أن الحواس لا ندرك العلل المسيطرة على عالم الحس أو المكونة له إلا بنور العقل ، فهو المصحح ، وأن العقل لا يتسامى في نظرته للوجود إلا بمعاونة الذوق البصير ، وهو اللب ، الموصوف بقوله تعالى وما يتذكر إلا أولو الألباب .

وقلنا في كتاب الوجود : إن العقل لا يؤيد الحواس إلا إذا استقامت في أحكامها ولا يستقيم العقل في أحكامه إلا إذا قومه القلب أو اللب فأنتد يكون نعم المرشد والموجه للإنسان . . ونأهيك بمنطق يؤسسه حس صحيح وعقل راجح وقلب بصير وانظر بصرك الله تعالى في قوله عز وجل : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ثم انتقل من تلك الأبعاد الطبيعية بأسرها وقل لي بربك ماذا يريك فيها منطق الحس سوى كفيات وكميات وهيئات وظروف مكانية وأنات زمانية محدودة المسافات محصورة الأبعاد منتظمة التراكيب ذات أسباب ونتائج لا تزيد عن أنها مجرد ظاهرات لا يعلم الحس مارواها من علل وما درت الحوادث التي ترى أشياء مجسمة جامدة أو سائلة أو غازية

متبخرة أن كل ما ترى الحواس وتسمع وتشم وتذوق وتلمس : إن كل ذلك إلا مجرد إشعاعات نورانية تجسمت أطياها بقوى الدفع والجذب والبطء والسرعة لا تدرك الحواس مداها ولا تبصر ألوانها . لأنها مجرد طاقة لإشعاعات كونية خفية غير محسة ولا مرئية .

ثم أعرض شيئية الأشياء على عين العقل فيدرك أن وراء تلك الكائنات المرئية عللا وأسبابا من القوة والحركة والسرعة غير مرئية وأن لها قوانين تنظمها وأسرارا وراء القوانين تزنها وتقدرها ولكنها جميعها لا تحس ولا تنظر وإن كانت تدرك بالعقل وإلى هنا ينهي مجال العقل ويتحدد مدى ما يؤديه من نظر ومنطق عقلي وليس له فيما فوق ذلك من مجال لأن العقل بتصحيحه لأخطاء مدركات الحواس التي كانت تغشى منطقها الخاص يتحرر من حجابها وكذلك العقل أن أمدته البصيرة باع منتهى مدركاته العقلية وكانت مدركاته العقلية مستقيمة أنضى به المنطق العالى إلى ميدان البصيرة فيستشرف إليها التذوق من أضوائها وبذاتهم أن الإدراك الحسى إذا لم يستقم في نظره للوجود قد يكون حجابا بالنسبة للعقل والعقل إذا لم يسلم نظره العقلي من التحيز والهوى قد يكون حجابا لنور البصيرة وإذا تضافر الإدراك الحسى والإدراك العقلي والذوق البصرى متضامنين في ميدان النظر المطلق أدركوا أضواء الحقيقة مشرقة وأصلوا بعالم الإلهام الذى هو درجة كائنة تحت الوحى وفوق العقل فالعلم يجرب والفلسفة تستنتج أو تستقرى والعرفان القلبي يعين فيحقق وعلى ضوء هذا التفصيل استعرض هذا الوجود السكونى الذى تعيش فيه مستعينا علاوة على الإدراك الحسى والعقلي بمقياس للذوق والوجدان ونظر البصيرة جميعا ترى كونا بديعا ونظاما موجبا وجبالا منتشرا ومعانى متناغمة وفكرا متداعية المدارك ومقاربة المعانى متجاوبة الأجواء متساندة الحقائق . بحيث أنك لو دقت النظر البصرى السليم تخرج حتما من هذا الاستعراض الشيق البديع قنلا مع الشاعر العبقري :

تأمل سطور الكائنات فانها من المسال الآعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو فقهت حروفها ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وبعد فأنل معي أيها الصفي الحبيب قول ربنا السميع العليم في مفتتح كتابه الكريم ، ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

وتعطينا هذه الآية الجليلة الحكيمة جملة معان منها :

١ - أن المصدق بالله مصدق بكتابه . وحقيقة القرآن وسائر الكتب الإلهية حقيقة غيبية في أصلها وإن كانت مقرؤه مفهومة في مظهرها ومعانيها ومدلولاتها .

٢ - أن حقيقة ذات الله حقيقة غيبية تتعالى عن الحواس رؤيتها ويسمو عن المدارك العقلية إدراك كنهها وإن هي إلا كما يقول الصديق الأعظم ، أبو بكر : العجز عن درك ذات السر إدراك : والبحث عن سر ذات الله إشراك وفي المنطق السليم أن العقل لو دخل ذلك المجال ، مجال البحث عن كنه ذات الله ، لدار حول نفسه في حلقة مفرغة كما يقول المنطقيون ، و هي نظرية الدور والتسلل ، ، وذلك لأن المنطق الفلسفي الصحيح إذا وصل لدراسة ما فوق الطبيعة يتطلب دائما سببا أول وعلة أولى لا تتخلى السببية في الوجود لأنها السبب الأول الذي لا سبب وراءه .

وإلا تتطلب العقل للعلة علة والسبب سببا وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية ومن قوانين المنطق العقلي أن يجعل هدفه دائما أيضا ، الغاية لوجودية المتوحدة التي ليس بعدها غاية ، الغاية في الوجود ، ، وإلا طلب أيضا للغاية غاية فيقع مرة ثانية في الدور والتسلل وهكذا . . . والمنطق العقلي لا يسلم أيضا بآية كيفية بامكان القول ، بأن يحيط بالكل ، وأنت ياطالب الحق على قدم الإخلاص والصدق وقد علمت أن الحس والعقل بمعاييرهما المعلومة - يعجزان

معا عن كنه سر الكائنات الشيثية الامكانية ولا يعلنان عن ذلك السر إلا مجرد الظواهر المحسنة « بعين الحس » وبعض القوانين والعلل المعقولة « بعين الحق »

فاذا كان الامر في الطبيعة هكذا فما بالك بذات واجب الوجود وخالق الكائنات سبحانه وتعالى وهو المبدع والمثبث لشيئية الاشياء والمعلل لعلها والمرتب لمحسناتها ومعقولاتها والواضع لأسبابها وتناججها والمنظم لظواهرها وقوانينها وهو سببها الواحد وغالقتها الأوحد ذلك كل تجليا وإبداعا بصدورها عن نشاط أفعاله المنبعث عن نشاط صفاته القائمة بمحض وجود ذاته فإذا تملت أفعال الله الوجودية تجد تجاوبا تاما بين تلك المعاني والحقائق من حسية وعقلية وبين كفايات سائر الناس من النظائر والمفسرين الناظرين بالحس أو بالعقل أو بالقلب سواء في النتائج العلمية التي يستخلصها الباحث من التجربة الموضوعية أو بالمنطق العقلي أو بالذوق الوجداني المتجاوب أيضا مع هذه الحقائق كما يوجد في الفنون والقيم وكما يكون للبصيرة في استخلاص العبرة القلبية من أحوال الكائنات بمنطقها السامي كل ذلك يشهد تجليا باقتدار مبدع الوجود وكال حكمته في تنظيم الكائنات وإحكام أوضاعها ولذا كان السير العرفاني أو قل المنهج الذوقي عند أهل المعرفة القلبية العليا للوصول إلى التعرف السكامل متدرجا في النظر بين عالم الموضوع الحسي إلى عالم الإدراك العقلي ثم الوجدان البصيري ثم البقن الذاتي وملك المنطقة منطقة التصوف العالي أو المعرفة بالقلب لإدراك الوجود الحق وذلك هو الوجود الوجودي الأزلي المطلق المنزه شأنه عن الزمان والمكان والحلول والاتحاد والاتصال والانفصال وهذا بخلاف الوجود الامكاني الذي يستوى فيه طرفا الوجودية والعدمية لأنه موضع الصيرورة والتحول والجهات والاحياز وما قدمناه هو المعتقد الواجب على كل من يسمى عارفا بالله أو مؤمنا أو مسلما حقا أن ينزه اعتقاده عن كل مالا يليق بكمال الله وتنزيهه وبذا يكون كل ماسوى الله من شيء مخلوقا حائلا وظلا زائلا وهذا هو الحق الذي لا شك يعتوره قط .

أما وقد تهدبنا معا للصواب فاعلم : أن عالمي الامكانيات الحسية والعقلية هو فيض قدرة الله الموجود المطلق على التحقيق وهو الكائن الذي امتد كل كائن بطريق الإعارة وجوده من وجوده وإبداعه ونشاط صفاته وكانت حياة كل ما سواه من حياته القديمة الأزلية . مع أنه في الوقت نفسه هو الموجود العلي الأزلي المنزه عن كل موجود وإن كان السكل منبعث من نشاط صفاته — خلقا وإبداعا كله وجود إمكاني حادث عدا وجود الحق جل وعلا .

والفرق بين الوجود الوجودي والوجود الامكاني : أن الوجود الوجودي الإلهي : هو الوجود السببي الأول الثابت الذي لا يتصور وجود غيره إلا به وفي مقابلة الوجود الإمكاني : وهو الوجود المحدث بعد إن لم يكن ظاهرا للبيان ويستوى فيه طرفا الوجود والعدم وهو يستمد في كل لحظة وجوده من الوجود الأول وليس وجوده في نفسه أرجح من عده إلا بالمؤثر الذي يمد به بالوجود وهو الله يمد ويرجع الوجود الامكاني بالنتيجة في حقيقة وجوده إلى الوجود الأول ولا يكون سببا قط لوجود نفسه ولا لوجود غيره .

وقد تيقنت الآن ورائدنا معا الحق الصراح بعلم اليقين إن لم يكن بعينه أو بحقه أن لا مجال لحواسنا المحدودة وعقولنا القاصرة في التحليق إلى تلك الأجواء الإلهية المتسامية والمعرفة الحقة إلا بالله نفسه وبهدايته (ما شهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) ولكن (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) والآن وقد عجز معلوم حواسك وعقلك عجزا كاملا عن تعليل حقائق الكائنات الامكانية وعلمنا تعذرا صريحا كاملا من جهة أصولها الخفائية الغيبية كالقوة والاشع والكهرباء والمغناطيس والآثير والطاقة الخفية عموما . فاعلم أن العجز في البحث حول ذات الله عن المساهية ولكنه أولى بأن يعجزك مثل ذلك المنهج اللهم إلا أن تعرف

إليه بمحض نور القلب والبصيرة أو قل بهداية الله نفسه . وإذن فلا معدى لك أيها الحبيب الطالب المحض الحق عن اتخاذ وسائل أخزى علاوة على الحس والعقل كويلة الذوق والوجدان وعين القلب ومنطق البصيرة . ويكون ذلك زائداً على محمول كفايتك الحسية والعقلية وذلك ما نسميه علم الحقائق العليا وبسميه الناس علم التصوف وهو جدير يهديك إلى مطلوبك على شرط أساسى واحد هو الإيمان بالغيب ، إذا أردت التحقيق في أجواء الحقائق الهية والاستشراف لفهم تلك المعارف الربانية . واعلم بأن طالب الحق لذاته لا يخرج عن أن يكون أحد رجلين

١ - رجل آمن بالحق في سبيل أن يعرفه ويتمكن من اليقين وإن الإدراك الغيبي الإلهي ليس معياره الحس أو العقل أو هما معاً إنما معياره الحقيقي نور القلب وذوق البصيرة به علما وحالا وشهوداً . فذلك رجل مقبول وباب الله له مفتوح ولا بد أن يصل إلى غايته وينال من مسالك الإيمان واليقين بغيته ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

٢ - ورجل آخر أراد أن يتوقف عن قبول الحق حتى يراه بعين الحس أو على أكبر تقدير بعين العقل فهو مقطوع للأسباب التي ذكرناها لك وهو مخدوع مدفوع وقد أخطأ طريق البحث ومعياره . لأن لكل شيء وسيلة من جنسه ومقياساً يتناسب مع حقيقته .

ومعنى كل ذلك أن تقيس الأبعاد بالمترو والجوهر بالقيراط والحبوب بالكيل والشعر بالعروض والمعولات بالمنطق العقلى

لكل شيء طريق من يحاوله من غيره طاب مسعاؤه وأخطأه

لذلك فإن الحقائق الغيبية والمعاني الإلهية . لا يشر غورها ولا تدخل إلى أعماقها إلا بمقياس من الذوق ومصباح من نور القلب وهدى اليقين ويصحبك دليل أمين من عقل مستقيم في أحكامه وبصيرة لماهيتي للنور

ومرشد قد خبر مقادر الطريق ثم عاد ليهدي الناس اليه . . ويقول الله تعالى « وأنوا البيوت من أبوابها ، ويقول سبحانه وتعالى « ولا تبخسوا أشياءهم ، ويقول عز وجل « وزنوا بالقسطاس المستقيم ، أى المهيأ للتناسب مع الوزن وذلك معنى استقامته .

فانظريا أخرى رعاك الله بعين العناية وحباك بهدى المعرفة ووقاك حجاب الغفلة . . أنظر إلى نفسك . أى الرجلين تريد أن تكون ؟ .

فإذا تقيدت بأن لا ترى الحقائق إلا تحت حجاب الحس وبمنظار الحواس فاقعد مع القاعدين وتخلف مع المتخلين . أو فكن على قول الشاعر الحكيم .

دع المكارم لا ترحل لبعيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وأن إغراق البريق المجرد للفكر أو استهواك منطق العقل فسل الفلسفة اليونانية القديمة التى تبدأ « بطاليس ، وتوسط « بأفلاطون ، و « أرسطوطاليس ، وتنتهى بمجددة فى الأفلاطونية الحديثة على يد « فيلون ، و « أفلوطين ، أو سل فلسفة العصور الوسطى - فلسفة الحدس والتخمين أو سل إن شئت الفلسفة الحديثة التى بدأت « بديكارت ، وتوسطت بـ « كانت ، وانتهت بالمشائيم « شوبنهاور ، والمجنون « نيفتشة ، أقول سل كل أولئك من أول عصور الفلسفة إلى يومك الحاضر - مذاهب ومدارس - ينبئك الجميع بأن أكثر محصول العقول ضلال .

وسل أيضا العلم التجريبي الموضوعى ، هل اكتشف بوسائله الخاصة القديمة والمحدثة جميع حقائق عالم الطبيعة الكامنة وراء الأشياء الظاهرة الواقعة وقوانينها تلك التى هى موضوع بحثه ؟ أم أنه كلما أراد أن يطمئن إلى متانة أسلوبه فى الحكم انبهجس عليه تيار يروعه من الحقائق الخفائية الغيبية التى لا تعمل بمقياس الحس ومن الصعب تصور ما وراءها من علل خفية بمجرد

مقاييس ممتياس العقل حتى أن العلم وقد صار الآن يصد بأسلوبه في الآفاق الرياضية أصبح يشك في قيمة المادة نفسها من أفق إلى أفق وقد أصبح الكون في نظره كرياضيا وكائنات ديفينيكية ، - لا أكثر ولا أقل - تتحكم في مصيره ذرة أو ذريرة لا يدرك كنهها العلم وبغض النظر عن نفس شبيهة الأشياء التي أطاحت بها الأطياف الضوئية والاشعاعات الذرية حال تحطيمها للشبيهة والمادية معا .

وإلا فهل أكد للعلم أنه قد وصلا فعلا إلى نهاية استشفاف سر الكائنات أو أوضحت الفلسفة بسائر مذاهبها طريق الصواب نحو الحقيقة المطلقة الذي لا مرية فيه ولا شبهة نواتيه ؟ وهل عرفت الفلسفة حقيقة أسباب الإيجاد أو علة العلل المطلقة للوجود ، أم كانت كلها نظما ذهنية ومهارات مذهبية ومجادلات بيزنطية تهافتت كلها في عصرنا بين مادية واقعية ومثالية عقلية ، تقول أو لاها (المادية) لائمة في عالم العقل لإلا خيالات للواقع المحسوس ، وتقول الثانية المثالية . إنها لا تدين بذلك الواقع قائلة : ليس في عالم الشيء إلا رؤى عابرة لما يفكر فيه العقل . . ففاجأهما - على عجل - المذهب الشكي الذي يقول : إن الواقعية الأولى تطعن في نتائج المثالية الثانية والمثالية تطعن في نتائج وأعيان الواقعيات ومظاهر الشبيهة .

فإن أخذنا برأى المثالية في الواقعية تهافتت الواقعية . وإن أخذنا برأى الواقعية في المثالية ولا مناص إذن من الشك في نتائج المذهبين معا (المادية والمثالية) ، وقد قلنا في كتاب الوجود المطبوع في مصر سنة ١٩٤٧ م . أن العقل والشيء معا حالتان عابرتان من حالات الوجود وهما متقابلتان متضابطتان متكاملتان وفي تقابلهما وتضائفيهما وتكاملهما الدليل القاطع على عدم صلاحية كل واحد منهما أو هما معا للعقلية الوجودية الأولى المتوحدة وإذن فما زالت علة الوجود الحقيقية بعد بكر لم يطمئنها فكر الإنسان فابحثوا عن الحقيقة من جديد وبهذا وذلك أصبحت الفلسفة الحديثه بعد أن أزيغت وأخذت زخرفها وظن أهلها أنهم قادرين عليها حصيدا كان لم تفن بالأمس .

فلا العقل بعلة للوجود ولا لنفسه ولا الأشياء الامكانية الزمانية المكانية تقوم - هي الأخرى - كلمة لسائر الوجود ولا لنفسها وذلك من ثلاثة أوجه .

(١) الوجه الأول : أن العقل ليس بمستغن في تصوراته عن الشيء ليظهر به أو يظهر فيه ، وأن العقل قد يشك في وجود نفسه وإن فهم شيئا فهو لا يقيم لا يفهم السكيفية التي بها يفهم ؛ فضلا عن أنه لا يدرك علة وجود نفسه (عالم الذات) ولا وجود الأشياء (عالم الموضوع) وأكبر أمره أن استقام وعظم إنتاجه أن يستدل على الصانع لوجود مصنوعاته وأن يعقل صاحبه عن الطغيان النفسى والضلال العقلى .

(٢) الوجه الثانى : أن إمكانية الأشياء يعتمدها الوجود والعدم بالضرورة .

(٣) الوجه الثالث : أن الذرة الذرية اليوم قد حطمت كيان المادة كشيء عبنى حقيقى له وجود ثابت ومزقتها أبدى سببا بل صيرتها إشعاعات غيبية أيضا تتحول إلى طاقة مطلقة غير مرئية وفي ظننا أن هذا هو الحد الفاصل والحوادث السميك الذى كان قائما بين الروحية والمادية ، بيد أنه بالطاقة الذرية في إطلاقها قد تهدم ذلك الحائط الآن وكان الله ولا شيء ويبقى الله ولا شيء . لمن الملك اليوم لله الواحد القهار .

وفي مثل هذا يقول الصوفي الحكيم . . .

ولى فى خيال الظل أكبر عبرة لمن هو فى علم الحقيقة . . . راق
شخوص وأشكال تمر وتنقضى وتفنى وشيكا والمحرك باقى

قصور العقل والحس عن إدراك الحقيقة المطلقة

وقد بينا لك رحمك الله فيما سبق مبلغ قصور الحس والعقل عن إدراك الحقيقة في لآلائها الواضح وحجتها الدامغة ؛ وإذا فان عزمت على انتهاز طريق الفطرة السليمة وهي الملازمة الذاتية الكلية التي تحوى في مضمونها سائر ماتحس وتعقل من شيء أو إدراك مع زيادة الشعور بنور الحق؛ فإذا كنت من الباحثين عن السعادة والطامحين إلى معرفة الحقيقة الإلهية المطلقة التي لها الإحاطة والشمول ولسواها التحول والأفول ، وإذا كنت سليم الذوق وثاب العزيمة فتوكل على الله واركب معنا في سفينة النجاة باسم الله مجراها وإلى مقتضيات الوحي ونبراس الشرع مرساها مستدلا إلى الانجاء الصحيح في طريق غايتك الفصوى من الهداية والمعرفة ببوصلة الإيمان الخالص والإلهام الإلهي الصريح المؤدى إلى هدفك المطلوب ، مستعينا في كل ذلك بطاقة الاندفاع الذاتي الناشئة عن محض اليقين الثابت الذي لا يعوزه البرهان العلمى أو الدليل الفلسفى ، مستعملا في سفينتك هذه : مقذافى الخوف والرجاء من الله وله ؛ الأمران المؤديان إلى حقيقة التقوى . وتكون مقتديا فوق ذلك في سلوكك بصحبة ربان ماهر يحنك عقبات الطريق وصخوره ومغارسه وشعابه الصعبة ولججه المغرقة العارمة ثم احزم ألواح سفينتك بضوابط من آيات الكتاب العزيز الذى قال الله تعالى فى أول سورة منه ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ؛ ثم إطل سفينة نجاتك بطلاء من ضوابط السنة المطهرة وسر على بركة الله سالكا مقامات الطريق إلى ربك مقاما مقاما وحالا حالًا متطورا بنفسك الامارة حتى تصير لوامة ثم ملهمة (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فان صدقت نفسك فى السلوك صارت مطمئنة بعد أن كانت فى رعونة الامارة واللوامة (يا أيها النفس المطمئنة ارجعى

إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ومعلوم أن الكل عباد الله وقد استثنى لمعيته منهم عبادا مخصوصين مطمئني النفوس أعددهم إعدادا لشهود حضرته في جنته.

وهنا تنجذب معك النفس بأضواء الحق لتصبح راضية فان رضيت النفس بأحكام مولاهما وتشبهت بصفاته السكرية وأخلاق رسوله صلى الله عليه وسلم أضحت مرضية لله فان ثبتت على ذلك واستقرت غدت كاملة واعلم أن النفس والروح والحياة بمن واحد فهي الحياة باعتبار أن الحياة من فيضها وهي النفس باعتبار علاقتها بالجسد لتسكون غرائزه البشرية وهي الروح باعتبار مصدرها الإلهي الأعلى.

وهنا وفي مقام الشهود الرباني والإلهام اللدني تلج الفتى - إشارة إلى قوله تعالى في السماء والأرض (كانتا رتقا ففتقناهما) وهو اصطلاح عند أهل التصوف - فالرتق معناه الوقوف خلف حجاب الكائنات والفتق معناه فتق البصيرة لتبصر بنور الروح ما وراء ذلك من حقائق غيبية ، والرتق والفتح والحجاب وشهود القرب كلها اصطلاحات صوفية ؛ وكذا البقاء في الفناء والفناء في البقاء وبهذا وذلك تشهد الموتة الأولى ثم الولادة الثانية وما إلى ذلك ؛ فتعود بعد الوصول إلى أهلك وموطن جسدك متوجا بتاج الخلافة الإلهية ومنتشحا بثوب المعرفة الربانية وحاملا لصولجان الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان (أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى ؟ . . . أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ؟)

هي السعادة لا تخفى فتشبه ولا تقوم على إيضاحها الشبه أسبابها لجميع الخلق ظاهرة وإنما أين من ينحو ويتجه ؟ وهكذا ينتهي بك الأمر أخيراً إلى السعادة الحقة والمعرفة الكاملة والشهود المشرق بأنوار رب العالمين في أعلى عليين وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر (هنا وهناك) فتحظى بالسعادتين وتحيا حياة طيبة في النشأتين (ولمن خاف

مقام ربه جنتان) (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم . ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) .

وانظر - عودك الله الاحسان في العمل له وأحسن اليك في مصيرك اليه - ماذا يقول الله تعالى في الذين رضوا من العلم بالظواهر ومن أسباب الحكمة بالفتشور واصفا لهم ومنذرا لإياهم بقوله (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) وقال تعالى (وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان^(١) لو كانوا يعلمون) فإذا خرجت مغنا من هذا الإيراد والعرض للحق بنتيجة الصواب والنور - وقد تحققت فيك رغبة السلوك إلى التكميل بالصلاح - فقل معي حتى على الفلاح ، وشد عليك حيازيم العلم وحرك دواعي الفهم وخذ بعضا العزيمة للمسير في طريق الإرادة . واعلم أن من لوازم رتبة الإرادة ومعنى الإرادة هنا إرادة وجه الله أو قل إرادة التكميل والاستعداد للمعرفة الحقبة اليقظة والرغبة والمحاسبة والهمة ، ثم العلم بما رغب في طلبه المريد من طريق الحق ، ونهض له وتيقظ لأجله وسمت إليه همته . فتكون إرادة الله في النهاية هي المدبرة لك فتفهم حينئذ معنى التوكل الحق عليه والتسليم لإرادته فيسلك حينئذ لتدبيره سبحانه بدلا من تدبيرك لنفسك فتستريح من عناء السلوك والمجاهدة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) . فتحمل حينئذ بقية السلوك على توفيق الله ودعوته إليك بقوله (أم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) .

(١) أصلها حيايان . أي أنها مثلى حياة أو قل صيغة مبالغة لمكلمة حياة ويكون معناها الحياة الحقيقية

وتلك رتبة الخشوع والخشية وهي تحمل صاحبها في السلوك إلى الله كما تحمل الطائرة راكبها فتبلغه أقصى المسافات في أيسر الأوقات .

رب شخص تسوقه الأقدار للمعالي وهو مستوحش نفار

حكم حارت البرية فيها وحقيق بها أنها تحتار

فبشأن من شئون الله التي تجري كل يوم في تصريف أمور مخلوقاته ينقلب البعيد قريباً والمريد مراداً والسائر مساراً به ، فانت وقتئذ مطلوب بعد أن كنت طالباً ومحبوب بعد أن كنت محجوباً وهذا ذاك غير من فاجأته هو اتف الحق وتاولته أبدى العناية والرعاية من بده أمره وبواكير خلقته . وذلك هو المسار به الحقيقي من بادىء ذى بدىء وإن تلاقى الطالب والمطلوب والمريد والمراد والسائر والمسار به في رحاب الله وفي حضرة الحق وقد جمع بينهم جميعاً اتجاه واحد هو طلب الرضوان الأعلا ؛ والفارق في ذلك منحصر في قول الله تعالى (والله فضل بدمضكم على بعض في الرزق)

والرزق منه الظاهر ومنه الباطن . والرزق الباطن أفضل كما لا يخفى وانظر إلى قوله تعالى (هو الذى أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) وآخر الباطن لفضله .

ومضمون ذلك أن في الطريق إلى الله محب لله ومحبوب لله فالحبيب طالب لله حتى يطلب والمحبوب طلبه الله ليطلبه هو . فاحذر في سلوك هذه الطريق الجادة أن يكون مطلوب روحك في طريق وانت بمسلكك في طريق آخر مغاير له . كما يقول ابن المقفع : « ومن سار في طريق وكان مطلوبه في طريق آخر فما أحقه بشدة اليقظة والتبين لأنه يكون حينئذ قد ألغى الذى إليه سعى وطلب الذى منه هرب ، (قل إنما أعظكم بواحدة . أن تقوموا لله مثنى وفرادى) فإن عزمتم على النهوض فتوكل على الله واعلم بأن طريقنا بعد مزاولتنا للعمل بالشرع : إرادة . رياضة . جهاد . جلادة . نقشب . فانطباع . فمساعدة وذلك هو مقام الاكتمال . وتلك سبع لأن منازل النفس سبعة في سيرها الحق ومقامات السلوك في طريق الوصول إلى الله سبعة وأصول الأحوال

التي تنبأ الروح من كشوف الغيب سبعة وأن الاسماء الموصلة بالذكر إلى حضرة الحق سبعة ، ولذا كان نمطنا في السلوك إلى الله سبعة مراحل : من أوله ، فإمام الإرادة ثم الرياضة ثم المجاهدة ثم الجلادة ثم التشبه فالانطباع فالسعادة كما تقدم وكما سطره بإذن الله .

وذلك هو نمط طريق الله ومنهجه عند أهله من محبي الله أو المحبوبين له ، وعدا أولئك القوم الذين اختصهم الله بهدايته وحسن توجيهه وتوفيقه من يجمع الناس فإن الآراء والنزعات تختلف وبعبارة أخرى إن أعضاء المجتمع الإنساني على كثرتهم يختلفون في طرائق تفكيرهم ومجالات معارفهم وفي مقاييسهم للمعاني وفي أحكامهم على حقائق الأشياء بتلك المقاييس المختلفة وفي أهداف نزعاتهم أيضا روحية أو عقلية أو مادية ؛ ولهذا الأسباب يجتمع معه اختلاف آراؤهم ، فالبعض يحكم على الحقائق الغيبية بمجرد ظواهرها المحسوسة أو أطيانها المعقولة أو أسبابها المتصلة بالطبيعة أو بخالق الطبيعة والإنسان ؛ والبعض الآخر يرتقي عن مقاييس الحس والحواس إلى التفكير الذهني المجرد والمنطق العقلي الصرف فقد يمتدى للصواب أو يضل . فإن تسامت فكرته وحلقت إلى ما فوق المستوى الحس والمقول الذهني فقد يفهم الحقائق على وجهها الصحيح ويشارك أهل الأذواق الإلهية في أذواقهم المحلقة المتسامية ، وأهل الله لا يشقى بهم جليسهم على كل حال ولا يخلو من النور من يستشرف للكشف عن حقائقهم ومعانيهم على أن لا يكون معترضا أو منكرا لما لم يصل إلى فهمه ومثل القوم كمثل حامل الطيب من جاوره أو احنك به قبس قليلا أو كثيرا من عبير طيبه

فأخذ الرجل الذي يغلب عليه منطق العقل يبحث في محيط الأشياء لعله يكشف عن تلك العلة وأخذ الرجل الذي قاده منطق الوجدان إلى التبصر الفطري في عرفان تلك العلة مباشرة ومال بكليته إليها قائلا : يجب أن أعرف إليها أولا وبعرفانها مضافا إلى معرفة ذاتي قد أعرف العلاقات بين الأشياء جميعا ومواقع الصلة بينها وبين قوانينها العديدة ولو كانت تلك الصلة مجرد صلة معنوية أو

روحية مجردة عن الحس والحواس ؛ وأما مجرد النظر إلى الظواهر فهو الحجاب الوحيد الذى يحجبني عن استيعاب ما وراء ذلك من الحقائق الغيبية . فأخذ تارة يحبها وتارة يخشاها وآونه يتودد اليها ويتعبد لها ومن هنا نشأت أسباب العبادة والتبتل وأصبح للرجل دين وله إيمان فهو يؤمن بتلك الحقيقة العليا ويجد في البحث عن كيفية الوصول اليها فيدرب نفسه على العزلة تبتلا إليها وتقربا لها فيترسم طرائق الفكر والذكر والتخلق بأنبل الأخلاق ويتحلى بأشرف الأحوال بغية الوصول إلى الحقيقة الالهية ، والاتصال بها بينما يظل عابد الحس والحواس في مكانه لا يريم ولا يرقى وهنا يظهر الولي ويزغ النبي وأرسل الرسل وأنزل الوحي وتأسست الديانات الكبرى ذات الكتب المنزلة ، ووجد من أهلها رجال راحيون وزاهدون ومتعبدون ومتصوفون وربطهم جميعاً رباط الإيمان والحب والإحسان ثم الهيام بالحقيقة الوجودية الكبرى .

وإزاء ذلك كله يتنوع أهل البيئة الاجتماعية الواحدة في تقكيرهم وفي حظيمهم من التسامي في الوعي وفي ضعفه وقصوره أيضا من أول أمرهم في الإنجاء للتفكير وفي أساليبه ومناهجه فواحد يغاب عليه منطق العقل وآخر يسيطر عليه منطق الوجدان والعاطفة وذاث حرم من هذا وذلك اللهم إلا من بصيص يبصره بمجرد ضروريات الحياة التي هي قوام جسده فيجعل كل معتمده على الحواس مشغولا بما حوله ؛ وبسبب التفاعل بين كفاية العقل وكفاية الوجدان وكفاية الحس إزاء مظاهر الكون العديدة وحقائقه النسبية المتعددة نشأ التفكير نحو عرفان العلة الأولى المطلقة : علة الوجود (الله) .

العلائق العامة

بين العلم والفلسفة والدين

لا يعلم الكثير من الناس عن الوشائج والعلائق العديدة التي تصل بين الدين والفلسفة والعلم والنصوف إلا قليلا . أما الدين والفلسفة فقد نشأ من أصل واحد ونبتا من أرومة واحدة . وذلك أن الإنسان بعد أن بحث عن الشراب والغذاء ووجدهما فشبّع وارتوى أخذ يفكر فيما حوله ليأخذ صورة ذهنية عن الكائنات التي تحيط به وتسكتنفه من كل جانب من فوقه ومن تحته وأمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فأدهشه ذلك الوجود المتنوع في وحداته وأوضاعه وكميياته بيد أنه يتوحد في مجموعه بقوانين تهدف إلى اتسافه وتنظيمه ثم انسجامه وتكامله . وهكذا كلما أمعن الإنسان في التفكير ودقق النظر الفكري روعته أعاجيب هذا الوجود وأخذت بتلايب تفكيره ، وإذا بحث في كيانه هو وجد نفسه يمثل نظاما مصغرا محكما يشبه النظام الكوني الخارجي الذي حوله ويتجاوب معه لاسيما من جهة إحكام صنعه وتكامل وظائفه ، فلا شك أنه يخرج من ذلك كله بأن تناغما واقعا لا محالة وعلاقة تلازمية واقعة بين نفسه وبين العالم الذي يعيش فيه ثم بينه وبين سر الوجود الأعظم (الله) ويمجد بينه وبين الكون في مجموعه تشابها نظاميا وذلك بين كونه الذاتي والكون الخارجي الموضوعي الذي حوله ومن ثمة يجد صلة وثيقة بينه وبين سر الوجود الأعظم وذلك هو مقتضى الفطرة .

ومع تمادى الأزمان وطفيان الخواص حدث الفتور ولم يفد توسط العقل بين الحس والوجدان فتناقض النظر الوجداني مع النظر السطحي وجاء دور الرجل الثالث ذلك المحدود التفكير وهو ميال بطبيعته لتجسيد الألوهية وتحديد بها ، فوضع لنفسه الديانات الوثنية ذات الصور المتعددة والتماثيل بغية أن يستنزل الإله الأعظم حسب تصوره في صورها وأشكالها المجسمة ثم

عكف عليها متمبدا لها : وأما سبب اختلاف وجهات النظر الديني والنظر العقلي والنظر العلمى ووجود تلك السبل المتغايرة والمناهج المتعددة في التفسير بعد أن كانت متوحدة الأهداف والمراى ، فهو أن رجل الفلسفة حين أدهشه هذا الوجود أخذ يبحث في الفروع والأصول الكونية عن علة تجمعها في شمولها ، وبعبارة أخرى أخذ يفلسف في المعلومات لعله يصل في النهاية إلى علتها .

وصاحب الدين بدأ بحثه بالإيمان - الإيمان المباشر بالعلة المطلقة - ثم أخذ يدرس ضروب آثارها في معلولاتها وهو دائب خلال ذلك على ذكرها والتقرب إليها .

وأما رجل العلم التجريبي فإنه يحكم أسلوبه الحسى لا ينظر في الكائنات إلا من جهة ظواهرها وعلائقها المؤدية إلى استخدامها في منافعها الخاصة أو العامة ويسمى ذلك عالم الواقع ، فهو لا يريد أن يؤمن بما عده الله إلا أن يرتفع إلى آفاق العلم المجرد عن المنفعة الخاصة ، ذلك العلم المجرد الذى يحتم على العلم أن يستشف في المظور ما وراء المنظور ولو بعقله دون حواسه لدى البحث في القوانين الطبيعية وما وراءها متصورا ما يمكن أن يكون خلفها من علل خفية فيؤمن بوجودها وإن كان منهج علمه لم يصل بعد إلى كشفها وهناك يتصل العلم بأول آفاق الفلسفة كما قدمنا ومن ثمت بعد خطوات مفروضة يهديه تفكيره الطليق إلى أول آفاق الدين وذلك معنى ما أبناه أخيراً في تصوف العلم الحديث بعد أن جاوز الاعتداد بآفاق الواقعية إلى آفاق تكاد تكون رياضية عقلية بل قل مثالية وكل هذا مرجعه إلى ما غرسته يد الخالق في ذات الإنسان من كفايات للمعرفة بالحس أو بالعقل أو بالوجدان .

وإذن فلا بد لنا في محيط المعرفة الكاملة من علم طبيعى يبصرنا بخواص الأشياء التى تقع حولنا في عالم الموضوع وتقع عليها حواسنا وتجاربنا الموضوعية فتعى خواصها وقوانينها ولا بد لنا كذلك من منطق عقلى فلسفى نوازن به بين ظواهر الأشياء وعللها الخفية ، ولا بد لنا من دين أيضاً وبعبارة

أخرى من أهداف للتدين فتقرب بها إلى مبدع البكون وعلة الكل وهو الحقيقة المنشودة لكل كائن علما تصل بتيار الكمال الأعظم السارى في رحاب الوجود الكلى المطاق فتندمج أفكارنا بل وأرواحنا في قدس أقداًس الأسرار بل قل في ذلك النبع السامى من الأنوار الإلهية الغيبية وتكون هذه أولى خطوات الحياة الصحيحة التى نسلسكها إلى الخلود . أو على الأقل يجب أن لا يقال بعد الآن أن ثمة خلافاً بين العلم والدين والفلسفة إذا نصع وجه الدين وانزاحت عنه أغلفة القشور المصقة به . وكذلك إذا ارتفعت آفاق العلم عن أدخنة المصانع وعجيج الآلات إلى الحقائق المجردة عن النفعية وإذا استقام كذلك منطق الفلسفة فأخذ سمته إلى ما وراء الظواهر الطبيعية من أسرار تنصل بعالم ما فوق الطبيعة .

هذا ولما نما العقل الفاسفى بحسب قانون التطور وتنوعت ضروب تفكيره وطرائق منطقته ونمت أيضاً العاطفة الدينية وتمذبت واتسع محيطها تفلسف الأول وتصرف الثانى وتذبذب بين الفريقين رجل الحس والحواس الذى ينظر بمنظار الحس ويقيس بواقعية الأشياء كل كائن عقلى أو روحى أو دىنى ؛ تلك الحقائق التى تنسamy بطبيعتها عن الحس والمحسّات بل عن العقل ومتاقضاته .

ومسكين ذلك الرجل الحسى الذى تخبط شكاً وتردداً بين رجال العقل ورجال الدين فهو لا يدرى إلى أى الفريقين ينضم وتحت أى لواء ينضوى وينتهى به هذا الحال عادة إما إلى الشك وإما إلى الرفض والإلحاد بتاتا ، وذلك الحال هو نبع الإلحاد أو على الأقل نبع الرجل الملمحد أو اللاأدرى وأنت ترى على ضوء ما قدمناه لك أن الصلة وطيدة والمشابهة قوية بين أعلا نظريات الفكر الفلفسى وأنضج نظريات التصوف الدينى وبين أرجح مقررات العلم الطبيعى وأنتك واجد أيضاً تشابهاً تاماً بين الشك فى إطلاقه والفسفسطة والإلحاد فى معناهما . والعلم فى قواعدة الأصلية ولید نظريات الفلفسة ونظريات التصوف أقرب الصلة بين العقل والوجدان وكذلك تنسق

أثبت نظريات العلم الحديث مع أعلى أهداف الدين وقواعد التصوف هذا
إذا تسامت نظريات العلم ، وأما إذا أسفت وهبطت الى حضيض المادة
فنجحت الى آلية المعامل والمصانع كانت نظرة العلم للوجود بل ومنهجه الى
نظريات المذهب المادى الفلسفى أو النظرية الآلية للكون أقرب وأميل ، وكان
عن نظريات الدين والتصوف والعلم الخالص أبعد وأقصى . وإذن فلا تعجب
إن قلنا أن لا خلاف ولا تباين حقيقى بين النتائج العليا للعلم والأهداف
المتسامية للدين أو الفلسفة وإن حصل التغاير فى المواجه والوسائل . فإن قال
قوم بحتمية التناقض بين الدين والعلم أو الدين والفلسفة كان ذلك النظر غير
العميق ناشئا عن النقص العلى أو عن فلسفة سطحية أو عن مجرد العلم بقشور
الدين دون لبابه . والحقيقة أنك لو تأملت تأملا عميقا خاليا من التعصب
ترى دائما أن أعلا آفاق العلم متصل بأفاق الفلسفة وأن أسمى آفاق الفلسفة
متصل حتما بأسمى حقائق الدين وهو التصوف ، والتصوف نفسه هو روح
الدين ولبابه علمت أو لم تعلم وحسبك أن يكون التصوف هو نفسه مقام
الاحسان الوارد فى صلب الدين وعلى لسان الرسول ﷺ بقوله : الاحسان
أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وتلك أعظم سمة للتصوف
الاسلامى والحمد لله .

الأسلوب العلمى والحقائق الجوهرية

اعلم رحمك الله أن القوة العامة في نظر الأسلوب العلمى الحديث وفيما تقرره التجربة من نتائج مسلم بها عند كبار علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر لا يمكن أن توصف بالمادية بمعناها كما كان يقرره أنصار المادة من الفلاسفة ورجال العلم في القرن الثامن عشر والتاسع عشر حيث كانوا يجعلون القوة مجرد ظاهرة للمكتلة المادية ونتيجة من نتائجها مع أن (القوة) على ضوء الكشف النووية الحديثة كائن غيبى لا تزال ماهيته مجهولة للعلم . وكذلك الحياة التى كان يرى أنصار المادة أنها أيضا مجرد تفاعل كيميائى أو ظاهرة فيزيولوجية لأوليات معدنية من المادة مع أن الحياة كما نفهمها الآن لا يمكن أن تنشأ إلا عن مبدأ حى كما هو الرأى ، الرأى اليوم على ما يقرره الصفوة من علماء الحياة وعلماء الجراثيم وكبار علماء الطبيعة .

وكذلك الفكر الذى كانوا يرون أنه مجرد افراز لعضو من الجسم هو المخ كما تفرز بقية الأعضاء سوائها مع أن السكون جميعه اليوم فى نظر علماء الرياضيات يبدو كأنه محض معادلة رياضية عقلية يكون التفكير فى الانسان وهو الذى يحيط فى لحظة بجميع العوالم السكونية بذلك النعت التجريدى أولى والراجح : أن القوة والحياة والفكر كلها حقائق غيبية لم يصل العلم بتجاربه المعروفة الى أن اعتمادها على مجرد الخواص الخمس وبمجرد المجهر والمشرط والمطرقة . الخ ؛ واليوم يقرر العلم نفسه أنها أسرار لم يصل بعد إلى كشفها ، وفى الحق أن تلك حقائق وجودية - القوة والحياة والفكر - لا تسكتشف إلا بوسائل ومقاييس معنوية تتناسب مع حقائقها الجوهرية لأنها جميعا وراء متناول أدوات العلم الطبيعى ومقاييسه بل وبمجموع أسلوبه الحسى وهو بعيد كل البعد عن ماهيتها أو خصائصها والبحث عنها ليس من وظيفته ولا من موضوعه التجريبى المسادى وحسبه اعترافا بالحق أنه لا ينكر وجودها وأنه يعترف بوجود آثارها كحقيقة علمية موضوعية .

فمن أين ياترى جاء محدثو صغار الماديين ودعاة الهزيمة للعلم بتلك النظريات الملهمة الخلقة التي لا تنطبق على الواقع ؟ وبأى مصوغ من العلم ياترى يثبتون أن القوة والفكر والحياة مجرد آثار آلية ظاهرية للمادة ، إلا بأسلوب فلسفة مادية مسفسطة متهاينة قد مضى وقتها وذهبت عصورها ؟ حالة أن المادة اليوم بسائر أجزائها وخصائصها وصورها في نظر العلم مجرد ظاهرة كغيرها من الظواهرات السكونية التي ننشئها وتحلها الطاقة الذرية وذلك هورأى علم اليوم ، ونزعة فاسفه اليوم .

فالرأى العلى لمادة السكون أصبح بلا قيمة علمية الآن . سيما وأن في الوجود غير المادة وغير القوة أيضاً سنسنا وقوانين ونظماً^(١) معقولة تسيطر على ما فيه من قوة وطاقة وأشياء مادية ظاهرة وواقعات مجسمة وما زال العلم يجد في سبيل التعرف إلى ماهيتها وما وراءها من آفاق متسامية وكلما تقدم العلم خطوة في هذا السبيل فوجيء بزمرة متعددة من الحقائق بل قل من الألغاز والاحاجي والرموز الغيبية التي تدهش العلم والعلماء دون أن تتناولها تجاربهم وتتصل بآفاق الفلسفة من بعد أو من قرب بل قل تتصل بآفاق الروحية أو قل ما تشاء مما تنقلب معه فروض العلم التي كانت مقررة فيما سبق من أزمان إلى مجرد احتمالات محضه . وذلك ما لا ينكره العلم الحاضر من حيث أن من مقرراته الحديثه عن تصرف الذرة أن ذلك التصرف احتمالى محض . وهذا يشعر بل يؤكد بأن مصائر الكائنات بما فيها من قوة وطاقة وقوانين متعلقة بإرادة عليا خفائية مسيطرة وهي متوحدة تقبض بإرادتها الحرة على مصير كل كائن جامد أو حي .

تلك العوامل الوجودية بل قل العوامل الالهية الخفية تكون وراء كل ما نعرفه الفلسفة المادية المحدودة الآفاق بل كل ما يعرفه العلم نفسه من ظواهر الوجود ، ثم إن هذه الحقائق والعوامل الخفية تبدو خلال أستار

(١) لأن وراء القوانين والنظم إشعاعات وأنوار خفية لاتلصها أدوات العلم ومناظيره عن بعد أو عن قرب ولا يرى العلم بأدواته سوى أطياقتها .

الكائنات والحادثات والقوانين كأنها دراكه مريدة تحدد بروز الظواهر الطبيعية بمقدار، وفي أزمان وسرعات تقررهما. ثم أنها تنفذن في تحويل العناصر وتشرف على ما يتركب منها وتقدره كمائيا وطبيعيا تقديرا تلقائيا مضبوطا ثم تحله في النهاية بتشبع المادة إلى ذرات خفية بين نويات كهبريات مرة أخرى من سلبية وإيجابية، ومحابذة، الأمر الذي لا يعمل ولن يعمل إلا بوجود خبرة ذاتية روحية بالغة وإدراك سام يسودان هذه الكائنات ؛ وهذا أيضا لا يعمل إلا بوجود إله مسيطر يرتب وينسق ثم يظهر الحوادث السكونية في ظروف خاصة بهامها وأحوال ملائمة يضع نسقها .

ثم أن للعقل أيضا سذنه وقوانينه ومنطقه المنظم لمجال تفكيره وله مبادئ أولية يستمد منها قواعد قضائيه وهو متجاوب في ذلك مع معاني الإدراك المطلق في الوجود مما يدل على أن وراء المادة والقوة والإدراك وراء السن والقوانين وسائر ما يخضع له السكون الطبيعي من نظم وما يبدو فيه من قوى وتطور تسكن علة عليها متوحدة مدركة هي الله في جلاله وتوحده وفي تنزيهه عن سائر هذه الممكنات وتبدو حقيقته وسر ذاته للعقول والبصائر فوق سائر مدركات هذا السكون ومحساته ومعقر لانه وقوانينه ونظمه والعجب بل الإعجاب من دقيق صنع الله وبديع حكمته في محيط مخلوقاته أقول : من ذلك كله تنبغ النبوة وتنبع الولاية وتظهر عبقرية الفن والأدب وروعة الشعر ، وصولا الفلسفة وأخيرا دهشة العلم وحيرته .

وكذلك كل ما يبرز أو يبدو في السكون من حياة أو وعى أو إرادة تنجلي كلها لكيفياتنا العليا كأنها نعوت وخصائص أصلية لكائن أسمى يبدو أنه مطلق يشمل اقتداره وإبداءه وجودنا ووجود غيرنا من الكائنات ؛ ودليل ذلك أن الوجود في شموله مع ما يبدو فيه من كثرة وتعدد يمثل لإدراكنا الذاتي وحدة شاملة مؤلفة الروابط والعلاقات وإن تفاوتت فيه النسب والأوضاع والكيفيات والوظائف ، مما يدل على دلالة صريحة موجبة لليقين قاطعة للشك على أن أصلها سببا أوليا للكائنات صدرت عنه وهو يدرك ما يفعل قبل أن

يفعل وبعد أن يفعل وتصير إليه أيضا نتيجة ما أراد وما فعل ، وهو نفسه ذلك الذى نظم الكون علويه وسفليه بسماواته وأراضيه وطبعا جميعا على أسلوب يجعلها كما واحدا متناغما الوحدات مترابط الحلفات . لأنه هو واحد أحد وجمله يتطور ويترقى إلى هدف خاص بالمجموع كما لو كان كائنا واحدا يهدف إلى حقيقة مطلقة لا يدرك لها غورا ولا نهاية ، وما ذلك إلا لأن مبدع الكل مطلق وواحد .

وكل ذلك يوجب أن وجود السبب الأول الكافى وهوالله الذى صدرت عنه تلك الكائنات البديعة المنظمة المتسقة وجوده ضرورى كفهم الكائنات وألفه العقل وانسجام الوجدان فوجوده بالنسبة للكائنات كوجود المركز للنائرة وهذا يدركه المتأمل عند النظرة الشاملة لهذه الكائنات .

وذلك ما يجب أن يعرف من طريق العلم والفلسفة والدين كتعليل كاف لوجود ما بزغ ويبزغ فى الكائنات من خصائص ونشاط وألفة ووحدة وترق وذلك السبب المتوحد وهوالله الواحد الاحد الذى لا إله إلا هو وقد حاز من شرائط العلية والتوحيد والتزيه والابداع ما جعله هو الواحد المعبود بحق دون سواه .

لابد للعلم والفلسفة من الاستقناع كبقاى العلم الوحدان والبصيرة

لا يخل العلم فى مثل هذا المجال من أن تعاونه أمه الفلسفة ، وبعبارة أوضح الفلسفة الجامعة الشاملة (التى أكبر ظننا أنه عقها) فتأخذ بيده إلى آفاق من عالم الخبرة الذاتية والخبرة الباطنية الأمر الذى لا ييسره وجوده أو اكتناه كنهه . مجرد أسلوبه التجريبي الحسى .

ولابد للفلسفة الحاضرة فى منهجها الحسى والمثالى كذلك من أضواء تشع على مجموعها من عالم الذوق والبصيرة وبعبارة أخرى من عالم المعتقد فتتير بأضوائها اليقينية للعلم والفلسفة معا سبيل المعرنة العامة الكاملة . والدليل على ضرورة ذلك أن ما يسميه الناس بالعقل الباطن ذلك الكائن الخفائى العبقلى الكائن فى قرارة ذواتهم هو الفطرة بل العقل الأكبر المسيطر الذى يسيرهم ويرشدهم فى الحقيقة خفاء ودون جلبية ، برغم وجود العقل الظاهر وهو شعاعة منه وبالرغم من وجود الخواص على أنهم فى دوائر علومهم وفلسفتهم غير مقدرين له تمام التقدير حالة أن عقولهم التى يسمونها واعية إن هى إلا بصيص ضئيل ينبعث عن ضوء ذلك العقل الباطن الكبير المتعدد التواحي ، وأن الفلاسفة والعلماء جميعا سواء منهم من كان واقعيا أو مثاليا إنما هم منطقة وتجريبيون فى قاعات تدريسهم وفى مختبراتهم العلمية فقط ، وهم فيما عدا ذلك من سائر شئون الحياة إنما تسيرهم العاطفة ويقودهم الوجدان فيؤثر عليهم بحوائز عقولهم الباطنة ومشاعرهم الوجدانية برغم وجود العقل الفاعل ، فهم فى كل ذلك عاطفيون واعتقاديون كسائر الناس . فإن لم يصادف انعطافهم أو اعتقادهم حقيقة جديدة بالانعطاف كما فى الإيمان الدينى أو الفن الجميل مثلا إنصب عطفهم واعتقادهم دافقا على صيغ متعددة من الوهم والخيال بل ربما والشذوذ أيضا لإشباع تلك العواطف الفطرية فيها . وبعبارة أخرى أن الواحد من هؤلاء لا يعتقد ولا يؤمن بشئ قط بما يعتقد فيه أو يؤمن به الناس ما لم يكن حسيا مجردا

أو عقليا مجردا وقد لا يأبه بالحب السامى أو الوضيع ولا بالمعتقد أو الفن وقد يسخر بالشفقة والعطف وما إلى ذلك ويعتبره ضعفا بشريا كل ذلك التزاما والزاما فقط للتقاليد التى يحتمها عليه منهجه الفلسفى أو العلمى وأمام تلاميذه وفى معمله فقط كما قدمنا وأما فى ما بينه وبين أصدقائه وفى حالات انعطافه وحوافزه أو قل حبه وبغضه فهو لإنسان عاطفى له إيمان وعاطفة كبقية الناس .

ونخرج مما تقدم بثلاث نتائج .

أولاهما : إن فى الوجود أسراراً لا يقع عليها الحس ولا يكاد يدركها مجرد العقل العلمى أو الفلسفى (المعروف) ذلك الكائن الحبيس وراء حدوده التى رسمها لنفسه .

ثانيها : إن للوجود حقيقة متوحدة خفية تشع بأضوائها باطنيا على سائر وحدات الكائنات وخصوصا الداركة منها فيتناغم معها ادراكنا فتلمحه وتهديه فتفهم عقولنا بدائنها العقلية وبعض أسرارها وتشهد أرواحنا ووجدانا تنابذ درجة أسمى وجه تلك الحقيقة معنويا فى جمال أضوائها وفى انسجام توحدها بعيون بصائرنا وذلك فى آثارها الظاهرة والباطنة كما يشهد البصر نور الشمس فى رابعة النهار .

وثالثها : إن تلك الحقيقة الإلهية الخفية الروحية الخاصة تهيم على سائر البصائر والعقول والمشاعر والأحاسيس لأنها المقومة والحركة لسائر هذه المدارك العقلية والمدركات الحسية كعلة لها وهى تعمل فى بقية الكائنات المحسنة والمعقولة كسبب مطلق وعلة خفية لذلك الكيان اللبازغ عن نشاط خصائصها حالة أن ذاتها محجبة خلف نشاط تلك الخصائص التى تحرك كل الكائنات كفاعلية لها ووراء أشباح الصور والمظاهر كما تعمل الحياة فى سائر خلايا الكائن وهى موجود خفى .

ويترتب على هذه النتائج الثلاث نتيجة رابعة هى أننا لو أردنا أن نعرف حقائق الوجود أو علته المطلقة معرفة أشمل مما نعلم ونعتقد من مذاهب فلسفية وعلمية طبيعية أو إدراكية لا يكفي فى ذلك طبعاً مجرد التجربة الحسية الموضوعية وحدها لتقيدها بحدود الأشياء كالصور والكيفيات والأوضاع والأحياز الزمانية والمسكاتبة ولا مجرد المنطق العقلى أيضا ، لأن الحقيقة تظل مستبطنة خاف

أوليات العقل ومدركانه كما تستبطن المدركات العقلية خلف مظاهر الأشياء..
بيد أننا لو أردنا معرفة الوجود معرفة شاملة يجب أن نوجه سائر كفاياتنا
الإدراكية وجميع خبراتنا الذاتية والموضوعية فتعمل متكافة متعاونة
في سبيل درك الحقيقة المطلقة وترقية معلوماتنا عن هذا الوجود العجيب .

وأنت تعلم أن الحس والحواس وبعبارة أخرى الإدراك الحسى ليس
هو كل ما فى الإنسان من كفايات يعالج بها المعرفة ، ولا الإدراك العقلى
أيضا ، وأن وراء الإدراك الحسى والعقل كفايات عدة كامنة فى الذات
الإنسانية كقوى لها أظهرناك على بعضها ، ومنها البصيرة الذوقية وبعبارة
أخرى أن المعرفة الكاملة المطابقة لحقيقة هذا الوجود لا تنال إلا بمنطق
الحس والعقل وبمنطق فرق الحس والعقل هو منطق الإلهام البصيرى وهو كم مشترك
ليس بين أراء النوع الإنسانى فقط وإنما يشترك فيه كل حيوان ماشى أو
زاحف أو طائر .

أما مجرد المعرفة الحاصلة عن منطق الحس فلا تؤدى إلا إلى مجرد الظواهر
الكونية المحسوسة وكذلك مجرد المنطق العقلى لا يؤدى إلا إلى نتائج معقولة
نسبية ، كثيرا ما كانت ماثرا للجدل الطويل العريض فى المسألة الواحدة
وكانت أيضا سببا فى إفتراق أهل المذهب الواحد أو الملل الواحدة إلى شيع
متعددة . وكل من تلك الشيع والفرق له سند وحجة من المنطق العقلى سواء
كانت مقدماته ونتائجها فاسدة أو صحيحة .

وحسبك مثالا على ما يؤدى إليه إعتبار كفاية واحدة من كفايات المعرفة
معيارا لعرفان الحقيقة بأسرها أن المنطق الحسى لما ادعى أنه المقياس الأوحد
للحق ترتب على إدعائه هذا حدوث موجة جارفة من الألحاد والتشكك طغت
على عالمى الخلق والمعتقد بل وعلى عالم العقل أيضا وبعبارة على محيط الفلسفة
بين مادية ومثالية . وقد حدثت تلك الموجة أو قل العاصفة الهوجاء بكبار
المفكرين من الفلاسفة والعلماء خصوصا فى ألمانيا إلى إعتناق المثالية
والأكبار من شأن العقل كرد فعل لطغيان الفلسفة المادية على عقول الناس
ومشاعرهم وعقائدهم .

كذلك المنطق الفلاسفي العقلى لما ادعى شموله الفعلى على الحقيقة دون غيره من الكفايات أدى إدعائه هذا إلى المنطق السفسطائى المغالط الذى لا يبقى ولا يذر، أو إلى المثالية المتطرفة التى تؤله العقل وتجعل منه علة للكائنات . على أن فطرة الانسان السليمة المجردة عن الشوائب والحجب قد تدرك بالبديهة أو الغريزة أو البصيرة تلقائيا ما لا يمكن أن يدرك مداه العقل بتركب أسلوبه المدرسى البيزنطى ومن باب أولى تدرك ما لا يدركه الحس وبالأخص فيما يتعلق بأمثال بالعاطفة أو الضمير أو الإيمان من شئون ووجدانات ذاتية تلقائية وأن العقل مع تقديرنا له فى حدود منطق السليم كمجرد كفاية من كفايات الإنسان يدرك فى حدوده وفيما يخصه ما لا تدركه الحواس وأنه وحده دون أن تشد أزره بقية الكفايات غير مأمون الخطأ فى أحكامه .

وصدقنى أن عالم التفكير العلمى اليوم قد إنقلب عالما لإعتقاديا وفى زماننا هذا الذى يبرأ فيه أكثر طلاب العلوم العصرية من كل ما هو عاطفى كالأعتقاد الدينى مثلا أو المسالك الخلقى بينما هم يمتدنون فى قضايا العلم وهى احتمالية محضة كما يعتقد رجل الدين المتعصب فى دينه حيث يتعصب أنصاف العلماء وتلاميذهم للاعتقاد الجازم بنظريات العلم وقضاياها - كما لو كان العلم عقيدة دينية - حالة أن نظريات العلم تتغير ما بين آونة وأخرى وكذلك أتباع المذاهب الفلسفية كلهم إعتقاديون يشملهم عالم المعتقد - وإن بدوا لأنفسهم أنهم فى عصمة عقلية وعلمية من أن يتسرب إلى أفئدتهم بصيص من عالم المعتقد مثل غيرهم من المتدينين ومن المؤمنين بالروح أو القيم أو الأخلاق .

بين العلم والدين

والموقف يصوغ أن تسلكم الآن عن الاتفاق الحاصل بين الدين والعلم وخصوصا الدين الاسلامي والعلم الحديث دحضاً لمفتريات القائلين بأن الدين عموماً لا يتفق والعلم ، وذلك قياساً على ديانات قديمة مليئة بالأساطير فعمموا القاعدة وادعوا على العلم فرية لا يقول بها وعلى الدين في عمومه أباطيل هو يرى منها . وما العلم في الحقيقة إلا ناحية تأملية ترى للناظر المدقق كأنها نزعة من نزعات الدين مهددة له وباعثة عليه وذلك حينما يضطر العالم عقله إلى البحث الدائب لاستطلاع ما وراء دائرة تجاربه العلمية التطبيقية من آفاق عليا لا يقع عليها تناول الحس بقصد الحصول على اليقين العلمي أو الألفة العقلية التي تربط بين الأسباب ومسبباتها . فاليقين وهو المعتقد في أية صيغة وعلى أي لون كان هو النتيجة الغائية لسائر قضايا العلم الصحيح والفلسفة المحققة ، ومن اخص معاني اليقين الديني أنه جميع ما أيقن به الإنسان ودان له فأصبح عقيدة ذاتية عنده . والدين الاسلامي على الخصوص صديق العلم ونصير الفلسفة إذا كان المقصود بالفلسفة والعلم النظر في الكائنات والتعرف إلى علتها وذلك ظاهر في مثل قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وفي قوله . (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) . وفي قوله أيضاً . (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب) وكل ذلك حث وتحضيض على النظر في آفاق السماوات والأرض وفي الأنفس لاستشفاف أسرار الله التي أودعها هذه الكائنات سواء من طريق البحث العلمي أو من طريق البحث العقلي الفلسفي المحض أو من طريق المعتقد الديني السليم . وكلمة الفلسفة في أصلها اليوناني تقابل كلمة الحكمة في مفهومها العربي وما كان للعلم الصحيح أن يعاند الدين أو ينكره أو يحكم له أو عليه بالوجودية أو العدمية

هذ كان الدين ليس من موضوع بحث العلم ولا هو داخل ضمن دائرة نظرياته التجريبية الحسية ، وما كان للعلم أن يخرج عن وظيفته وهى مجرد الاستقراء والملاحظة للظواهر الطبيعية إلى حد النفي أو الإثبات لما يجمله من الحقائق اللاهوتية المختبئة وراء الظواهر والمظاهر الطبيعية وهى كلها على التحقيق من موضوع بحث ما فوق الطبيعة فى الفلسفة أو من موضوع بحث الدين فى دراسة أصول المعتقد (اللاهوت أو علم الأصول) ومفهوم أن البحث عن المهايأ أو الذوات ليس من موضوع العلم الطبيعى ولكن الأمر الذى لاشك فيه أن يكون العلم بداية والدين نهاية والفلسفة وسط بينهما . يقول العلامة (كريستون) مدرس الفلسفة فى جامعة ليون (العلم لا يعطينا عن الوجود فى مجموعه إلا معارف مبهمه للغاية وذلك من جهة العلل الخفية) ، ويقول الأستاذ (وليم جيمس) (إن علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا بحر زاخر والأمر الوحيد الذى يمكن أن يقال بشئ من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بهام أوسع منه من نوع آخر لم يدرك العلم خواصه المكونة له إلى اليوم) .

وقال (بيكون) كلمته المشهورة (أن القليل من العلم يؤدى إلى الإلحاد ولكن التجحر فيه قد يعيد الملحد إلى التدين) . . وقال الفيلسوف الفرنسى (كونت) (أن العلم لا يمكن أن يؤدى إلى القول بالمادية والإلحاد لأنه لا ينسكرك النفس ولا الله ولكن يجهلهما) . واعلم أن الأصل فى العلم هو العقل ورائده الحس ، والأصل فى الدين هو الوحي ورائده العقل ، والحقيقة أن لا خلاف ولا مباينة فى نظر العالم المحقق والمتدين المخلص بين الوحي والعقل سوى أن الوحي يأتى من آفاق لا يمكن للعقل وحده التحليق إليها وأن العقل فى الإنسان معد للاسترشاد والإهتداء بنور الوحي ، فالدين يؤكد أن الوحي قد جاء مخاطبا للعقل وعند المنطق السليم يجب تأويل نصوص الوحي إذا تعارضت مع بدائه العقل حتى تطابقه . وكذلك يشهد العقل بأن العلم يقصر مداه عن إدراك سائر الحقائق الوجودية الغيبية التى جاء بها الوحي ثم أن العلم يأمر أهله

بأن لا يعادوا ما يحملون من الحقائق التي ربما تتكشف لهم في المستقبل فيسلمون بوجودها وإن لم تتناولها تجاربهم الحسية ، وذلك هو الشأن أيضا في عالم الفلسفة وهو عالم المعقولات بل هي بالذات تعترف أن أعلى أقسامها ومباحثها علم ما وراء الطبيعة فهي بذلك أولى بهذا الاعتراف وأجدر : ولا يقال بعد اليوم أن بين الدين والعلم عداوة أو تعارضا يوجب المناظرة أو أن العقل ينسكرك وجود الدين أو أن الدين مناقض للعقل ، ولا يقال مثل هذا عن الفلسفة التي تدعى أن البحث عن الحقائق من أهم شعائرها ومن أسنى مطالبها . وبما أن الوحي يخاطب جميع الناس على اختلاف درجات عقولهم ومداركهم خاصتهم وعامتهم بلسان واحد ، فإن أسلوبه يحتم عليه مداراة خطابه بين الحقيقة والمجاز والإبانه والتشبيه تدرجا بالناس لفهم موضوع بحثه السامي . وأما العلم فإنه يخاطب أذكاء الناس وكبار العقول فقط ولا يحتاج في خطابه إلا للدين الأشياء على ما هي عليه واضحة دون تورية أو تلميح ، فإن كان ثمة خلاف بين العلم والدين أو الفلسفة فهو خلاف في الأسلوب فقط والقاتل بالخلاف بين الدين والعلم يكون قد اعطدم بمجازيات الدين حينما يروم تطبيقها على قواعد العلم أو محض منطق الفلسفة ، وحينئذ يقع الخلاف الوهمي الذي لا يكون إلا في نفسه هو وفي رأسه فقط لعدم يقظته لوجود الفرق الحاصل بين أسلوب الدين وأسلوب العلم ، وتسكون النتيجة أن ليس الخلاف بين الدين والعلم أو الفلسفة وإنما هو بين أسلوب وأسلوب فقط .

فإن الدين والعلم لا يتنافضان وإن كانا متغايرين والتحقيق أن لا خلاف بين الوحي في مصدره والعلم في أوليات قضاياه لأن الوحي حقائق ذاتية أقيمت في روع واحد من البشر إمتاز عن غيره بسمو مداركه ورقة إحساسه وباستعداد خاص يجعل قلبه متصلا بالملأ الأعلى لتلقى وحي ربه المنزل لإرشاد خلقه من طريق العقل المؤيد بالوحي .

وقضايا العلم ونظرياته حقائق هي الأخرى أقيمت بعد الاستقراء والاستنتاج والتجربة في روع العلماء من الناس الذين أدهنوا التفكير والاختبار

التطبيقي وإمعان النظر في وحدات الكائنات ونواميسها وعلاقاتها وصلة بعضها ببعض الآخر وذلك عن طريق البحث في خواص الأشياء ومنافعها وتسخير قواها الكامنة فيها ، وقد استنتجوا من كل ذلك قواعد ونظريات علمية تزيد كل يوم بما تنتجه عقول العلماء وأبحاثهم فيتركونها لخلفائهم وأعقابهم لإكمال بحثها والوصول للنتائج المرجوة من خصائصها ومنافعها. وأما الوحي فهو في اصطلاح اللغة : الأعلام عن الخفاء الذي لا يتداوله العلم ويسمو عن المحيط المعلوم للعقل الفلسفي المتوزع أو المتناقض فتقول أوحيت إلى فلان كذا أى كلمته بما تخفيه ثم أن الوحي في اصطلاح الدين هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه ورسله بواسطة روح سماوى يسمى جبريل وهو أحد الملائكة الكروبيين (رؤساء الملائكة) ، وهذا الملك قد يتمثل لهم بشرا سويا فيبلغهم كلمات ربهم بأن ينقشها في روعهم أو يسمعها آذانهم فتستوعبها عقولهم وإن غابت عن علمهم .

حالة أن العلم جملة معلومات وقواعد ونظريات تركزت وطبقت فأصبحت فروضا وفنونا شتى يجمعها في عمومها اسم العلم ولو بحثنا في أول قضايا العلم ومبعث نظرياته من قبل أن تؤلف الكتب وتدون المعارف لوجدنا أنها جميعا حقائق أولية ألهمها الله لغيرها من مفكرى النوع الإنسانى فأدمنوا التفكير حتى قعدوها قواعد جلية وألفوا فيها الكتب ووضعوا أساليب العرض العلمى على أوليات الفروض الممكنة وبنوا على هذا الأساس أصول المعارف العلمية .

وأنت ترى أن مبعث العلم والدين والفلسفة أيضا واحد هو الشخصية المعنوية للإنسان وما وقر في فطرتها من إلهام إلهى أو إدراك عقلى وبعبارة أخرى طريق الوحي والإلهام (الدين) أو طريق العقل والحس (الفلسفة والعلم) فالدين فى أصله موهوب بالوحي ، والعلم فى وضعه مكسوب بالعقل ومطبق للتجربة الحسية بمعنى أنه إذا كان الوحي أصلا فى الدين فالعقل أو الإلهام البدهى هو الأصل الأول للعلم والفلسفة وتكون النتيجة أن لائحة

من فرق إلا في الأسلوب والمنهج بين دين موحى به يخاطب العقل أو معلوم
ملهم يكون نتيجة لاستقراء العقل وخبرته الموضوعية والذاتية للكائنات
الخارجية الحسية المنبثة حوله ، ويكون الكل من عند الله بطريق الوحي أو عن
طريق الادراك العقلي أو الادراك الحسي بغض النظر عن الفروق في الدرجة بين
الوحي والادراك العقلي أو بين العلم والدين

وليس في العقيدة بالوحي ما ينافي للعلم بحال خصوصا في هذا الوقت الذي
كثرت فيه المباحث النفسية في أنحاء العالم شرقا وغربا وقد أثبتت العلوم النفسية
الحديثة أن في الوجود كائنات حية غير الإنسان مجردة عن المادة لها عقل
أرقى من عقلنا وفي خفايا الكون مدارك أسمى من مداركنا وأن هذه الحقائق
متصلة بعضها ببعض الآخر من طريق مباشر أو من طريق غير مباشر .

التصوف بين الفلاسفة والدين

الدين في عموم معناه وحى إلهي فهو لغة السماء لأهل الأرض وهو غذاء القلوب ومصدر الأوامر والنواهي للروح والعقل فكيف نوفق بينه وبين الفلسفة التي هي من صنع الفكر البشري وهي مجال للأخذ والرد والبحث والتعليل؟ كيف نوفق بين الحقيقة الدينية التي مصدرها الوحي ، والتفكير الفلسفي الذي مصدره العقل ، وبعبارة أخرى أساسه التردد والإستنتاج أو الحكم على الحقائق بالشك أو باليقين؟ فالمنطق الفلسفي قد يفتح اليقين تارة ويفتح الشك تارة أخرى . وبعبارة ثالثة كيف نوفق بين العقلية الإستنتاجية وبين اليقينية المحضنة التي مصدرها إلهام الفطرة؟ تلك محاولة عسيرة جدا .

ولكن قد يبدو لأهل الأزمان السالفة أنها ضرورية لقوم عاشوا في العالم الإسلامي واعتنقوا الإسلام إبان ظهوره وكانت دراستهم بل حياتهم خاضعة للجو المحيط بهم على مختلف العوامل والظروف الواقعة بينهم والأفكار التي سادت عصرهم وكان منها الخلافات الفلسفية والأحكام الخلافية الواقعة في الملل الأخرى ما بين أفلاطونية قديمة ومحدثة وأرسطوطالية وأرسطوا وغنوسية وهليزية وتحكمت فيها المذاهب الفلسفية المختلفة التي تحولت بهم إلى مذاهب وعقائد أسطورية دنيئة خرج القوم منها بأشكالات ورموز لا تشر ولا تغنى من جوع ، ومعلوم أن أهل هذه الفلسفات بمذاهبها الشقية كانت تحاول جعل الفلسفة دينا والدين فلسفة وهي تحيط بالمسلمين في آسيا الصغرى والكبرى وفي الشام ومصر (الأسكندرية) إحاطة السوار بالمعصم ، وكان من العرب طائفة يهودية وأخرى مسيحية وانضم أولئك وهؤلاء إلى الجماع التي أقامها من هم على شاكلتهم في الدين والفلسفة من أحبار وقساوسة وتكون حين ذاك الجدل الفارغ المضروب به المثل والجدل البيزنطي ، وإنتهى كل واحد منهم بالإنضمام إلى طغمة فلسفية أو دينية وأكثرهم كان على شعوذة عليية أو

دينية ملفقة أو سافرة فمنهم السامرية السريانية والرومانية الأباطونية
والفيثاغورية والأبيقورية ثم من المسيحيين العقوبية والاريسوية والارثوذكسية
والسكاثوليسكية إلى آخره ، وكلهم أراد أن يؤلف بين معتقده وبين ما يحيط
به من آراء فلسفية ونظريات عقلية أو علمية في أبان طفولة الفلسفة وقصور
العلم وغلبة الأساطير عليهم ، ففسجوا على هذا المنوال نفسه بحكم المخالطة
والمعاشرة . وهكذا تصدر بعض الذين يزعمون أنهم قادرون على هضم تلك
الآراء ففسجوا من المسلمين وتصدروا الرد على أهل الزندقة والنشكك والهدم
وذلك هو نفسه ما أوقع اليهود والمسيحيين من قبل في خلط الدين بالفلسفة
اليونانية معتقدين أن هذا هو السبيل للتوفيق بينهما ، وفرق عظيم بين دين هابط
من السماء وكتب منزلة ولها رسل منتخبون من خلاصة البشر وبين فلسفة
استخلصها العقل مذ كان طفلا من أوليات بعضها رموز دينية وبعضها أساطير
شعبية متوارثة . ونعم أن اليونانيين دون هضم لحقهم قد أصلوا علم المنطق
وفصلوا أحكام العقل عن أحكام المثلوجيا الدينية فلهم في هذا فضل يذكر
حيث خلصوا العقل من أغلال الوثنية والمسرحيات الخيالية ؛ ولكن مع
هذا فإن العقل قد ظل يداول في أحكامه بين الحق وبين الباطل أو السفسطة
الشبيهة بالحق والواقع أن بين اليقين والشك وبين الحق والباطل درجات عدة
بعضها أقرب للحق وبعضها أقرب إلى الباطل وفي قضية فلسفية واحدة يوجد
ثلاثة أوجه : حق صراح وباطل صراح ثم مغالطة بين الحق والباطل وتلك هي
السفسطة ، ويكون المسفسط مبطلا ضرورة تبعا لتردده بين الحق والباطل ،
ويكون الموفق بينهما أكثر بطلا من حيث أن الحق واحد لا يتعدد وذلك في
الدين وفي المنطق العقلي سواسية ، ولذا قلنا بطلان التوفيق بين الدين والفلسفة
لا لأن الفلسفة في نفسها باطلة بل لأن الفلسفة الصحيحة تتفق ضرورة مع
الدين الحقيقي من حيث طلب الإثنين للحق والحق لا يتعدد فإن أعوجت الفلسفة
تعرجت ضرورة وبعدت عن منطق النطرة السليمة وحينئذ ربما يجوز التوفيق
بين الدين والفلسفة ولكن المواق حينئذ يكون موافقا بين الحق والباطل فهو بهذه المثابة

أكثر بطلا ممن يغالط في الحق لأن المغالط في الحق فقط قد يقدر ما هو حق في نفسه وما هو باطل ولكن المغالط مطلقا أى المسفسط المتعمد الذى يوفق بين الحق والباطل فماذا نسميه ؟ لا شئ غير أنه إنسان أراد أن يصبغ الحق الذى لا يعرفه ولا يحبه بالباطل الذى يألفه لئلا يصطدم مع مذهبه ، وهكذا يكون حال من يوفق بين دين حق هابط من السماء بكتاب منزل من الله وبين فلسفة كانت في عصر طفولتها كما كانت الفلسفة اليونانية القديمة ، وإليك مثالا من ذلك فطاليس يقول لا شئ في عالم الكائنات سوى الأشياء الكونية ، وأفلاطون يقول بالمثالية وهى عكس المادية بمعنى أنه خلق من عنده مثلا قائمة بنفسها تعلو على المادة فتنتجها أو تدبرها .

وتلك نظرية المثل الانلاطونية المشهورة وعنده أن المادة مجرد ظلال مظلمة خلقتها المثل وأما وظيفة الله في مذهبه وفي فلسفته وهنا العجب فهمى معطلة دون عمل لأن الله في عرفه مثال الخير الأعظم وله الكمال الذى يجعله لا يتحرك بالخلق والإبداع ولا إدارة الكائنات من حيث أن المثل الانلاطونية قد تولت هذه الوظيفة ، وبما أنه واحد منها فليس له من التدبير سوى أن يكون مثال الخير الأعظم فقط . ويتعالى الله عن ذلك علو كبيرا .

وإليك رأى تلميذه أرسطو القائل بأن الهيولا أصل الوجود ثم أن الهيولا تلبس صورا بفاعليتها ؛ وبالهيولة وصورها المتعددة يتم التكوين والإبداع وتتحرك قافلة الكائنات فان سألت أرسطو طاليس عن الله قال : انه موجود ولكن وظيفته منحصرة في أنه دفع الهيولا دفعة واحدة أول مره فقط ثم دخل مسرح الكمال من بين كواليس التجلة والإحترام ، وهذا يمنعه بحكم قداسه من أن يدبر عملا أو يدبر تدبيرا أو يعنى بمخلوقات خلقتها الهيولا . وكذب المبطلون لأن الله عز وجل بيده ملكوت كل شئ . وهكذا وعلى هذا القياس الخاطئ . أنتجت الفلسفات البدائية فكرة خاطئة عن الكون وعن الله بدليل أن العناصر في عرفها كانت أربعة لا غير : الماء والنار والتراب والهواء وأتلك في عرف الفلسفة الحديثة والعلم الحديث أيضا مركبات مكونة من عناصر أكثر

من إثنين وتسعين وتنحل هذه العناصر أيضا إلى كائنات خفية هي الذرات الذرية ما بين نويات وكهارب (نظرية الانوم الذرى) والنتيجة أن الفسكـر متطور وأن العلم متطور وأما الدين فإنه لا يتطور قط وهو ثابت في أصله الإلهى السامى لأنه الحق المحض الصالح لكل زمان ومكان فلا يقال بجموده ، ولذا لا يمكنه أن يعترض معترض على عدم تطور الدين في أصوله بحجة الوجود لأن الأصل الثابت لا يتطور ضرورة ولو تطور الدين في أصوله لتغير بحسب تغير الأزمان كما هي سنة التطور ولهذا تعددت الرسل وكلهم يضرّبون على وتر واحد هو التوحيد الخالص ويهدفون إلى حقيقة واحدة دائما في كل زمان وكل مكان هي عبادة الواحد الأحد .

وكذلك الفلسفة الصحيحة إذا تحدد تعريفها بكلمة واحدة هي (البحث عن الحقيقة) وبهذا تكون متفقه ضروريا في غاياتها مع الدين وغير محتاجة للتوفيق معه لأنهما توأمان وإن كان لكل واحد منهما منهجه الخاص .. وها قد رجعنا إلى بطلان التوفيق بين الفلسفة الصحيحة والدين الصحيح وإلى أن الواقع هو ما قدمناه من أن الدين الحق والفلسفة الصحيحة قد خرجا من نبع واحد وهدفا إلى غاية واحدة هي البحث عن الحقيقة المطلقة وإن تباينت الأساليب والمناهج وطرائق البحث ، فلو مثلنا للوجود السكونى بشجرة يراد دراستها وعرفان أصلها من فروعها إلى جذورها وتدخل الدين في هذه الدراسة ثم تدخلت الفلسفة . لا يكون الفرق بينهما إلا أن الدين أخذ في دراسته الشجرة من جذورها ليصل إلى جزعها ثم إلى فروعها وأوراقها .

وأخذت الفلسفة منهجا مغايرا ، ابتدأت في الدراسة بالأوراق فالفرعات فالفروع فالجزع بغية أن تصل إلى جزر الشجرة لتتيقن من وجود أصلها بعد أن درست فروعها وجزعها . وهنا يلتقى منهج الفلسفة ومنهج الدين في أفق اليقينية العامة وثمة هنا فارق واحد حقيقى بين منهج الدين الصحيح ومنهج الفلسفة الصحيحة وهو أن الدين في منهجه يبحث من الأصل إلى الفرع والفلسفة تبحث من الفرع لتجد الأصل ، فمنهج الدين واصل بالضرورة إلى عرفان مبدع

الكائنات أولا والإيمان به ثم دراسته أعيان الكائنات بعد هذا ليؤكد ذلك الإيمان الذى بدأ باليقين الشخصى الناشئ عن التفكير الحر لا التقليدى ، وهذا ما نسميه عالم المعرفة العامه الجامع بين نتائج الفلسفه ونتائج الدين ونتائج العلم جميعا فى رحاب حقيقة مطلقة. ويبقى علينا فى هذا المقام أن نزيد القارىء فكرة عن هذا الموضوع هى أن الفلسفه فى عمومها تجمع بين الحق والباطل ، والمنطق العقلى فى مجموعه يجمع بين اليقين والشك كما تقدم وبين الحقيقة والمغالطة (سفسطة) .

وأما الدين ومنطقه منطق الضمير والبصيرة فليس له إلا كلمة واحدة مستقيمة وهى أن الأمر إما أن يكون حقا حقا أو باطلا باطلا ، ومن جهة العمل إن خيرا خيرا أو شرا شرا . وأخيرا (افعل أولا تفعل) ولا يوجد فى الدين بين الحق والباطل أو الخير والشر درجات يتردد فيها بينها العقل لأن له لغة بسيطة تحمل معان صريحة وذلك هو منهج الحقيقة التى تجمع بين المنهج السليم فى الفلسفه والمنهج السليم بالضرورة فى الدين سواء فى عالم السلوك الخلقى أو فى المعتقد . ولذلك ترى أيضا أن الفلسفه الصحيحه ذات المنهج السليم تؤيد الأخلاق النافذة فى السلوك وتهدف إلى التثبت العقلى باليقين فى الفلسفه التى ان تكون سوى الوجه الآخر لليقين الدينى المسمى بالإيمان .

وهنا وفى هذا الأفق المتسامى من الدين والفلسفه بل قل ومن العلم أيضا يبرز نجم التصوف الذى هو فرع عن الدين ولكنه يجمع فى محيط قواعده بين معانى الدين الحق ومحطات النظر الفلسفى السليم فى خالق السماوات والأرض والأنفس ويجمع أيضا بين تحقيقات العلم ونفحات اليقين وأنوار الإيمان بغية الوصول إلى الحقيقة الإلهيه المطلقة الشاملة فى محيط قدس السراج لوعى العقل وإيمان القلب وعبوديه النفس وفى النتيجة التقرب الحق بالحلب إلى مبدع السماوات والأرض وبما أننا نهد بهذا الكتاب (كتاب المفتاح) للكلام فى الدين عموما وفى التصوف خصوصا فقد وجب علينا قبل أن ندخل بالقارىء فى هذا المجال العظيم أن نتكلم عن إثبات وجود الروح لأن وجودها هو المحور

الذى تدور عليه جميع أبواب التصوف وأحواله ومقاماته . وإذا قلنا التصوف
فإنما نريد التصوف الإسلامى الخالص لأن التصوف عموما هو اسم جامع
يجعل لكل ديانة تصوفها ما بين هندوكية وبوذية وزرادشتية ثم يهودية ومسيحية
وإسلامية . وأما نحن وفى هذا الكتاب إنما نريد التصوف الإسلامى المستنير
بأسائر كفايات التعقل والإحساس والإلهام وبما أن الروح أو النفس أمر عظيم
ينبى وجوده تبعاً لوجود الله جملة الملائكة والماديين والمشككين جميعاً وإثبات
وجودها هو السلم الصاعد الموصل لعرفان وجود الله ، لذا أراءنا أن نتكلم
فى الروح لا من جهة أصلها وإنما من جهة مجرد وجودها وأنها أمر روحى إلهى
طارىء على الطبيعة ولم يكن وحدة من وحدانها لاسيما وأن إثبات وجود الروح
متعلق بإثبات وجود الخالق المبدع عز وجل كما تقدم .

اثبات وجود الروح بالأدلة الحسية

اعلم أن الروح والنفس شيء واحد واختلفت التسمية لإعتبارين فهى الروح باعتبار إتصالها بمبدعها وناخها عز وجل وهى النفس أيضا باعتبار إتصالها بالجسد لإمداده بالحياة وتكوينها للغرائز الجسدية. وقد ذهب الماديون بين فلاسفة وعلماء الى أن مسألة وجود الله والنفس تكاد تكون ضربا من الخرافات بل هى نوع من الجهالة يأباه كل عقل تنور بالعلوم الطبيعية، وإثباتا لمبدئهم هذا صرفوا عنايتهم إلى البحث فى علل الكون الطبيعية بصرف النظر عن مبدعها، وفى البحث عن الحياة صرفوا النظر أيضا عن وجود حياة مستقلة وأخذوا فى الاكتفاء بعلم وظائف الأعضاء ومكوناتها من خلايا حية ووسط. تعيش فيه فزعموها أن القوى العقلية فى الانسان مصدرها الدماغ ولا صحة لصدورها عن مبدأ روحى غير هيولى، وأن نسبة الفكر للدماغ كنسبة الصفراء للكبد أو البول للكلب. وبالاختصار فإن الانسان فى عرفهم آلة مادية تتلاعب بها التأثيرات الخارجية الطبيعية وعند الموت يتلاشى منه كل شيء وينطفىء فيه الفكر مع انطفاء الحياة الطبيعية، وهذا مبدأ فاسد ورأى خاطيء دون شك؛ وأما الصحيح فهو أن التعمق فى علم الحياة تعمقا بعيدا عن الغرض والتجيز المذهبي يأتى صاحبه بأقوى دليل وأسطع برهان على صحة وجود النفس وتميزها عن الدماغ ووظيفته. وليس فى وسعنا الآن أن نأتى هنا بتفصيل العناصر المؤلف منها الدماغ ولا أن نشرح أجزائه ووظائفه بل نكتفى لضيق المقام بإيراد كيفية سريان الحس فى الأعصاب والأعضاء ووصوله إلى الدماغ ثم رجوعه إلى هناك بهيئة تأثير محرك.

أن الأعصاب المنتشرة على سطح الجسم، لا تؤثر فيه العوامل الخارجية على حد سواء بل تتابع مؤثرات معينة لإيجاد إهتزازات الألياف الدقيقة المؤلف منها الأعصاب السطحية، فثلا التأثيرات على النظر لا فعل لها فى عصب

السمع وبالعكس ، فإذا اتخذنا مثلاً حاسة البصر موضوعاً لبحثنا نرى أن الحركة التوجيهية في الأنثى تمتد إلى الطبقة البصرية المستقرة في وسط الدماغ . ومن هناك تندفع إلى مركز الحواس حيث تنتشر في الخلايا الدقيقة للمخ فيما يختص بالإبصار وتوقظ العناصر العصبية المتعلقة بالتأثيرات البصرية . وعليه فكل نوع من التأثيرات الحسية الخارجية تتفرق ثم تتجمع في مكان مخصوص من الدماغ وقد أثبت التشريح وجود أماكن معينة من الدماغ ونواح محدودة لكل حالة تتجمع فيها وتتكاثر ويتحول ما تنقله إليها الحواس من التأثيرات الخارجية وقد قام علماء الفيزيولوجيا ببعض اختبارات على الحيوانات الحية أظهرت أنها أهم بنوعهم من هذه الحيوانات قطاعاً مخصوصاً من المادة المخية تفقد قوة الإدراك للتأثيرات النظرية أو السمعية مثلاً بل أثبتوا بالامتحان أن دماغ الكلب ترتفع الحرارة في جزء من أجزائه بالنسبة للنوع من التأثيرات المتصلة إليه من إحدى الحواس .

وإذا سألنا الماديين كيف تتحول هذه الحركات الإهتزازية بعد وصولها إلى مراكزها النفسية من الدماغ إلى أفكار ذهنية فهمية ؟ فيجب علينا أن هذه الإهتزازات جنباً تباع الفلالي الحسية من الدماغ يحدث فيها من رد الفعل ما يحدث في خلايا النخاع الشوكي . فغير خاف على أحد ما يتم في حادث رد الفعل هذا وهو أن محركات الأعصاب الحية تنقل إلى الفلالي الدقيقة من النخاع الشوكي تهيئاً ، ينعكس إلى الفلالي الغليظة فتهتز الأعصاب المحركة المناسبة لها وعلى هذه الصورة يرد الإهتزاز إلى نقطة مصدره تحت هيئة تأثير محرك . هذا ما يحدث في ضفدعة قطع رأسها ومع هذا فتتشنج رجلها لدى مسها بحامض مهبج .

فالامر نفسه يحدث في المؤثرات الطارئة على الفلالي الحسية من الدماغ أي أن القلية القشرية عندما يبلغها الإهتزاز الخارجي تنقبه حاسيتها الذاتية وتفرغ القوة الكاملة فيها ثم تمتد الحركة إلى ما جاورها من الفلالي وتواظ القوات المضمرة فيها حتى تبلغ الفلالي الغليظة . وهذه تنقلها إلى الطبقة الرمادية

ذات الاغاييد من الدماغ التي تقوى الاهتزازات وتدفعها إلى الأعصاب تحت هيئة تأثير أو بالأحرى أمر محرك أو ردود أفعال .

إننا نسلم مع ناكرى النفس بكيفية مجرى الحس هذا المعبر عنه بالاهتزاز العصبي وبلوغه إلى الدماغ ثم إرتداده من هناك تحت هيئة أمر محرك . ولكن فأت خصوم الروح حادث خطير جرى ما بين هذا البلوغ والإرتداد وهو حادث الإدراك الذهني أى دراية الشخصية الإنسانية بما يحدث من الأمور الخارجية وتأويل معانيها لأن تلك الاهتزازات والتهيجات العصبية ما هي إلا حركات مادية تولد حركات أخرى . ولكنها لاتحدث بنفسها إدراكا ولا وعيا نفسانيا وما نتيجتها سوى أن تنتبه القوة العاقلة لإدراك مصدر هذا التنبيه وعلته وغايته . وبدون ذلك لا يكون الاهتزاز أو الحركة الخارجية أدنى مفعول فى قوة الفهم .

أن القلية العصبية المركبة من كميات متناسبة من السكولسترين والماء والقوسفور وحامض الكربوك ... الخ . . ليست بذاتها قوة مدركة . والحركة الاهتزازية هي بذاتها حركة مادية محضة فكيف أن اهتزاز هذه القلية العصبية وانتصابها يولد إدراكا ؟ هذا ما عجز الماديون عن تبيانها أما الفلاسفة الروحانيون فيعلموننا بوجود شخصية عاقلة فينا تدعى نفسه تنتبه بهذا الاهتزاز إلى ما طرأ من الحوادث الخارجية وعند ما يتم انتباهها هذا يحدث الإدراك . ويؤيد ذلك بأجلى بيان حادث الذهول مثلا عندما نكون مستغرقين داخل حجرتنا فى عمل من الاعمال وقد نشغل عن سماع دقائق الساعة بل عن صوت ناقوسها أيضا . ومع هذا فإن الاهتزازات الصوتية أثرت فى عصب سمعنا وبصرنا وبلغت حتى الدماغ الباطنة بدون أن تنتبه لها بل وقد يمر علينا صديق لنا أو قريب عزيز علينا ولا تنتبه لمروره وما ذاك إلا لسكون نفسنا مشغلة بأفكار أخرى ولم تنتبه ولا أثرت فيها اهتزازات القلالي الدماغية فلم يحصل الإدراك السمعى أو البصرى .

وبالاختصار أن المادة كانت موجودة فى مخنا ولكن لم يكن لها بنفسها

إختيار ولا تميز من تلقاء نفسها ، والنتيجة أن المادة الدماغية هي آلة لتبيان إحساسات النفس العاقلة وأفكارها فلا تعقل يصدر بواسطتها من التعبيرات الفكرية أو التأثيرات العصبية كما أن آلة الساعة مثلا لا تدرك حركة الأوقات التي تشير إليها وكما لا تدرك قراطيس الكتابة الأفكار المسيطرة عليها . ومن زعم أن الدماغ يدرك التفكير فهو كمن يزعم أن الساعة تدرك حركة الوقت والفرطاس معاني الكتابة . وقد قرر علماء الفيزيولوجيا إجمالا أن كل حركة تصدر من الانسان أو الحيوان يصحبها إحتراق جزئي في المادة العضلية وكل فعل من الإرادة أو الحس يأتي عنه تعب في الأعصاب وكل عمل فكري ينتج عنه اتلاف في الدماغ بدرجة أنه لا يمكن لذرة واحدة من المادة أن تصلح مرتين للحياة ، فعندما يبدو من الانسان أو الحيوان عمل عضلي أو عقلي فالجزء من المادة التي صرفت لصدور هذا العمل تنلاشى تماما وإذا تكرر العمل فمادة جديدة تصلح لصدوره ثانية وهلم جرا . وهذا الاتلاف في خلايا المادة الحية يحدث لمناسبة قوة الظهورات الحيوية فكلما اشتد ظهور الحياة إزداد تلف المادة الحية ، إنما هذا الإستهلاك الدائم يصحبه تعويض متعل من المادة المتجددة الداخلة في الدم بواسطة الهوام والمواد الغذائية وهذان العاملان أي عامل الاتلاف وعامل التجديد مرتبطان ببعضهما في الخلايا الحية إرتباطا لا ينفصم ادرجة أنه يمكن القول بأن الاتلاف شرط ضروري للتعويض ، وهذا العمل الثاني أي العمل التجديدي هو عمل باطنى سوى لظهور له في الخارج في حين أن عوامل الاتلاف تبدو ظاهرة للعيان فتدعوها ظواهر الحياة وما هي إلا بوادى الموت لأن ظهورها لا يتم إلا باتلاف جزء من أنسجتنا العضوية . فينتج مما تقدم أن وسط تنازع هذين العاملين الاستهلاك والتجديد يتجدد جسمنا مرارا عديدة في مدة الحياة ويتم هذا التجدد على ما ارتأى الفيزيولوجي (مولشوت) في كل ثلاثين يوما . أما (فلورنس) فيزعم أن ذلك لا يتم إلا في كل سبع سنوات . وقد قام هذا العلامة بامتحانات على الأرباب أثبت فيها تجدد عظامها ذرة فذرة في مدة محدودة . على أن نأكرى النفس

يزعمون أن قوة الذاكرة ، عبارة عن إهتزازات فسفورية تختزن في القلية العصبية من الدماغ ، بعد وصول التأثيرات الخارجية إليها . فان صح ذلك وتقرر أن كل ما فينا من العظام والأنسجة العضلية والخلايا العصبية تتلاشى في مدة معلومة اقتضى لقوة الذاكرة أن تتناقص فينا بالتدريج إلى أن تتلاشى تماما في مدة أقصاها سبع سنوات وعلى هذا فاضطر في كل سبع سنوات لتجديد كل ما تعملنا سابقا . والحال أننا نشعر بأن الأمر ليس كذلك وأن تيار المادة المتجددة في اتصال لا يحدث أدنى تغيير في ذاكرتنا وأن أمورنا وقعت معنا أيام الصبا تخطر على بالنا في زمن الهرم وهذا لا ينفي أن قوة التيار تضعف بضعف قوة الجهاز وهذا لا يقطع في قوة التيار نفسه كالمسلك الكهربي مثلاً إذا ضعف ضعفت قوة التالى الكهربي بالضرورة ولكن هذا ليس معناه أن التيار الكهربي باني نفسه قد ضعف وبالإجمال إن كل ما فينا من قوة معنوية يؤيد ثبات شخصيتنا وعدم تغييرها برغم تغيير كل ذرات كياننا المادي . وهذا دليل قاطع على وجود قوة روحية فينا تدعى نفسا يقيمها جوها البسيط من التحويلات والتقلبات الطارئة على المادة الهولية المركبة وفيها ينطبع ذكر الحوادث الماضية والعلوم التي اكتسبناها باجتهاد العقل والفكر . وما عدا ذلك فان العناية الالهية نهتتنا في هذا العصر بواسطة الأبحاث النفسية إلى ما يؤيد لنا وجود النفس بنوع حسي مثل الأبحاث المغناطيسية الحيوانية ، وبها نشاهد انفصال الروح عن الجسد وقيامها بأعمال مدهشة تنبئ عن صحة وجودها الذاتي وصدور أعمالها الفكرية بمعزل عن الحواس ؛ وهذا العلم علم البنوتزم اليوم في عداد العلوم الطبيعية هو وعلم النفس عموماً .

الإنسان

إذا نظرنا إلى الإنسان نجده مركبا من ظاهر مشهود وباطن معقول . أما الظاهر المشهود فهو الجسم بأعضائه التي تكون وظائفه الحيوية وكل عضو منها يكون جهازا عاما تظهر فيه الحياة وتسير فتجعله قابلا للتغذية والنمو والتناسل باستهلاك الخلايا الحية وتحدد لها أطوارا أطوارا وهكذا دواليك وكل عضو يؤدي وظيفة لها غاية طبعها في سلم التطور الحيوى كالجهاز العظمى الذى هو عماد البدن المشتمل على مائتين وثمانية وأربعين قطعة . والجهاز الدورى الذى يوزع الدم على الجسم للتغذية . والجهاز التنفسى الذى يأخذ الهواء من المحيط الجوى لإصلاح الدم ثم يرده . والجهاز الهضمى الذى يهضم الأطعمة . والجهاز البولى الذى يفرز البول من السكلى . وجهاز الحركة الذى بواسطته ينقل الإنسان من مكان إلى مكان . والجهاز التناسلى الذى به يتجدد أشخاص النوع . والجهاز العصبى الذى يكون الاحساس والإدراك وهذه الأعضاء مركبة من العناصر التى هى فى تحليل وتركيب على الدوام . وعند مفارقة الروح لها يذهب كل عنصر إلى أصله السكلى وهو المعبر عنه بالموت والهلاك (كل شئ هالك إلا وجهه) . وأما الباطن المعقول فهو النفس الناطقة أو الروح التى هى لطيفة ربابية ليست مركبة ولا بسيطة ولا متحيزة . بل إنها تشرق على الأجسام إشراق تديير ، ومتى قبض ذلك الاشراق عند إنقضاء الأجل حصل ما يسمى بالموت الحيوانى . وتلك اللطيفة الإلهية لها قوى متنوعة فمنها ما هو إدراكى حسى كقوة السمع والبصر والشم والذوق واللمس والחס المشترك فى مقدم الدماغ والخيال الذى يليه إلى خلف والفكر وهو الإدراك العقلى فى وسط الدماغ والوهم فى مؤخر الدماغ والحفظ يليه إلى الخلف وهذه القوى كلها خاصة بالناحية المعنوية ومنها ما هو لخدمة البدن وهو القوة الهاضمة والماصة والمغذية والمفرزة والماسكة والمحركة والمولدة . فهذه سبعة . ثم منها الشهوة والغضب

والجرمة والنجل والخوف والعقل ، فالشهوة لجلب المنافع وإستمرار الحياة
والغضب لدفع المضار والجرمة للسيطرة والنجل للشحور بما يذرى
والخوف للفرار .

الروح

والروح هى اللطيفة الالهية الباعثة على الحياة فى الجسد بأمر من الله وبأمر
آخر تترك الجسد راحلة إلى عالمها الالهى . فالأرواح خالدة بعد فناء الأجسام
أما فناء الأجسام فيحدث ، فتحللها إلى عناصرها وهذا لا يقتضى طبعا فناء الروح
بفناء الجسد لما تقدم من أن الروح نور إلهى مشرق على جسد الانسان عند
تكوينه فيحييه كما يشرق الضوء المكهربانى فى غرفة لينيرها والضوء المكهربانى
لا يضىء إلا بجهاز هو المصباح المكهربانى فإذا كسر المصباح تظلم الغرفة وليس
هذا معناه أن التيار المكهربانى نفسه قد تلاشى وإنما تقبض عن أن يشع
فى المصباح وهذا مثال لإشراق الروح على الجسد لتحبيه فإن فى الجسد
تقبض عنه الروح ولسكنها لا تنفى لفنائها . وأما الأرواح فلا تركيب فيها حتى
تحلل بل هى بسيطة وخالدة أبدا فى نعيم ان كان صاحبها خيرا ، وفى جحيم
إن كان صاحبها شريرا .

(مطالب الروح)

ومطالبها هى أرزاقها المعنوية وهى تغذيتها بالعلوم ثم بالاعتقاد الحق
والعبادة المقربة إلى الله والفضيلة الشخصية والأهلية المدنية . أما الاعتقاد
الحق فهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبقضائه وقدره ،
وأما العبادة المقربة فهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت عند الاستطاعة بالصحة
والمال والأمان . وأما الفضيلة الشخصية فهى معرفة الفضائل والتخلق بها
ومعرفة الرذائل والبعد عنها ، والفضائل مثل العلم والعفة والشجاعة والعدل الحلم

والصبر والكرم والصدق والأمانة والتواضع وحب الخير للناس . والرزائل
أضدادها من الجهل والشره والجبن والجور والسفه والجزع والبخل والكذب
والخيانة والكبر وحب الشر للناس ، وتلك هي الفضائل الاجتماعية ويضاف
إليها الفضائل العائلية الخاصة مثل الحقوق الواجبة للوالدين والأولاد والأخوة
والأخوات والزوجة والخدم والعمل بها . وأما الأهلية المدنية فهي معرفة
الحقوق الواجبة للأقارب والجيران وأهل بلده خصوصاً والناس عموماً
والعمل بها فتي عرف الإنسان كل ذلك وأداه على وجه الاعتدال كان سعيداً
في الدنيا والآخرة .

الخلق

وينبغي على الفضائل المتقدمة وأضدادها من الرذائل قانون إلهي غير مكتوب إلا في الضمائر والقلوب وهو القانون الخلقى . والخلق هو الإيزان والتوافق الذى يؤلف بين غرائزنا ومواهبنا العلمية بغية إتباع الخير الأعلى ثم التسامى بالآنية الشخصية وغرائزها إتباعا لسير الترقى يوما فيوم بحيث يكون المرء فى يومه خيرا من أمسه وفى غده أرقى من يومه . فإن كبا الإنسان فى بعض الاحايين فيجب أن يعقب كبوته النهوض على الفور دون تساؤل أو تردد أو أى إلتفات إلى الوراء أو إلى ذكر ما حدث من خطأ للوقوف معه وإنما يجب حصر التفكير كله فى النهوض والإصلاح .

والفضيلة على التحقيق ليست هى اللذة ولا السعادة ، وما السعادة أو اللذة إلا حالات قد تتبع الفضيلة فى سيرها باعتبار أنها من نتائجها وإنما الفضيلة هى التشبه المختار بكل خلال الخير وتحكيم قانون الاخلاق العام فى السلوك الشخصى ومن اللازم أن تكون الفضيلة قيمة قائمة بذاتها وأن ينقاد الإنسان فى تصرفه لمجرد الواجب لا للمنفعة ولا للذة ولا للسعادة .

وتوازن السلوك الشخص لا يتحقق إلا باتهام النفس فى رغباتها والإخلاص فى النصيح لها والصراحة معها ، ولا نجاح الإنسان فى الحياة إلا بتحقيق ذاته وتحقيق الذات هو سيطرة الإنسان على سائر ميوله وقواه والتحرر من أهوائه التى قد تخرجه عن توازنه أو تشقت لإجتماع مواهبه أو توجج نيران غرائزه . فيفنى فى جملة شخصيات وتقاليد وعادات لا تناسبه فيعيش وكأنه غير ما هو فى نفسه قياسا على حياة غيره لا على ما يجب لنفسه أو عليها . وتحقق الفضيلة ويتقوم الخلق بتدريب النفس على طاعة أوامر الله وإجتناب نواهيه وذلك بحقائق الإسلام تطبيقا وعملا ثم بحقائق الإيمان تفكيراً ومعتقداً ثم بأحوال الأحسان خشية ومراقبة وهذا لا يتم فى كماله إلا بسلوك طريق الله وهو التصوف

منازل النفس وطرورها
في سلوكها الطريق إلى الله

ومقاماتها سبع :

- (الأول) مقام ظلمات الأغيار وتسمى النفس فيه بالامارة .
- (الثاني) مقام الأنوار وتسمى النفس فيه لوامة .
- (الثالث) مقام الأسرار وتسمى النفس فيه ملهمة .
- (الرابع) مقام التوازن . وتسمى النفس فيه مطمئنة .
- (الخامس) مقام الوصال وتسمى النفس فيه راضية .
- (السادس) مقام تجليات الأفعال الإلهية وتسمى النفس فيه مرضية .
- (السابع) مقام تجليات الأسماء والصفات الإلهية وتسمى النفس فيه كاملة .

وتلك درجات للنفس تعتبر فيها النفوس سبع باعتبار ترقيا من درجة إلى درجة بحسب أوصافها وإلا فهي واحدة باعتبار أصلها الإلهي . الأولى النفس الأمارة بالسوء وهي لأنامر صاحبها بخير قط ، فإذا جاهدتها صاحبها وخالفها في شهواتها حتى أذغنت لإنباع الحق وسكنت تحت الأمر التكليفي الإلهي تيقظت وليكنها كثيرا ما تغلب صاحبها بحكم غرائز الجسد في أكثر أحوالها ثم ترجع على نفسها باللوم على ما وقع منها حينئذ تسمى لوامة وهي الثانية ، فإذا أخذت في المجاهدة والكبد حتى مالت إلى عالم القدس واستنارت بحيث ألهمت فجورها وتقواها سميت ملهمة وهي الثالثة وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية ودسائس خدينها الشيطان من الرياء والعجب وغير ذلك فإن ألزمت المجاهدة حتى زالت عنها حجب الشهوات وتبدلت صفاتها المذمومة بالمحمودة وتخلقت بأخلاق الله

تعالى الجماليه من الرأفة والرحمة واللفظ الكرم والود سميت مطمئنة وهى
الرابعة ، وهذا المقام هو مبدأ الوصول إلى الله تعالى لسكنها لا تخلو من دسائس
خفية جدا للشيطان كالشرك الخفى وحب الرياسة إلا أنه لحفاء تلك الدسائس
ودقتها لا يدركها إلا أهل السلوك إلى الله أولئك الذين نور الله بصائرهم بنور الإيمان
والاخلاص فيجربى فى النفس الصلاح كما يجربى الماء فى العود ، وتحلى بالصفات
الكريمة كالكرم والحلم والتوكل والزهد والورع والشكر والصبر والتسليم
والرضا بالقضاء مع إنكشاف بعض الأسرار وإنخراق بعض العوائد وظهور
الكرامات وربما ظن صاحبها عند عدم اليقظة أنه الإمام الأعظم وأن مقامه هذا
المقام الأفخم لأن الحجب هنا نورانية بعد أن كانت ظلمانية . وذلك من جملة
الدسائس النفسية إن الشيطان ليحربى من ابن آدم بحربى الدم فى عروقه فاذا
أدركته العناية الإلهية وإستند إلى شيخ كامل يبصره بالطريق ولازم المجاهدة
حتى تتمكن من نفسه الصفات المحمودة دون المذمومة وينقطع منه عرق الرياء
والفخر وقد صارت نفسه مطمئنة حقاً واستوى عنده المدح والذم دخلت نفسه
فى مقام الفناء ورضيت بكل ما يقع فى الكون من أقدار سميت راضية وهى
الخامسة . ولكن رؤية الفناء والإخلاص ربما أوقعت فى النفس شيئاً من
العجب ورؤية النفس فيرجع القهقري ، فيجب أن يستعيز بالله من ذلك مع
مداومة الذكر والاتجاه إلى الله تعالى وملاحظة أنه لا يتم له الخلاص إلا بمدد
من شيخه فاذا فنى عن رؤية النفس وعن الفناء وخلص من رؤية الاخلاص
تجلى على نفسه ربه بالرضى الكامل فصارت مرضية وعفى عن كل ماضى منها
وتبدلت سيئاتها حسنات ؛ فاذا انفتحت لقلب السالك أبواب الاذواق
والتجليات وصارت نفسه غريقة فى بحار التوحيد وآنتها بلابل الامرار
بالتغريد حدث الشهود فصارت نفسه كاملة لأنها بعناية الله مرعية وبفضله مقربة
وتلك هى الدرجة السابعة إلا أن صاحب المهمة العلية لا يرضى بالوقوف عند
هذه المقامات وان كانت سنية بل يسير من الفناء إلى البقاء ويطلب وصل
الوصل بتمام اللقيا فتناديه حقائق الأكوان : إنما نحن فتنة فلا تسكن . وأن إلى

ربك المنتهى . فاذا سار إلى منازل الأبطال وخلف الدنيا بقلبه وراء ظهره ناداه ربه بأحسن مقال : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وحينئذ يدخلها ربها في عدد أهل الإحسان ويخلع عليها حُلل الرضوان ويدخلها جنات الشهود ويجلسها في مقعد صدق عند مليك مقتدر . وفي هذا المقام تكون قد أتمت طور المجاهدة والمكابدة لأن صفات الكمال صارت لها طبعاً وسجية، ولذا سميت النفس في هذا المقام بالكاملة .

الخلاف المتوهم بين الدين والعلم والفلسفة

قدمنا أن الخلاف المتوهم بين الدين والعلم أو بين الدين والفلسفة خلاف وهمي ، وإيضاحا لذلك نقول : أن الفرق بين الدين والعلم والفلسفة فرق اعتباري منهجي في تصور النظرة للوجود التي تختلف بحسب كفايات الإنسان .

وكفايات الإنسان عندى ثلاث وإن جعلها علم المعرفة الحديث كفايتين وقصرها على الإدراكين العقلي والحسي . وتلك الكفايات هي : كفاية الحس وكفاية العقل وكفاية الوجدان أو البصيرة . وبعبارة أخرى : الخبرة الحسية والخبرة العقلية والخبرة الذاتية أو البصيرية أو قل الشعورية . فالخبرة الحسية موضوعها العلم بمعناه الحديث والخبرة العقلية موضوعها الفلسفة في عصورها الثلاثة : القديمة والوسطى والحديثة ، والخبرة الوجدانية أو البصيرة الذاتية موضوعها الدين أو التصوف في معناه الخاص بالروح والقلب .

فالناظر من منهج العلم أو الفلسفة إذا نظر للدين من زاويته الخاصة رأى فريقا بعيدا أو قريبا في أوجه النظر .

وإن نظر الباحث للوجود من سائر زواياه بواسطة الدين والعلم والفلسفة والتصوف تقاربت عنده وجهات النظر بل توحدت كلها في ميدان المعرفة العامة .

ولذلك فإنه حين يبدأ العلم بالبحث عن أسباب الأشياء الكونية وأصلها وغاياتها يتجه إلى الفلسفة . وحين ينتهي من خبرته الواقعية في الظواهر الحسية تبدأ الفلسفة بموضوعها وهو الخبرة العقلية المنطقية لتربط نتائج البحوث العلمية بوشائجها العقلية التي توحد بينها فتكون حلقات المعرفة العامة باحثة عن العلة الأولى المتوحدة في الوجود وذلك لا يكون إلا بتوحيد

وجهات النظر العلمى والفلسفى والدينى .

فوسائل الدين ووسائل العلم ووسائل الفلسفة متوحددة فى نتائجها فعلا وإن تغاير المنهج ، فلا يوجد بينهما تناقض قط لا فى المبدأ ولا فى الغاية وليبان ذلك نقول أن دوائر المعرفة تنحصر فى العلم بطبائع الأشياء والعلم بالدين والعلم بالفلسفة والعلم بالتصوف . ولذلك يتوحد بها إسم المعرفة العامة وينتهى أمر الجميع إلى اليقينية الوجودية أو إلى عالم المعتقد وهو مراد الكلمة الإيمان أو عالم مافوق العقل والحس بيد أنه متصل تمام الاتصال بمنطق العقل والحس .

وإن الحقيقة الواقعة بالفعل هى أنه يلزم عن وحدة ذات الله وحدة أفعاله ، وهى نبع الوجود ومصدره ومدد الكائنات الممكنة المحدثه اللازمة عن تلك الأفعال الإلهية مهما تنوعت مظاهرها وعلاقتها ويكون اللازم دائماً تابعاً للملزوم ضرورة إيجاداً وحالاً وصيرورة لأنه ناتج عن وجوده كالإنسان وصورته فى المرأة مثلاً ، فقد يسميان شخصين وإنما هما شخص واحد وطيفه فقط ، كالشمس وظلها وكالماء وما ينتج عنه من ثلج مثلاً ؛ ويستفاد من جميع ذلك أن كل ما نراه ونحسه من الكائنات مجرد ظواهر متحولة لحقيقة واحدة تحتويها الوجود الإلهى المطلق فى شموله ولا تحتويها الظواهر فى تعددها وتغايرها تلك التى ليس وجودها إلا وجوداً اعتبارياً غير مستقل ولا مستقر ولا قيام لها بنفسها وإنما وجودها مستعار من وجود مبدعها الواحد الأحد وكيانها مستمد من كينونته وكل ما هذا شأنه فى وجوده وحركته ومصيره لا يكون وجوده إلا وجوداً سلبياً فقط أو صدى لوجود غيره ويكون ذلك الغير هو علته ومبدعه وهو الله سبحانه وتعالى .

ولو فكرت مثلاً فى تسلسل الكائنات وعللها القريبة والبعيدة لرأيت بجلاء ينفى كل شك كيف أنها تسلسلت عن فعل الله وتسلسل الأثر عن المؤثر ويقوم البعض الآخر مقام العلة القريبة وهكذا دواليك حتى تصل فى النهاية إلى علتها الأولى وخالقها الأعظم وسببها الأول المتفرد بالخلق والإبداع والسلطان

والإحاطة والاحدية والازالية والأبدية جميعا .

وبهذا وذلك من الحق تتوحد حقيقة المادة وحقيقة الفكر في إطلاقهما ويرتدان إلى أصلهما كظهيرين أو كمنشطين متقابلين متجاوبين لحقيقة واحدة خفيه هي خصائص الخالق المبدع، وهي تعمل مستترة عن الأبصار ولا يرى منها إلا آثار فعلها، وتلك العلة المتوحدة المحجبة بأستار الكائنات الإمكانية والمظاهر الكونية إن هي إلا مجرد نشاط صفات الله كما قدمنا .

وهكذا يكون الوجود في مجموعه بما يتضمن من مادة وقوة وحياة وفكر وحدة شاملة كاملة بدأها الله بنشاط خصائصه إبداعا وتكويناً وطبعها بطابع وحدته لأنه واحد وهو الخالق المبدع . ثم أنها تتطور إليه عودة ونهاية طالبة للكمال الإلهي (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)

التصوف

أما وقد تبين لك كيف أن كل ما في الوجود المكون من سمائه لأرضه لكائناته المتعددة وأجزائه المتنوعة من نظام وحكمة وإقدار وأسباب ومسببات وعلائق كلها تدل على العبودية الصحيحة لله عز وجل .

وكل ما ذكرنا هو الموضوع الحقيقي للتصوف من ذكر وفكر وعبادة بعد النظر في خلق السموات والأرض والانس ومنهجه يدور حول معتقد صحيح ونظر سليم وتوحيد للحقيقة دون توهم ، ثم النظر في الحلال والحرام وما يجب وما يمتنع من الأفعال والأقوال جميعا ، وبعباره أخرى أن التصوف وهو النوجه الصادق لله والنظر في أفعاله الباهرة الباعثة على التعرف إلى ذاته وصفاته ، ثم شكره وخشعته وعبادته عبادة نقية صحيحة ناشئة عن وعي سليم ومعتقد مبصر مضاهية لقول الله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار) وتلك آية من آيات الكتاب العزيز لا يكفى في تفسيرها أو تطبيق مضمونها مجرد العبادة السطحية وإنما المدار فيها على النظر في صنع الله وما أبدع .

فإن النظر في خلق السموات والأرض والإكثار من ذكر الله تعالى وارتياذ موارد التقوى والتبتل إلى الله بحسن الطاعة واجتناب موارد المعصية كل هذه الخلال من صلب التصوف وأصوله . فإذا كان هذا هكذا وهو الحق كان التصوف روح الاسلام ولبابه لأن الدين في معناه الصحيح لا يخرج عن معتقد سليم وطاعة بإخلاص وتعامل بإحسان وقسطاس مستقيم .

والمعتقد السليم لا يصح إلا بالنظر الذاتي في الكائنات وفي الانفس حتى

تبيين للذهن والشعور آيات الله واضحات مسلمات للنظر القلبي والفكري معا
وحينئذ تبني عليها قواعد الايمان الصحيح المتين والاسلام الخالص .

والطاعة لا تكون عملا خالصا لوجه الله حتى توئلها النية الصالحة والنية
الصالحة لا تكون صالحة حقيقة حتى يراد بها وجه المعبود خالصة دون
شائبة من رياء أو نفاق أو شرك . وذلك ما يتميز به أهل التصوف الحق في
عقائدهم وعباداتهم وتعاملهم مع الناس لأن الصوفي الصادق يمضي أيام حياته
بين عاملين مختلفين ، إن غاب عن شهوده لأحدهما لن يأمن العاقبة على نفسه
ولا على مصيره عند الله ، هما الخوف والرجاء ، الخوف من قهر الله وسلطانه
والرجاء في رحمته وغفرانه وهما بالنسبة لاستقامة مسلك النفس وسلامة
اتجاهها فهو دائما بين خوف وطمع : خوف من عدل الله وطمع في رحمة الله .

أما للفقه في الدين عند الصوفي وهو أساس علمه وعمله فهو الفقه في منهج
الصحيح ، والفقه الصحيح هو الفهم المستوجب لأحكام الله في كتابه وسنة
رسوله ثم تطبيق ذلك الفهم على العمل . ومن أقوالهم المشهورة في ذلك « عمل
بغير علم لا يكون وعلم بغير عمل جنون » فالقوم لا يعتمدون في باب العلم والعمل
على مجرد حفظ قواعد الفقه والتصوف أصولا أو فروعا دون فهم صحيح لدلالاتها
والاخلاص في تطبيقها ودون التقدير لمقاصد الشارح وغايته فيها كما يفعل بعض
فقهائهم الرسوم وصوفية الظواهر الذين يعملون ولا يعملون بما يعلمون وإذا عملوا
لا يفقهون دقائق ما يعملون لدرجة قد تخرج العمل عن اسم الاخلاص إلى الرياء
والعياذ بالله أو غير الرياء من عدم استيفاء القصد وتوجيه النية المحسنة وفي
الحديث « رب حامل فقه وليس بفقيه » .

والتصوف الاسلامي الصحيح هو الهدف الأول للقرآن وهو حياة السنة
وتمام النعمة الواردة في قوله عز وجل « وأتممت عليكم نعمتي » وهو كما قدمنا
درجة الاحسان التي تأتي بعد الاسلام والايمان ترقيا كما ورد في الحديث عن
جبريل حيث سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال (بأن تعبد

الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أما من حيث أن التصوف الاسلامي أول أهداف القرآن فن وجهين :

الاول: أن ثلثي آيات القرآن تقر بها حث على التصوف الصحيح وامتداح أهله من حيث كان التصوف هو علم الصدق مع الله والاخلاص لله واليقين بالله كما جاء في سائر الآيات التي تذكر المحسنين والصادقين والخجبتين والموقنين والصابرين والراضين وعباد الرحمن الذين يقول الله فيهم للشيطان (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ويقول الشيطان نفسه استثناء لهم في خطاب لربه (إلا عبادك منهم المخلصين) وفي قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وقوله (أولئك حزب الله) وفي ذكر المتقين عند قوله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي قوله (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) مضافا إلى ذلك كله الآيات التي تحث على النظر إلى خلق السموات والأرض وفي الانفس وفي الآفاق الخ .

وأما من حيث أن التصوف روح السنة فعلوم أن للرسول صلى الله عليه وسلم أقوالا وأفعالا هي الطريقة (طريقة الاستقامة) وبعبارة أخرى سلوك الصراط المستقيم . وله أحوال مع الله هي سبيل الحقيقة ولذلك تقول الآية التي يذكر فيها الجهاد - جهاد النفس في الله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي بجموع السبل الموصلة إلى الله من علم وعمل وحال . ومعلوم أيضا أن الشريعة كلها أقواله عليه الصلاة والسلام . وأن الحقيقة أحواله وأن الطريقة أفعاله وتقوم على أقواله شريعته المطهرة وعلى أحواله المتسامية صلته بالله ، ويقوم على أفعاله الكريمة الطريقة الموصلة إلى الله وهي النتيجة المحتومة لأفعاله ﷺ وهي المثل الأعلى للإسلام والايمان وأوج الاحسان ويكون التصوف دون ريب أقرب المراجع إلى الله عز وجل ومنهج الصلة به .

ومن كتاب الله يرتكز التصوف الحق على ثلاث آيات أما الأولى : فقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) . وأما الثانية فقوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) . وأما الثالثة فهي قوله تعالى لرسوله ﷺ (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك

عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) إلى قوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أما الأولى ففيها الهداية (الوسائل الموصلة أو مجمرع الطريق إلى الله) وهى خاصة بالذين جاهدوا في الله أنفسهم. والجهاد لله ليس قاصرا طبعاً على جهاد الأعداء في الدين وإنما الأمر كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «قد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قيل وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ فقال: «جهاد النفس»، ورأينا أن الجهاد مطلقاً يعم سائر أعداء الله من النفس الأمارة والشيطان وغير ذلك، وأكمل عز وجل الآية المباركة بقوله (وان الله لمع المحسنين).

وتلك المعية لا تكون إلا لقوم يحبهم الله ويحبونه وبالتالى لا تكون إلا للمحسنين من أهل التصوف الصحيح استثناء من المسلمين عامة والمؤمنين خاصة على قاعدة حديث جبريل المبين فيه الإسلام والإيمان والإحسان.

وأما الآية الثانية فى قوله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا) يخاطب المؤمنين، والمؤمنون صفوة المسلمين قائلًا (ألم يأن) أى ألم يأت الأوان ولم يحن الحين ويحى الوقت ويأذن التوفيق الإلهى للذين آمنوا أن يكونوا من المحسنين فتخشع قلوبهم لذكر الله، وخصص هذا الذكر تعظيماً لفضله على سائر العبادات حتى على الصلاة لأنها على فضلها بعض الذكر وليس الذكر على شموله بعض الصلاة، وهذا ظاهر فى قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ثم قال (ولذكر الله أكبر) أى أكبر نهياً وأعظم درجة من حيث أنه ذكر عموماً باللسان وبالقلب أو بالروح (وما نزل من الحق) معناه ما نزل من عند الله فى الكتاب من الفسك والذكر والمعتقد والعبادات والمعاملات وبعبارة أخرى كل ما جاء به الرسول من عند الله. وسائر ما فى كتاب الله باطناً معنوياً، أو ظاهراً تعبدياً، أو أمراً تعاملياً أو خلقاً مكتسباً.

وفى الآية تذكير وتخصيص وتقدير معناه إفزاع هذه القلوب إلى الله وإلى حبه وتقديسه جملة وتفصيلاً وهذا مقام لا يخاطب فيه إلا أهل التصوف الحق وهم أهل درجة الاحسان وأصحاب المعية مع الحق فى قواه تعالى

(إن عبادى) وقول الشيطان له (إلا عبادك) كما تقدم؛ فإيه النسبة هاهنا وأيضاً الكاف الضميرية تعودان مباشرة إلى جناب الحق عز وجل .

وفوق هذا — وذلك ليعلم المسلمون والمؤمنون والمحسنون جميعاً أن رسولهم محمداً صلى الله عليه وسلم أمر بأن يتعبد فى غار حراء قبل الرسالة ذاكرًا متبتلاً إلى أن هبط عليه جبريل بالوحي . وبعد الوحي والرسالة أمره الله تعالى فى قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية السالفة أى دون شوب من المطالب الدنيوية أو الآخروية . ولما هبط عليه جبريل بالوحي وأنزل عليه القرآن هبطت معه السعادة والسرّاط المستقيم وهو الإسم الآخر لطريق الله وبعبارة أخرى للتصوف الإسلامى القويم الذى يسع جميع البشر .

وخلاصة الرأى فى هذا المقام أن التصوف يهدف إلى تكوين الشخصية المتدينة الرشيدة مستعيناً بالعقل المدرك والفؤاد الدكى والفطرة السليمة . وبستمد هديه من معينين يفيضان وعياً ورشداً وحكمة هما ذاخر الآيات القرآنية وصحيح الأحاديث النبوية . وسيله أنه يرسم خطوط الفهم الواعى حول الوجود الإلهى الأسمى وحقيقة وجودنا نحن، فيربط بين الوجود الإلهى (الانسان) وبين الموجد الأكبر (الله) وبعبارة أخرى بين الوجود الإلهى والوجود الوجودى ربطاً قائماً على الكشف للحقيقة العليا ثم أنه من جهة أخرى هو العليم المنظم المنسق للمعتقد الواضح الجلى والتدريب على أسلوب التعبد الصحيح بعد فض الاغلفة عن بصائرنا بالسلوك وبجاهدة النفس لدرك خصائص المعبود حتى يستقيم أمر وجود الانسان مع الغاية التى خلق من أجلها كما ذكر العزيز العليم فى كتابه الكريم عند قوله (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) ومعنى يعبدون فى الآية يعرفون وقد احترمت التصوف الصحيح العقل فخاطبه من طريق القلب ومجد الفكر فتجاوب معه بالروح، لأن آفاه من عالم ما فوق العقل . والتصوف الصحيح يرفض التخبط والطيش وينفر من التزين بشباب المصالح الكاذب

والاشتغال بتحلية المظاهر التي تشوه صفاءه الباطني وتذهب ببهائه في عين الله وأعين الصالحين من البشر كما أنه يحارب الشوائب التي تنحرف بالمعتقدات إلى مستوى الخرافات وكل ما ألفه الناس من ضجيج المواكب التي تعمر بالهرج والمرج وتصحب بالطليل والزمير وكلها أراحيف باطلة يجب أن تنزه التصوف الحق عما فيها من بدع وترهات وما دمننا قد وقفنا على المصدر الذي يستمد منه التصوف الحق كيانه وهو كتاب الله وسنة رسوله فلا لبس إذن ولا اشتباه بين ما هو حق مقرر منه وما هو باطل زائف . وميزان ذلك فقه الكتاب والسنة .

ولا بد للتصوف الصادق من إمكانيات تتوافر فيه ليصبح مؤهلا لأن يكون صوفيا عارفا ، لأن الصوفي الصادق رجل يبحث عن أضواء حقيقة الآلية المنجولية خلف ظواهر الكائنات الفانية فإن لم يتزود بما يدنيه من تلك الحقيقة ويقر به إلهام الاعتصام بالكتاب والسنة . فلا مشاحة في أن يضربه الشيطان بضلال بصيرته عندما تختلط عليه المراتب والمشاهد لدى حفا نقها العليا .

وإذن فلا بد له أن يتزود من العلم والمعرفة بالمقدار الكافي لأن يتفهم الشريعة في مقاصدها ومعانيها مضافا إلى ذلك النظر الثاقب في كل ما حوله من شيء سماوي أو أرضي استجابة لقوله تعالى (قل سبروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير) . ويتبع هذا النظر ضرورة : التفهم والتعرف لأكبر الحقائق الوجودية النفسية ، وهما المدخل إلى المعرفة الحقيقية المطلوبة لاكتشف كما جاء في كتاب الله عز وجل من قوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

وليس التصوف كما يظنه البعض ممن لا يعلمون بمجرد التجرد عن أسباب الحياة والتفرغ للتبتل والتعبد ، ثم انه ايضا غير مقيد بمظهر من مظاهر التقشف والتزهّد الفارغ لأن زهد الصوفي في قلبه وليس فيما تملكه يده أو الزهد في زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق وكذلك عبادة الصوفي بعد تقديم عبادة الجوارح تكون بالذكر والفسكر لأن التصوف في نفسه وفي موضوعه روح من

العلم والتذكر والتفكير وهي روح جميلة مضيئة شفافة تستمد وجودها من الصفاء الروحي ولا تحتاج إلى لفائف أو أغلفة تتجلى بها أو تنعكس بأضواءها الكاذبة عليها ، لأنه نور من الحق للعبد ينشر أضواءه على العقل والروح والوجدان ، فينسب العبد في خضم هذا الوجود السكوني كما يشاء له الله وليس كما يشاء هو لنفسه أو تشاء له خزعبلاته وأهواؤه . وتلك عجالة سريعة تلتقي بميصا من النور على اتجاه التصوف الحق الذي سنتكلم عنه في موضعه من كتابنا هذا .

أصل التسمية :

والتصوف منسوب في تسميته لأهل الصفة أو للصفاء أو للباس الصوف وهو بالصوف الصق وأوضح من جهة الوزن والاشتقاق . والصوفي على التحقيق رجل جسمه في الأرض يزاول أسبابها ويلبس أطوارها وأما قلبه ففى السماء عند الله لا يلوى على شيء من توافه الأرض وما فى طبائع المارقين عن الحق من أهلها .

وصف الصوفي

والصوفي أو بعبارة أخرى السالك طريق الله أو المقتحم ميدان التصوف هو كائن إنساني ذو ذوق ووجدان وحب لله وحنين إلى المعرفة ، فهو دائم الفكر كثير الذكر دائم العبرة غدير الحلم محب للعلم كاره للجدل قليل المنازعة سهل المراجعة همته محصورة في البحث عن الحق ولو ظهر على لسان غيره من الخلق . وهو وراء ذلك أوسع الناس صدرا وأقبلهم لهم عذرا وألينهم للحق قيادا وأصعبهم على الباطل مراسا وأعزم نفسا وأعفهم شخصا وأكثرهم ودا وأعمقهم حبا وأدومهم صبرا وأوفاهم عهدا وأكثرهم أدبا ولطفا ، إذا ضحك تبسم وإذا غضب لا يتجهم وإن تجهم فهو رؤوف بمن يعاديه وصول لمن يواليه لا يخوض قط فيما لا يعنيه ولا يدعى أبدا ما ليس فيه ، ورع عن الشبهات ومبغض للمحرمات وحافظ للاوقات ولا سيما مواقيت العبادات . كثير عطاه قليل أذاه مكرم للغريب وراحم لليتيم سلس القياد سهل العريكة إلا في حق ينشره أو ينصره وباطل يدفعه أو شارد عن الصواب يرده عن شره . حياؤه في وجهه وخوفه من الله رابض في قلبه مع الطمع في عفوه والرجاء لرحمته ، حافظ للآمانات بعيد عن الخيانات ، طيبه الحياء ودأبه الوفاء غير حاسد ولا غادر ولا عياب ولا مغتاب ، دائم الحركة عفيف المكسبة صادق في طريقه معين لأخيه وعطوف على رفيقه ، راغب في الخيرات مقبل للعثرات يمتنع عن الاعتراضات على الخائف سريع الوثبات إذا حصص الحق واحتاج إلى النصر والصدق ، فإن لم تكن يا هذا من القوم فتشبه بهم ودرّب نفسك على أوصافهم قل بركة حبهم ، هذا إذا لم تفز بصحبتهم والشرب من مشربهم أكرمنا الله وإياك وجعل الرحمة مبدأك والمغفرة منتهاك ؛ والقوم على التحقيق :

عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبيدهم أضحي له الكون خادما

وقد قدمنا أن مصدر التصوف الإسلامى بمعناه الحق هو القرآن والسنة المطهرة وذكر الصوفية فى القرآن نجده فى كل آية تذكر الفسك أو الذكر أو الإستقامة أو الذاكرين أو المستغفرين أو العابدين أو الموقنين أو المختين أو المتبتين أو عباد الله المخلصين أو أولى الأبواب ، وكل آية تصف الخوف أو الرجاء أو البشرى أو الاستقامة أو الايمان أو المعرفة أو الصبر أو الرضا أو التوكل أو الحب أو التوحيد الحق أو أولياء الله أو عباد الرحمن ، فهى آية تصف القوم وعلومهم ومواجيدهم وذلك فى أكثر آى القرآن .

والتصوف الإسلامى يبين حقيقة حديث جبريل عليه السلام الذى سأل فيه النبى صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان أو قل الشريعة والطريقة والحقيقة ، حيث قال الرسول عليه السلام فى الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الخ . فالعارف بكل هذا شيخ والمحب له مريد والممارس سالك . ونحن إذ نقول أن مصدر التصوف الإسلامى هو القرآن وسنة خير الأنام لا يغيب عنا ما أدخل على التصوف الإسلامى بعد الصدر الأول والمائة الثانية من تراث الأمم الغابرة والديانات المختلفة وما حملته معتنقوا الإسلام غير الخلف إن تشويها للدين وإن خوفا من السيف وإن حبا لمجرد الإفساد . ويفهم من كلامنا هذا أن التصوف اسم عام من حيث أنه روح الشريعة ومنار الحقيقة ؛ فينبغى أن يكون لكل شريعة تصوفها ولكل أمة محققوها . فإذا كان قد خراط ماء التصوف الإسلامى الهافى بغيره من شوب لملل أو لنحل أخرى فهذا حقيقى للأسف ، ولكنه لا يمنع أن يكون التصوف الإسلامى محتفظا مع ذلك بشخصيته الفذة التى لا يعمرها سوى لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه ولا يعجب ذلك الدخيل سنا وجهه الجميل وأساسه الأصيل ومسلكه القويم . فلا يصح لامرئ مسلم أن يدعى سنة الرسول بمجرد حفظه لأقواله دون أن يحشى ثمرة العمل بلك الأقوال لقوله عليه الصلاة والسلام (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه .

أو عليه فلا يذنبى أن يدعى كمال اتباع سنة الرسول إلا من طبق الأقوال على

الأفعال حتى تظهر ثمرة أعماله على أحواله النفسية ومعتقداته الشخصية من خاق وطبع كريم وبقين بالله متين ورضا وحب وتسليم ، وذلك هو طريق التصوف الحق . فلا يكون الرجل صوفيا حقا حتى يمارس أقوال الرسول وشريعته علما وعملا وفيهما واجتهادا ، وإلا فرب أين تأتيه صفات الرجال بغير علم وأعمال وأحوال وهو عن السير يحجل في عقال ؟ وهنا يصدق الصوفية في قولهم المشهورة وقاعدتهم المعتبرة المروية عن الإمام مالك رضي الله عنه : « من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه وتصوف فقد نحق » ، فرب منتسب للطريق وليس بسالك ورب مدعى للتحقيق وليس بحقق ومن نظر إلى أدياء السنة المحمدية لمجرد حفظ أقوال الرسول أو العلم بها كذبه أن ضمن سنة الرسول ﷺ أعمالا بجانب أقواله . ومن عمل دون إخلاص ونية محقة للعمل وحالة مرضية كذبه أن لرسول الله أحوالا وصفاء وأخلاقا وآدابا نفسية وأحوالا وراء ذلك قلبية ربانية من يرئها بحق سعى صوفيا أو رجلا ربانيا أو قل عبدا لله صادقا وعلى التحقيق أن ليس في كثير من أدياء السنة وسالكى الطريقة ومدعى الحقيقة وسط عادل إلا من رحم ربي وقربه إليه بعلم واضح وعمل صراح ولذا تراهم تقيضين وعلى طرفين مختلفين . هذا يعيب على تقيضه طريقتيه وذلك يذكر على الآخر سنته ، ومن رحم الله بمن عرفوا الحقيقة ونذوقوا بنجوة من هؤلاء وهؤلاء . بل هم منهم على نكران للطرفين وجفوة ويقولون مع القرآن : (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وقوله (قل كل يعمل على شاكلته ربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) .

وواضح جد الواضح لكل ذي لب أن مصدرين للتصوف الحق لثالث لهما : القرآن وسنة النبي كما تقدم ثم القدوة الصالحة بكل صحابي أو تابعي أو مجتهد في دين الله أو تقي مخلص .

فإن رغبت أن تعرف من أول صوفي في الإسلام فاعلم أنه رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

وثاني الصوفية في الاسلام أبو بكر الصديق ، أما ترى إيمانه وصدقه

وإخلاصه فتحكم معي بأنه من عباد الله الصديقين الذين قال الله فيهم للشيطان
(إن عبادى ليس لك عليهم سلطان).

وثالث الصوفية عمر بن الخطاب الولى المحدث الذى كشف الله عن
بصيرته فرأى سارية وأمره وهو يخطب فى المسجد للجمعة بمسكة ، وسارية
يقود الجيش فى بلاد بعيدة بينها وبين عمر آلاف الاميال، ألم يقل له وهو على
منبره بمسجد الرسول .

دياسارية الجبل : ليعتصم به وسارية آتئذ فى بلاد الفرس فاعتصم بالجبل
وانتصر !! ألم تعلم شأن أبى ذر العفارى أو حذيفة أو عثمان أو على أو أبى
عبيدة ، أو عبد الله بن عمرو أو عبد الله بن عمر وكلهم على قدم فى طريق
الله وثيق .

ألم تعلم أن رأس الطريق فى التصوف الإسلامى هو على بن أبى طالب الذى
أخذ بيعة الطريق وأسراره عن رسول الله (بيعة الرضوان) ومن بعده الحسن
والحسين وهكذا كبرا عن كابر إلى وقتنا الحاضر . وفى الوسط أمثال أنس والحسن
البصرى والاشعري وابن سيرين والجنيد والشبلى وبشر الخافى وابن أدهم
وكذلك جابر بن عبد الله وأبى حنيفة ومالك والشافعى فى علمه وورعه وابن
حنبل فى زهده وتعبده وغيرهم كثير من السادة الأخيار وعلماء الشريعة الأبرار
ألم تعلم أن الرسول قد أخذ على أصحابه العهد ببيعة الرضوان فأرسل
بصدد ذلك قرآن فى قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) . الخ . ألم تعلم أن أهل
الصفة وهم أول طلائع الصوفية الإسلاميين كانوا من اعظم أصحاب الرسول
وأكثرهم تقى وورعا ثم هم بعد ذلك أول فدائيى الإسلام ومنهم المرابطون
فى الثغور لحماية بقية المسلمين ولم يكونوا من العاطلين أو الممخرقين أو المشعوذين
ومتهم العباد والزهاد الذين نزل الذكر فى حقهم وأمعنت كتب السنة فى
الثناء عليهم .

وأخيرا يجب أن تعلم أن كل مسلم يجب أن يضع نصب عينيه أن يرقى

من محيط الإسلام إلى درجة الإيمان ، ومن الإيمان إلى آفاق الإحسان حيث
يعبد الله كأنه يراه . ألا ترى قول الله تعالى (وقالت الأعراب آمنا قل لم
تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وقول الله تعالى
(وكم من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها غافلون وما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) والمراد هنا الشرك الأصغر . . وأخيرا ألم
تر إلى قول الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وإن الله لمع المحسنين)
وفي مجموع الإسلام والإيمان والاحسان يظهر معنى اسم التصوف الاسلامي
الصحيح مزهرا مشرقا يأخذ بالأبصار والقلوب والألباب قائما بنفسه مرتكزا
على الكتاب والسنة لاشية فيه ولا شائبة ولا مرأ ولا جدل ؛ فدع أهل
ظاهر السنة وفقهاء الأوراق وكذلك أهل الشارات والبيارق والدقوف
والمزامير من أدياء التصوف ، دع كل أولئك يخوضون فيما لا يعلمون ، نعم
دعهم وخض أنت في حديث غيره قائلا مع الكتاب العزيز (ادع إلى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد)

ذكر الله

يقول الله تعالى : ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ،
آية من كتاب الله ان قل لفظها فقد ملأ الدنيا معناها ومقصدها كأي
قانون آخر من قوانين الوجود . ومعنى هذا أن ضنك المعيشة - بجميع أنواعه
والوانه - يكون نتيجة حتمية للغفلة والأعراض عن ذكر الله أو تذكره ثم عدم شكره
والتمرف إليه والغيبة عما نعم على المخلوقين من نعم جسام ؛ هذا هو المعنى الصحيح للآية
الكريمة . فإن كان الذكر هو الدواء الناجع للبرء من علة الغفلة والنسيان فيا له من دواء
عظيم سببا وان وجهته لله رب العالمين وخالق الوجود ومن له مقاليد السموات
والأرض ؛ فنعم الرب ونعم الشافي . وانظر إلى قوله تعالى في صدر الآية التي
ذكرنا مجزها : فلما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، وعقب
عليها بقوله (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) وهو العليم بسر
خلقه وشؤون عباده فيما ينفعهم وما يضرهم .

فكلام الله دائما وكما جرت العادة منطقي واقعي عملي يعجز جبارة العقول
بسمو منطفه ومطابقته للواقع التجريبي ونفاذه في القلوب دين استئذان .

ومسألة نفع ذكر الله في حياة المرء في موضوعنا واضحة جليلة لا شك فيها إذا أردنا
أن نبهجها ونطبقها على حياتنا المعيشية الاجتماعية بكل اخلاص وبلا تزمت
أو عنق ، وإليك بيان ذلك : فأنت تعلم أن الإنسان هو الكائن الوحيد المعقد
التركيب المتباين الأهواء والمشارب وصاحب المنطق العقلي المثبت والمشكك في
وقت واحد وصاحب الفضيلة والرذيلة والصلاح والاطلاح في وقت واحد أيضا .
فبينما الانسان يشارك الملائكة في سمواتهم العلية بروحه الإلهي إذ هو لا يفترق عن
أدنى الحيوانات في غرائزها الحيوانية بجمسه البشري ، وإذا قال ربك للملائكة
إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ،
ولا نفس أنه خلقه من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه الكريم .

فأى مخلوق هذا الذى اجتمعت فى تكوينه وبذيته الطينة الغريزية مع الروحية الإلهية . خلقة الله وهو العليم بدقائق صنعه وتركيبه المتباين الغايات والازاعات ولم تشأ حكمة الله أن تتركه مهملا فى هذا الوجود بلا هاد أو دليل .

بل إنه حين خلقه هداه إلى الدين والإيمان وأنزل إليه السكتب وبعث الرسل ولا سيما كتابه القرآن، وبعث إليه أكمل الرسل محمدا مرشدا وهاديا إلى الصراط المستقيم ليبين له قوانين الحياة الدنيوية والآخرية ثم قال له : هذا دليلك وهاديك أيها الإنسان المجبول من الطين وهو كتاب الله وسنة رسوله إذا نفذت تعاليمه بكل دقة وألزمت نفسك مسابقة نهجه المستقيم بأمانة واخلاص ساعدت فى الدنيا وفزت بالنعيم الخالد فى الآخرة وإذا لم تلزم نفسك بتلك التعاليم الإلهية شقيت وضللت السبيل وأظلمت الدنيا فى عينيك فضنك عيشك هنا وكنت فى الآخرة من الخاسرين . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، والمقصود هنا هو عمى البصيرة لا البصر وأفضل جلاء للبصيرة هو الذكر باللسان أو بالجنان ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، يعنى أن ذكر الله هو النور له من البصيرة فى الدنيا والآخرة . وليس المقصود بالذكر مجرد الذكر باللسان وإنما المراد الأعظم منه الفكر والعبرة بالذكرى ، ثم الذكر بالقلب وباللسان معا وكلنا يعلم أن قنود الإنسان فى الحياة هو فكره أو بصيرته مهتديا كان أو ضالا . والفكر فى أصله انبعاث قوة من قوى الروح ، ثم ان الفكر والبصيرة يقويان بالذكر ويضعفان بالغفلة عن الذكر حتى ينطامسا ولا يعو د'ن . يهيران نور الحق ، فهمم للإنسان بمثابة المصباحين الأماميين للسيارة إذا امدد بالسيال الكهر باقى أشرق وانباج ضوءهما ، وإذا انقطع عنهما ذلك السيل اضمف بل انطامس نورهما ، فنشرح الله صدره للإسلام والإيمان والذكر فهو على نور من ربه . ومن كان على عكس ذلك فقد بين الله حاله ، ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، فلدينا الآن رجلان : ١ - رجل على صلة بالله بواسطة ذكره أو تذكره فهو على نور من ربه بواسطة الذكر والفكر

والعمل وهو داخل في زمرة من قال الله لهم « فاذكروني أذكركم ،
ويأسعادة من ذكره ربه .

٢ - والثاني رجل فسا قلبه وانطمست بصيرته ونسى الله فأنساه نفسه
وقيض له شيطاناً يؤزره فهو له قرين مفسد ، فدخل في زمرة من « نسوا الله
فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون » ،

الأول هاديه وقائده هو الله . والثاني قائده وقربنه في الحياة هو الشيطان .
ومن هنا يمكننا أن نمسك طرف الجبل الذي يؤدي بنا إلى السعادة والهدى
وطمأنينة القلب وسط معيشة الناس المضطربة ، وأيضاً طرف الجبل الذي
يؤدي بنا إلى ضنك المعيشة وشقاء الحياة وسوء المصير . فما هو نوع الذكر
الذي يذهب الضنك الحادث عن هموم العيش ومغالبة الدنيا ياترى ؟ ...
وهنا مربط الفرس كما يقولون ، فذلك الذكر هو الذكر الخالص في خلوة السريرة
بينك وبين الله سواء كنت في حالة نفسيه مرضية أم على عكس ذلك ، بل أنك
في حالة الضعف والانحدار أحوج ما تكون إلى ذكر الله .

وكان الله حكيماً عليماً حينما أطلق الذكر ولم يقيده بحال خاص أو بوقت
دون غيره حتى لا يتعطل الإنسان بتعارض الذكر مع عمله أو وقته أو غريزته .
فاذكر الله في طاعتك ومعصيتك وغناك وفقرك وسرك وجهرك ، واذكره في
هذه الحالات كلها باخلاص وأمانة تضمن لنفسك في الحياة كل راحة وسعادة
وهنا وفي الآخرة كل مغفرة واجتباء لأنك إذا ذكرته في طاعتك سيزيدك
نورا على نور .

وإذا ذكرته في معصيتك فسوف تقل حدة هذه المعصية شيئاً فشيئاً حتى
تزول نهائياً فتكون من المهتمدين . وإذا ذكرته في غناك فستجرى الطريق الحلال في
جمع مالك وأوجه صرفه وستؤدي حق الله فيه زكاة وصدقة وإحساناً وستعطف
على أخيك المضطر من بني البشر فيحبك الناس ويحبك الله وتحظى بسعادة قلبية
لا تقدر بمال أو بجاه . وإذا ذكرته في فقرك فسوف يفتح الذكر أمامك باب الأمل

ويمنع عنك شيطان اليأس أو الجشع والطمع ويلهمك الرضا بما لك أيا كانت
حتى ينفرج همك . وإذا ذكرته في سرّك وجهرك فسوف تكون من عباد الله
المختصين لاسبيل للشيطان عليك

ولذا جعلت الصلاة المفروضة تمرينا اجباريا على الاتصال بالله
وذكره حتى يصبح هذا الاتصال عادة لازمة للانسان ويظل ذكر الله اكبر
وبعد فإن كل ذلك الذي ذكرناه من التصوف أو قل هو التصوف الخالص
نفسه ، وإنى أرى فوق ذلك أن حاجة الانسان إلى ذكر الله لا تقل عن حاجته
إلى الماء والغذاء بل أشد وإنها لازمة لروحه لزوم الهواء لجسده .

وكذلك أيضا لا يمكنك أن تعيش مطمئن النفس مستريح القلب مبسوط
العيش دون أن تذكر الله ذكرا كثيرا وتسبحه بكرة وأصيلا ، واعلم أن الله في
أوامره عليم حكيم وأنه بصير بالعباد .

ثم اعلم علمك الله من علمه الباطن
إن العلم بالشرعية طريق للعمل بالطاعة ، والعمل بالطاعة طريق للإيمان
الكامل ، والإيمان الكامل مؤد إلى ذروة الاحسان ، والاحسان سبيل المعرفة ،
والمعرفة الحقّة مؤدية للاستشفاف للحقيقة وهو الكشف ، والكشف طريق
إلى الفناء في الله ، والفناء في الله بقاء مع الله في الدنيا وفي الآخرة .

رأى الإمام الغزالي في التصوف وفي الصوفية

يقول الامام الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) بعد أن فرغ من علوم الشريعة بكتاب «الاربعين» وعلوم الفلسفة القديمة بكتاب «مقاصد الفلاسفة» والنهات حتى قال في (المنقذ من الضلال) يصف التصوف والصوفية . . . «ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمى على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقهم إما يتم بعلم وعمل. وكان حاصل علمهم قطع عتبات النفس والنزاهة عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتخليته بذكر الله وكان حينئذ العلم يسر على من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل «قوت القلوب» لأبى طالب المكي رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبى».

و «المتفرقات» المأثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامى وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت على ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعليم والسماع فظهر لى أن أخص خواصهم لا يمكن الوصول اليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات، فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع من لم يكن صحيحا وشبهانا، وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تنصاعد من المعدة على معادن الفسك وبين أن يكون سكرانا بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران لأنه واقع في حال السكر (ذوقا ووجدانا) والصاحي يعرف حد السكر وأركانها وما معه من السكر شيء، والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد للصحة، فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا؛ فعلمت يقينا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال وأن

ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسمع والتعليم بل بالذوق والسلوك. وكان قد حصل معي من العلوم التي مارسناها والمسالك التي سلكناها في التفتيش عن صنف العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة واليوم الآخر .

فهذه الفصول الثلاثة عن الإيمان كانت رسخت في نفسي لا بدلال معين مجرد بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها . وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالنقوى وكف النفس عن الهوى وأن رأس ذلك كله قطع علائق القلب من الدنيا بالتجاني عن دار الغرور والابانة إلى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى . إلى أن قال .

فآزت العزلة حرصا على الخلوة وتصنيعة القلب بالذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العبال ضرورات المعاش تغير من وجه المراد ونشوش صفوة "خلوة"، وكان لا يصفو الحال إلا في أوقات متفرقة. لكنني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود إليها . ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به هو أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون الطريق إلى الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم وبطلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، وأيقنت بحق أنهم الفرقة الناجية . وماذا يقول القائلون في طريقة الطهارة أو شروطها وتطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى عمادها، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بالكلية في ذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله ، وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوانها ، وهي على التحقيق أول الطريقة وما قبل ذلك

كالدهايز للسالك إليه . ومن أول الطريقة تبديء المكاشفات والمشاهدات حتى
أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا
ويقتبسون منهم فوائد وعلماء ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى
درجات يضيق عنها السطاق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على
خطأ صريح لا يمكن الاحتراز عنه .

وعلى الجملة يقتضى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل معه طئفة الحلول وطائفة
الاتحاد وكل ذلك خطأ . بل الذى لا يسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على
أن يقول :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أريهم في المعرفة

سئل أبو تراب عن صفة العارف فقال هو الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء . . . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ سبحانه من لم يحول للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن درك كنهه ذاته . . . ومثل الشبلي متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ قال إذا بدا الشاهد وفنيت الشواهد وذهبت الخواص واضمحلت الاحساس ولم يبق إلا شعور الذات بالذات . وقال أيضا : من علامات العارف أن يرى نفسه في قبضة العزة تجرى عليه تصاريف القدرة ، ومن علامة المعرفة المحبة لأن من عرف شيئا أحبه ومن أحب شيئا أكثر من ذكره . . . وسئل أبو يزيد البسطامي عن صفة العارف فقال : إن لون الماء من لون انائه (كناية عن أن العارف تظهر عليه لمع صفات الحق التي تحقق بعرفانها) . وسئل الجنيد ما حاجة العارفين إلى الله تعالى قال : حاجتهم إليه كلامته ورعايته لهم . وسئل محمد بن الفضل ما حاجة العارفين لما وهب المعرفة قال : حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها وبفقدتها قبحت المقابح كلها وهي الاستقامة . وسئل يحيى ابن معاذ عن صفة العارف فقال : العارف داخل في الخلق بائن عنهم .

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله : لما تعرف الحق إلى خاصته بذاته . . . حقت جوامع نفوسهم عنهم فلم يروا وحشة بشواهد الحق فيهم لما غاب عنهم من شواهد حظوظ أنفسهم

رأيهم في صفة العارف :

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله : ما دام العبد يتعرف فيقال له لا تختبر ولا تسكن مع اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرف وصار عارفا يقال له إن شئت اختر وإن شئت لا تختبر لأنك إن اخترت فباختياره وفي ترك الاختيار توكل

عليه . وقال ذو النون المصري رحمه الله : علامة العارف ثلاث : لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينفيه ظاهر من الشرع ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى عنده على هتك محارم الله .

وقيل لأبي الحسين النورى رضى الله تعالى عنه . بم عرفت الله ؟ قل بالله قيل فما بال العقل ؟ قال إن العقل فى نفسه عاجز لا يوصل إلا إلى بابه إن صدق فى رؤيته ، وأنى للمقل أن يعرف الله إلا بالله .

ثم أنشد يقول :

إذا رام عاشقها نظرة ولم يستطعها فمن لطفها
أعازته طرفا رآها به فكان البصير لها طرفها

وسئل النورى عن أول فرض افترضه الله تعالى على عباده فقال : المعرفة لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ليعرفون . وسئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقال تحقق القلب بآيات وحدانيته وبكمال صفاته وأسمائه فانه المتفرد بالعظمة والقدرة والسلطان ، الحى الدائم الذى ليس كمثل شئ . وأن ليس له شئية .

والمعرفة على ثلاث أوجه : معرفة إقرار ، ومعرفة إيقان ، ومعرفة مشاهدة ، فمعرفة الإقرار درجة الاسلام ، ومعرفة الإيقان درجة الإيمان ، وفى معرفة المشاهدة التحلى بنور البصيرة لأنها درجة الإحسان .

وعن الحسن الدامغانى عن أبى بكر الزهر بازى قال : المعرفة اسم معناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك عن التشبيه والتعطيل .

وأنشد يقول :

أومت لمعناك أنباء العبارات
وصرحت بك آيات الاشارات

تنزلت كلمات الحسن منك على لوح الوجود بأقلام السموات
وأنت في الكل معنى الكل يا أملي وهم غيوبك يا غيب الشهادات
فما غيرك من عين ولا أزر أنت القيام وقيام السموات
لك الوجود وإن الغير في عدم لك التحرر عن كل الاضافات
الله أكبر هذا السر قد عجزت عن فهم معناه ألباب النباهات

سمة البحث

١ — إن الله هو النبع السامي لكل شيء وليس شيء من الأشياء
جميعها هو الله .

٢ — إن الوجود وحدة مطلقة ظاهرها الكائنات المتعددة وباطنها الحقائق
المتوحددة المقومة للكل ولها بين بطونها وظهورها أوجه عدة . فوجه هو
الحوادث ووجه هو القوة ووجه هو الحياة ووجه هو الإدراك ووجه هو
الارادة والكل سلسلة واحدة مترابطة الحلقات متألقة النسب متوحددة النتائج،
وهذه السلسلة الوجودية لا تذهب طبعاً في تسلسلها إلى غير نهاية وإنما تنهى
إلى نفس العلة الأولى التي صدرت عنها وبدأت منها وهي نشاط صفات واجب
الوجود ومبدعه الأعلى، ولذا ترى أن أخص خصائص الكون الفروع للترقي
فباطنه ينزع طالباً للظهور وظواهره تتحول طالبة للاستبطان والخفاء. فالكائنات
كلها تمثل على التحقيق دائرة واحدة مركزها فعال في محيطها ومحيطها آيل
إلى مركزها .

٣ — تلك الحقيقة العليا هي غرض الدين وأمنية الفلسفة وموضع دهشة
العلم وهي نفسها غاية الإنسان الكامل من الوجود . وهي بالذات موضوع
بحث التصوف الحق .

٤ — فإذا أوصلك يقينك العلوي أو الفلسفي أو الديني أو الصوفي إلى

عالم الانطلاق الروحي الذي لا يقيد حجابك الجسدى ولا يتغلب على سطوع
نوره ظلام كيانك الأرضى فقد فتحت لعين بصيرتك نوافذ الأزل موصولة
بفجاج الأبد فرأيت ثمة كيف أن الكثرة تغيب في الوحدة ، ورأيت أيضا
كيف أن الوحدة في عينها تغيب في الكثرة ، ورأيت أيضا كيف أن الوحدة
تبدع الكثرة وتقومها ثم تستولى عليها فيتلاشى ما حقه الفناء ويبقى ما حقه
الدوام والبقاء ، ورأيت ثمة نعيمًا وأى نعيم ومقاما كريما عند رب
رحيم .

هـ -- فإياك إن عرفت أن تتخطى في عرفانك لله دائرة الذات والأسماء
والصفات طالبا لما وراء قدس الذات ودائرة الأسماء والصفات من كنهه وأهوية
فليس للعقل من تلك الحقيقة المطلقة حظ سوى النظر في حكمتها وتديرها
وسائر لطائفها المعنوية والفكرية فيما أبدعت من مخلوقاتها . وكذلك البصيرة
والذوق لا يعرفان منها سوى معرفة صوفية قلبية تدور حول دائرة أسمائها
وصفاتها القائمة بسر ذاتها الذى لا يعرفه غيرها فالزم ذلك وإلا فكيف يحيط
الجزء بالكل .

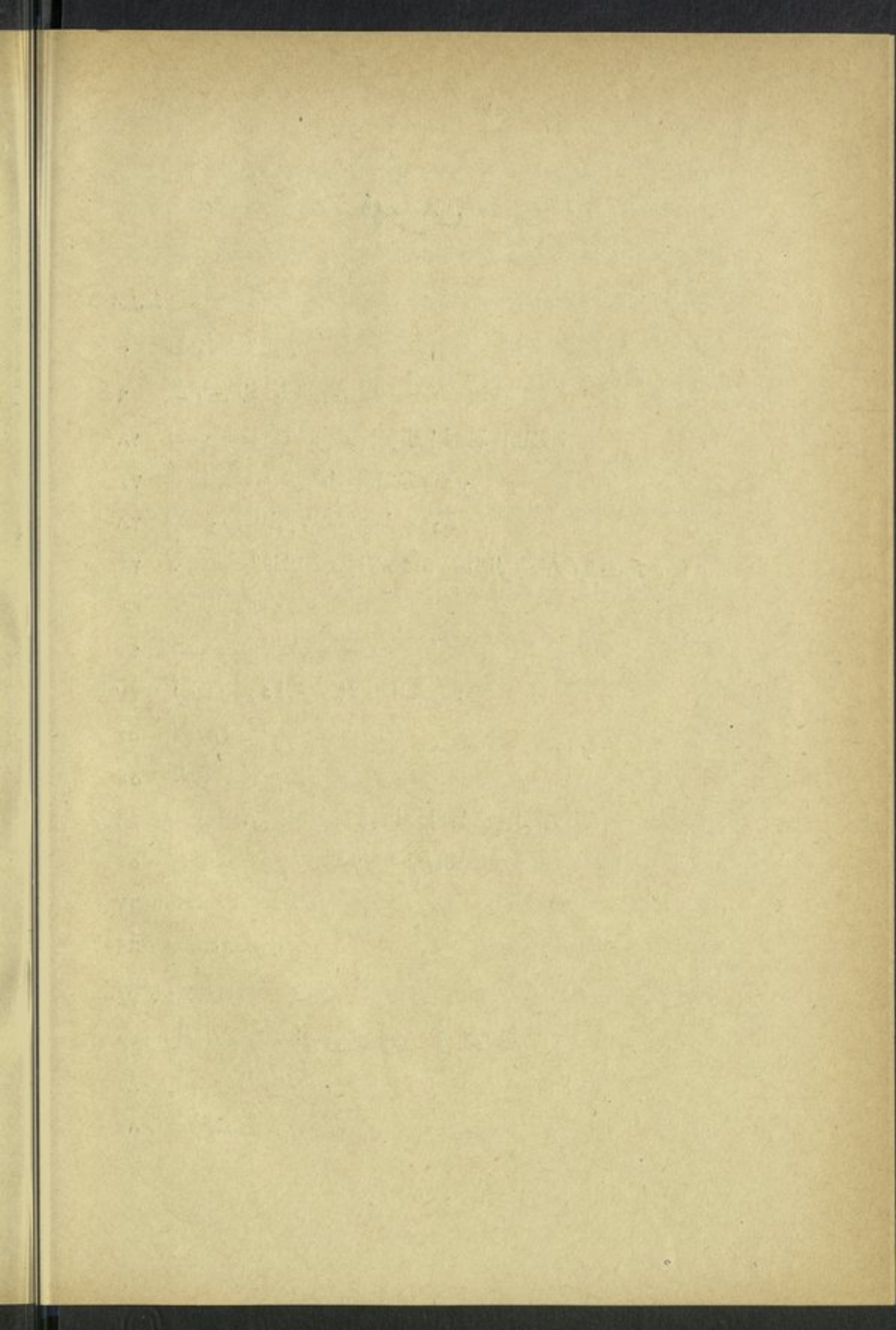
و أما الحواس فمحرم عليها أن تطأ جناب ذلك الرحاب وليس في مجال الشهود
الاعظم وراء ذلك إلا أن يشهد الصوفى المحقق أن لائمة في الوجودين الإمكانى
والوجودى إلا ذات أحدية مفردة مطلقة لها الخلق ولها الأمر ومنها الحكم
وإليها المصير . فدع ما وراء الذات من كنه السر إن كنت عارفا حقا ومؤمنا
صدقا وقل مع الصديق الأعظم .

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر ذات الله إشراك

فهرس

صفحة

٣	مقدمة الكتاب
٦	كفايات المعرفة الصحيحة .
١٨	قصور العقل والحس عن إدراك الحقيقة المطلقة .
٢٤	العلائق العامة بين العلم والفلسفة والدين .
٢٨	الأسلوب العلمى والحقائق الوجودية .
٣٢	لا بد للعلم والفلسفة من الاستثناس بعالم الوجدان والبصيرة .
٣٦	بين العلم والدين .
٤١	التصوف بين الفلسفة والدين .
٤٧	إثبات وجود الروح بالأدلة الحسية .
٥٢	الانسان .
٥٥	الخلق .
٥٦	منازل النفس وتطورها فى سلوكها الطريق إلى الله
٥٩	الخلاف المتوهم بين الدين والعلم والفلسفة
٦٢	التصوف
٦٩	وصف الصوفى
٧٤	ذكر الله
٧٨	رأى الامام الغزالى فى التصوف وفى الصوفية
٨١	رأىهم فى المعرفة
٨٣	تتمة البحث



كتاب الشريعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الشريعة المطهرة نبراسا مضيئا وسراجا منيرا يوضح لسالك طريق الحياة منجياتها من مهلكاتها، وجعل ذلك جبلا متصلا بينه وبين عبده وميثاقا مقررًا لمن أراد الزلفة لقربه ووده فهي الباب الأعظم لحمل الرب الأكرم ومدرجة نعيمه ومنجاة من عقابه .

والصلاة والسلام على من جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وعلى أنبياء الله ورسله وأخوانه من الهداة الداعين إلى صراط رب العالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وبعد فان الدين والملة والشريعة واحد في المعنى لأنها من حيث أننا ندين أي نخضع لها تسمى دينًا، ومن حيث أنها تملئ على الرسول تسمى ملة، ومن حيث أنها تقصد لانتفاء النفوس من مهلكاتها تسمى شريعة، وهي خمسة أقسام وكل قسم منها خمسة أقسام أو خمس مناطق: اعتقادات وهي أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله . وعبادات وهي خمس: الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد . ومعاملات وهي خمس: ومحاكمات ومناكحات ومخاصمات وأمانات وعقوبات . وحدود وهي أيضا خمسة: حد الرجم على المحصن وحد القذف وحد السرقة وحد الردة وحد الخيانة . والكفارات وهي خمس: كفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة قتل الخطأ وكفارة الصيام وكفارة الحج . انتهى . وهذه هي قواعد الدين الثابتة . قال جعفر الصادق أتني صحبت أربعمائة صوفي وعالم وسألهم عن أربعة مسائل فلم يجبني أحد منهم عن ذلك فاعتصمت لذلك ونمت

فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فسألني عن حالتي واهتمامي فقلت له يا سيدي
يا رسول الله انني صحبت اربعمائة صوفي من أهل الطريق وسألتهم عن أربع
مسائل فلم يجبني واحد منهم عن ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سل ما تريد
من المسائل فقلت : الأولى ما حقيقة التوحيد ؟ الثانية ما حد العقل ؟ الثالثة
ما حد التصوف ؟ الرابعة ما حقيقة الفقر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أما
حقيقة التوحيد فهي أن كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك .
وأما حد العقل فهو ترك فتنة الدنيا وترك التفكير في تسكييف ذات
الله تعالى .

وأما حد التصوف فهو ترك الدعاوى وكتبان المعاني ومراقبة المولى
واسمكمال شوب الايمان والتحلي بالتقوى .
وأما حقيقة الفقر : فهي أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء . وأن تكون
راض عن الله تعالى في الحالين الغنى والفقر ،

الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان

إن الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان هو نفس الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة. فالإسلام بداية الطريق إلى الله والإيمان وسطه والإحسان ذراه؛ وبذا يكون الطريق الحق والتصوف الصحيح مبنى على الإسلام والإيمان والإحسان وفي جملة ذلك قول الله تعالى: (إن الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين).

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: (بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جاس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتي ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال صدقت. قال فعبجنا له يسأله ويصدق. قال فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال صدقت قال فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن نلد الأمه ربتهما. الخ

واعلم عليك الله من مكنون علمه أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضاً. فيدخل في أعمال الإسلام العبادة وإخلاص الدين

الله تعالى والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في معنى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله وخشوعها عند عبادته أو سماع ذكره وتلاوة كتابه، ويزيد الإيمان بذلك حتى يصل إلى اليقين، ومن اليقين تحقيق التوكل على الله عز وجل وخوف الله سرا وعلانية والرضا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسلاً واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضار هيئته وإثارة محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما ثم الحب في الله والبغض فيه وأن تكون جميع الحركات والسكنات لوجهه، وسماحة النفوس له بالطاعة المسالمة والبسنية والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والتأسف لعمل السيئات والحزن عليها، وإثارة المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأموالهم وكثرة التواضع وحسن الخلق وأن يحب المرء لآخوانه المسلمين المؤمنين ما يحبه لنفسه ومواساتهم؛ خصوصاً الجيران واليتيم وابن السبيل ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن لحزنهم. فأما ما ورد في دخول العمل في معنى الاسلام من النصوص ففي مسند الامام أحمد والذساق عن معاوية بن خديج قال: قلت يا رسول الله بالذي بعثك بالحق ما الذي بعثك الله به قال: الاسلام قلت وما الاسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله تعالى وأن توجه وجهك لله وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة.

أما دخوله في الإيمان ففي مثل قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً . وقوله (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) . وقوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقوله (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) وفي رواية مسلم وجد بهن حلاوة طعم الإيمان، وأما الإحسان فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع

نارة مقرونا بالايمان ونارة مقرونا بالاسلام ونارة مقرونا بالتقوى أو بالعمل الصالح . فالمقرون بالايمان كقوله تعالى (وليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) وكقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) والمقرون بالإسلام كقوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه) وكقوله تعالى (ومن أسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) والمقرون بالتقوى كقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة في قوله وزيادة : إن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة وهذا ما يناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان ، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته بعين بصيرته ، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عيانا في الآخرة .

والنتيجة أن الإحسان هو مقام المقربين والصديقين ونهاية الطريق للسالكين إلى حضرة رب العالمين وحسبك تعريفه في حديث الرسول ﷺ بأن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه أى كأنك تشهده حقا قائما على رعاية كل شئ . وبه يقوم وجود كل شئ وإليه ينتهى كل شئ ، وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم . وأكمل الرسول حديثه فقال فإن لم تسكن تراه فإنه يراك لأنه قائم على كل نفس يرى سرها وعلنها فراقبه واخشاه وتبتل إليه

والمراقبة أعظم مقامات التقوى وقد علمت أن درجة الإحسان تحوى مقام الشهود الذى يتحقق بالتقوى المشمولة بالخوف والرجاء اللذين هما للإنسان في سلوكه إلى الله كجناحي الطائر للطائر لا غنى لأحدهما عن الآخر وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه .

هذا ويقول أبو طالب المكي في قوت القلوب كلاما يصح أن يكون عقيدة لكل مسلم فيصف الذات العلية بما يليق بمقامها وكما لها . فيقول :

والله جل جلاله وعظم شأنه هو ذات منفرد بنفسه متوحد بأوصافه لا يتزوج ولا يزدوج إلى شيء بائن عن جميع خلقه لا يحل الأجسام ولا تحله الأعراض ليس في ذاته مواء ولا في سواه من ذاته شيء ، ليس في الخالق إلا الخلق ولا في الذات إلا الخالق ، فتبارك الله أحسن الخالقين . وأنه تعالى ذو أسماء وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشيتة وأفعال غير مخلوقة ولا محدثة بل لم يزل قائما موجودا بجميع أسمائه وصفاته وكلامه وأنواره وإرادته ، وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له الخلق والأمر والسلطان والقهر ليحكم بأمره في خلقه ومملكته بما شاء كيف شاء لا معقب لحكمه ولا لمشيئة فلا يشاء عبد شيئا دون مشيئته تعالى ، إن شاء الله أمر أركان ولا يكون إلا ما يشاء ولا حول لعبد عن معصية إلا برحمته ولا قوة لعبد على طاعة إلا بهيبته . وهو واحد في جميع ذلك لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك ولا يلزمه حتم تقاض الوعيد بل المشيئة له في العفو والأخذ ، ولا يجب عليه في الأحكام ما يجري علينا فهو حكيم عادل في حكمه ، وعفوه وعدله هما صفتاه لا تشبه حكمته بحكمة خلقه ولا يقاس عدله بعبد عبادته ولا يلزمه من الأحكام ما يلزمهم ولا يعود عليه من الأسماء والصفات المذمومة ما يعود عليهم وقد جاوز إدراك كنه ذاته العقول وفات الأفهام والأوهام والظنون ، هو كما وصف نفسه وفوق ما وصفه خلقه ، ونصفه بما ثبتت به الرواية وصحت عن رسول الله ﷺ وأنه ليس كشيء شيء مع إثبات الأسماء والصفات ونفي التشييل والتشبيه وأنه سبحانه وتعالى لم يزل موجودا بصفاته كلها ولم تزل صفاته قائمة به كذلك ولا يزال بلا نهاية ولا غاية ولا تكليف ولا تشبيه ولا تثنية بل بتوحيد هو متوحد به وتفريد هو منفرد به لا يجري عليه القياس ولا يمثل بالناس ولا ينعت بحنس ولا يلبس بحس ولا يجانس شيئا قط ولا يزدوج إلى شيء وأن ما سوى أسمائه وصفاته وأنواره وكلامه من الملك والملكوت محدث

كله وهو مظهر من مظاهره كان بعد أن لم يكن، ولم يكن المحدث بحال قديما ولا ولا يل كان بأوقات محدثة وأزمان مؤقتة والله تعالى هو الأزلى الذى لم نزل الابدى الذى لم يحل، القيوم بقيومية هي صفته الدائم بديومية هي نعمته أول بلا أول وآخر دون آخر له كينونة هي حقيقة ، أحد صمد لم يلد ولم يولد ومعنى ذلك (لم يتولد هو من شيء ولم يتولد منه شيء) ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شيء كما لم تخلق ذاته من شيء ، سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون من ذلك علوا كبيرا .

ويجب عليك ضمن ذلك أن تشهد أن محمدا رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب ولا كتاب بعده وهو مهيم على كل كتاب ومصدق لما سلف من الكتب قبله ، وأن شريعته ناسخة للشرائع إلا ما أقره كتابه ووافقه . وكتابه شاهد على الكتب وحاكم عليهم ، وهو الذى بشر به عيسى عليه السلام أمته وهو الذى أخبر به موسى عليه السلام شعبه وهو المذكور فى التوراة والإنجيل وسائر كتب الله عز وجل المنزلة وهو الذى أخذ الله له ميثاق النبيين أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوه فأقروا بذلك وشهد الله تعالى على شهادتهم وأخذ عليهم ميثاقه أن ينصروه ويعزروه .

واعلم أن طاعة الرسول ومحبة فريضة واجبة على السكافة كما فرضت عليهم طاعة الله تعالى واتباع أمره واجتناب نهيه لقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين ، وقال صلى الله عليه وسلم لو أدركنى موسى وعيسى ما وسعهما إلا اتباعى ، ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم اتباع شريعته ظاهرا وباطنا ، ومن اتباع ظاهرها أداء الفرائض واجتناب المحارم والتخلق بأخلاقه والتأدب بشائمه وآدابه ﷺ والافتقار لآثاره والزهد فى الدنيا والإعراض عن أبنائها ومجانبة أهل الغفلة والاهوى ، والترك للتفاخر والتكاثر من الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة

والتقرب من أهلها والحب للفقراء وللتجيب إليهم وتقريبهم وكثرة مجالستهم .
وأما متابعتها في باطن شريعته وهي أحواله صلى الله عليه وسلم فهي مقامات
اليقين ومشاهدات علوم الإيمان مثل الخوف والرجاء والرضا والشكر والحياء
والنسليم والتوكل ، والأحوال مثل الشوق والمحبة والأنس بالله وإفراغ القلب
له واستغراق السرفيه ووجود الطمأنينة بذكره وهذه معاملات الخصوص
من أهل طريق الله وعلم ذلك هو علم التصوف .

شريعة الإسلام

الشريعة في اللغة جادة الطريق أو شرعة الماء ومعناها الدين ماشرعه الله
في كتبه وعلى لسان رسله . والمقصود هنا شريعة الإسلام ومعنى الإسلام
في اللغة بدل على السلم والسلام والنسليم . وشرعا التسليم بما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم من عند الله من النوحيد والأوامر الشرعية والنواهي والأحكام
التي يصلح بها أمر الدنيا والآخرة . وفي عرف الشرع الإسلام هو الانقياد لما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله وعلم من الدين بالضرورة . والمراد
من الانقياد الاقرار باللسان بجميع ما جاء به النبي من عند الله ثم طمأنينة
القلب إلى ذلك ، وهو يشمل ثبوت الوجدانية لله وعدم مماثلته لشيء من خلقه
والإيمان بالرسول وخاتمهم طبعاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم العمل
بأحكام الدين والانتها عن نواهيه والإذعان الفردي والجماعي لكل ما ذكر
من أحكام الدين الإسلامي الخفيف . والدين لغة : كلمة تطلق على كل ما ندين
به ونزعن له ، ومن الإذعان الطاعة لله والعبادة . والإيمان بالحساب في يوم الجزاء .
وإجمالاً فإن الدين هو كل ما يدين له الإنسان ويؤمن به ويسلم له بالقول
والفعل والعقيدة في كل الحقائق التي جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله .
وسمى ديناً لأننا ندين له أي نلتزم ، ويسمى أيضاً ملة لأنه أملى من الله على الرسول
صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام . ويسمى أيضاً شرعاً .

والدين في جملة وضع إلهي سائغ لذوى العقول السليمة وداع إلى ما هو خير لهم وبعبارة أخرى هو شريعة الأوامر والأحكام التي وضعها الله للناس لتبغثهم باتباعها إلى خيرهم الذاتي .

وأمر الدين أربعة : حسن القصد ، وصحة العقد ، والوفاء بالعهد ، واجتناب الحسد . ومعنى حسن القصد أداء العبادة بالنية والاخلاص فيها ، ومعنى صحة العقد والنطق بالشهادتين خالصتين بالقلب واللسان : لا إله إلا الله محمد رسول الله . والوفاء بالعهد معناه الإيمان بما فرضه الله علينا لا نريد به إلا وجهه خالصا . واجتناب الحسد معناه اجتناب المحرمات والصدق في ذلك . وما أناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب . وأحكام الدين خمسة : واجب ومندوب ومكروه وحرام ومباح . فالواجب ما يثاب المرء المسلم على فعله ويعاقب على تركه ، والمندوب ما يثاب الإنسان على تركه ولا يعاقب على فعله . والحرام ما يعاقب الإنسان على فعله ويثاب على تركه . والمباح هو الأمر الذي لا يثاب الإنسان أو يعاقب على فعله أو تركه .

وأما الإيمان فهو الإقرار باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بأركان الدين ، وحقيقته الاعتقاد الجازم بوحداية الله تعالى اعتقادا جازما يباشر القلب والروح بأن الله واحد في الذات وفي الصفات وفي الأفعال ، ويتبع ذلك الاعتقاد بما جاء به جميع الرسل من عند الله تعالى ويتفلسف الأنبياء والرسل والملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر ، والإيمان يزيد بالأعمال وينقص بالاهمال ، فالإيمان الكامل يصحبه مع الإقرار الاعتقاد والعمل لأنه إقرار باللسان وعقد بالجنان (السريرة) وعمل بالأركان وبذا يكون الإيمان كاملا لأن الإيمان على الحقيقة هو ثمرة العمل بأحكام الإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ظاهرا وباطنا ، فمن شهد واعتقد اعتقادا جازما بقلبه فهو مسلم مؤمن ومن لم يشهد ولم يعتقد فهو كافر مالم يكن من أهل كتاب سماوى أمره بالتوحيد

والإسلام والإيمان وإن كانا متلازمين فبينهما عموم وخصوص في الحقيقة .
وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن على التحقيق ، ودليل ذلك في قوله تعالى :
« وقالت الأعراب آمنا . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم ، واعلم أن الإيمان على خمسة أوجه . . . فإيمان مطبوع وإيمان
معصوم وإيمان مقبول وإيمان موقوف وإيمان مردود .

فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة ، والمعصوم إيمان الرسل والأنبياء
والمقبول إيمان المؤمنين ، والموقوف إيمان المبتدعين ، والمردود إيمان
المنافقين .

وهو أيضا على ثلاثة أقسام (١) تقليدي (٢) واستدلالي (٣) وتحقيقي
فالإيمان الحقيقي هو أن ينطوى قلبك على وحدانية الله وتفريد أحديته
وتصديق كلامه فيما يجب الإيمان به شرعا تصديقا شهوديا بحيث لو خالفك أهل
الأرض جميعا فيما انطوى عليه قلبك من إيمان فلا تجد في نفسك شكاً أو ريباً
أو تردداً ، وذلك الإيمان يحصل عند ظهور أنوار الربوبية على قلوب أهل
العبودية .

والإيمان الاستدلالي هو أن تستدل بالمصنوع على الصانع وبالأثر على
المؤثر معتقدا أن الأثر بلا مؤثر محال ، والأمر كما يقول الإعرابي (أن الأثر
يدل على المسير والبعرة تدل على البعير) وأنت ترى في الوجود كما يقول ذلك
الحكيم سماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج وأرضا ذات فجاج ألا يدل
كل ذلك على اللطيف الخبير ؟ ومن استدل بالله على الله وجد في نفسه الحجة
القاطعة المؤيدة بالبراهين العقلية والنقلية والوجدانية على تلك الوجدانية .

والإيمان التقليدي هو أن يعتقد الإنسان بوحداية الله وبسائر ما يجب
في باب الإيمان به تعالى تقليدا لوالديه واعترافا بقول علماء أمته من غير
حجة ولا برهان عنده ، وهذا الإيمان لا يعتمد عليه كثيرا وهو قريب
الزلزل وسريع الزعزع بتشكيك مشكك أو بمغالطة متزندق ، وربما تغير

بأذى شبهة أو عند هبوب وسواس الشيطان أو في رقة اختلال العقل بسكرات الموت ، فيخاف على صاحب هذا الايمان من أن يسلب من قلبه ولا تجرى آثاره على لسانه لا سيما إذا لم يحصنه بحصون التقوى ولم يستكمل ثمراته وشعبه وفوق ذلك فهو موقوف على القبول وعدمه ، ونعوذ بالله العظيم من سوء الخاتمة .

وأفضل الايمان اطلاقا ايمان المقرين . ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما فضلكم أبو بكر بصلاة أو صيام وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره) وذلك نور الايمان الموصل للاحسان وهو درجة الابرار والصديقين الذين غلبت على أفتدتهم أنوار الايمان فانطبعت بذلك بواطنهم وصارت بصائرهم تشاهد الاشياء كلها صادرة من عين القدرة الازلية فظهرت عليهم ثمرات ذلك فكانوا محسنين ودخلوا في عداد المقرين ، فهم لا يقبلون على شيء تمام الاقبال مما سوى الله ولا يخافون ولا يرجون غيره لأنهم رأوا أن الخلق لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون لانفسهم أو لغيرهم موتا ولا حياة ولا نشورا ، فهم لا يحبون غيره فلا محسن اليهم على الحقيقة سواء .

ويقول في هذا المقام الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه (وهب لنا حقيقة الايمان بك حتى لا نخاف غيرك ولا نرجو غيرك ولا نحب غيرك ولا نعبد شيئا سواك) وأولئك القوم لا يعترضون شيئا من أفعال الله وأحكامه فيما علموه عنه لأنه الحكيم الخبير ، ورأوا أن الآخرة محل القرار فسعوا لها سعيا . ويقول سيدي أبي الحسن الشاذلي في ذلك (إنا لننظر إلى الله بعين الايقان والايمان فأغنانا ذلك عن إقامة الدليل والبرهان فنستدل بالخالق على الخلق وهل في الوجود شيء سوى الملك الحق ، فلا نرى لغير الله وجودا على التحقيق وإن كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهواء ولإن افتقدت حقائقهم لن تجد شيئا) فاعلم رحمك الله أن الايمان أفضل النعم على الاطلاق وإذا

عليت أن الله تعالى أكرمك وحبب إليك الإيمان وزينه في قلبك وكره إليك
الكفر والفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة بلا استحقاق لاحد عليه في ذلك
وهذا أعظم النعم الباطنة والظاهرة ، فقد رهدك الله تلك النعمة قدرها وقم
بواجب شكرها فانها أس السلامة والكرامة . أما السلامة فيها تكون
النجاة بعون الله من أهوال القبر والقيامة والميزان والصراط والبار ومن الطرد
والبعد والغضب ، وأما الكرامة فيها تنال النعيم في القبر من اتساعه وتجد الانيس
الصالح فيه ويفتح لك الباب منه إلى الجنة لدخول روحك اليها وفضلا عن
نعيم الجنة من الخور والقصور وأنواع الملابس والمناكل والمشارب تتمتع
بالنظر إلى وجه الله الكريم . وقد سمع المصطفى صلى الله عليه وسلم
من يقول الحمد لله على نعمة الإيمان فقل (إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة)
وقبل : لا كلمة أحب إلى الله تعالى وأعظم عنده شكرا من قول العبد : الحمد
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله :

التعريف بالله

من كتابه

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج كمثلها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم ،
الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأنا كم من كل ما سألتموه وأن تعدوا نعمه الله لا تحصوها إن الإنسان لظلم كفار . »

« الله الذي خلق سبع سموات طباقا ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمطار فينبهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما .
« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم باقراء ربكم توفقون ، وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وكنات من أعناب وزرع ونخيل صفوان وغير صفوان يسقي من ماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . »

هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى
يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم .

وهو الله فى السموات والارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون .
ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنفثرون ومن آياته أن
خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن
فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
الليالى والنهار والسموات والأرض ان فى ذلك لآيات للعالمين ؛ ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغائكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطما وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات
لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ، ثم إذا دعاكم
دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون .

ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ
خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه
من روحه .

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ
وكيل .

ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

أفى الله شك فاطر السموات والارض .

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى : آله خير أما يشركون ؟
أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق
ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، وجعل خلاها أنهارا وجعل لها
رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمن
يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وجعلكم خلفاء الارض ، أإله مع
الله ؟ قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر . ومن يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته . أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ

الخائق ثم يعبد ، ومن يرزقكم من السماء والارض ، أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أى يبعثون .

ذلّم الله ربكم خاق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون .

فتدبر رحمك الله هذه الآيات التى تدل فى مجموعها على توحيد الله وتنزيهه عن النظير والشريك والمعين وأنه هو الواحد الحق الخالق المبدع المصور المبدى المعيد وأن كل شيء كائن عن قدرته ومغمور باحسانه ولطفه ورحمته وأنه وحده الفعال لما يريد وأنه على كل شيء شهيد وأن له الاسماء الحسنى والصفات العليا والارادة النافذة والفاعلية المهيمنة والقدرة البالغة وأن لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ثم اعلم أن أسماء الله لا تحصى ولا تستقصى ولا يمكن المعلوم انما منها شرعا تسعة وتسعون اسما - قال النبی صلى الله عليه وسلم (أن من أحصاها دخل الجنة) ونشرحها لك إجمالا فيما يأتى : فأولها (١) الله وهو الاسم الأعظم المركزى الذى يدور عليه محيط سائر الاسماء والصفات وهو علم على الذات الالهية لا يشاركه فيه غيره ولا يتسم به سواه . ومعلوم أن ذات الله ليست كالذوات فهى قديمة أزلية أبدية منزهة عن المشابهة والمشاركة والمماثلة والكمية والكيفية والصورة والجسمانية والتركيب والجزئية والجوهرية والعرضية ، وهى منزهة أيضا عن الجهات والحديد والمشاركة والصحبة والمعونة والوالدة والمولود لهذا كان أكرم الاسماء وأشرف الصفات واشتمل الأفعال والله وراء كل ذلك أكبر وأعظم ولله الحمد .

الله أكبر لا مثيل يشبهه هو الكبير وهذا الوصف مظهره ويقول بعضهم باشتقاق هذا الاسم من الوله - شدة الحب - والآله - شدة العلو - ونحن لا نقول بشيء من ذلك سوى أنه علم مفرد على ذات توحيد والإسم (الله) مركب من أربعة حروف هى كل الخير وفيها يكمن السر فالالف تدل على البدء والمنتهى وفيها سر الواحدية واللام فيها دلالة الملك

والهاء فيها الدلالة على سر الهوية التي لا تقتحم والذاتية التي تعلو على كل فهم ، والآلف كثيرا ما كانت عند أهل المعرفة إشارة على اسم الذات المجرد واللام الأولى إشارة إلى التملك بالتمكن فتكون كما قال سبحانه قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون (لله) واللام الثانية للتمكن في الملكوت ، له ملك السموات والأرض واليه ترجعون . والهاء إشارة إلى هوية الذات التي لا يدركها عقل ولا يصل إليها وهم . والهوية المشار إليها عند الخاصة بالهاء وعند العامة (هـ) لها المركزية العظمى في نشاط الكائنات وصورتها ، وكذلك سر كينونة البطون في الظهور والظهور في البطون .

(هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

والاسم في مجموعه وحروفه أول الأسماء وآخرها (أنظر الى قوله في أولها) هو الله الخالق الباري المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فاذا انتهيت إلى آخر الأسماء بقولك (الشكور) (الصبور) كان الضمير المقصود هو الله

فان قبل ما معنى الاسم (الله) قيل هو أول الأسماء لأنه صدرها وهو آخرها وأن اليه عودتها هو علم على الألوهية ، والألوهية هي القدرة على اختراع الاعدان الوجودية (وهو الرب) بمعنى القيوم على ما خلق وأبدع واخترع وهو أيضا مستمد سر اسمه (الرحمن) المهيمن برحمته و (الرحيم) المتلطف بفضله ، والأسمان مبنيان على السعة والمبالغة (٢) فالرحمن : الراحم ولو بطريق القمر أو التربية أو العقوبة (٣) والرحيم فيها معنى التجنان واللفظ الخفي وفي الرحمة من جهة الاسمين معنى الاعطاء والتسكرم والنعمة (٤) الملك الذي له الملك ، والملك مبالغة في التملك وهو القدرة على الإيجاد ، أي هو الذي يستغنى في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج اليه كل مخلوق .

(٥) القدوس : المنزه عن النقائص ، واشتقاقه من القدوس وهو (الطهارة)

(٦) السلام ذو السلامة من الآفات والعيوب ويكون بمعنى من سلم المؤمنون من عقوبته .

(٧) المؤمن المصدق لو عده ويكون بمعنى مؤمن المؤمنين ومصدق المرسلين
يخلق المعجزة لهم ثم يصدقهم (٨) «المهيمن» الشاهد، ويعود إلى معنى كونه
عالما بالمعلومات رائيا للمراتب أو الرقيب على كل شيء الحافظ له (٩) «العزيم»
الغالب الذي لا يغلب أو الممتنع من أن يوصل اليه بمسافة أو يقصد بأية
ويكون بمعنى من لا مثيل له وبمعنى المميز لأوليائه والمؤمنين من عباده (١٠)
«الجبار» الذي لا تناله الأيدي والمصلح لأموال خلقه والذي لا يجري في
ملكه ملكوته مالا يريد أو هو القاهر الذي جبر الخلق على ما أراد (١١)
«المتكبر» المستحق لصفات العلو المنزه عن النقائص وهو العظيم المتعالي عن
صفات الخلق (١٢) «الخالق» الموجد للخلق وما في معناه من إخراج
السكان من العدمية إلى الوجودية (١٣) «البارئ» المبدع (١٤)
«المصور» يحدث الصور والخزعات والمرتب لدقائق الكائنات (١٥)
«الغفار» ستار المعاصي (١٦) «الغفار» القاهر بالغة في القهر، أي الذي
حمل الخلق على ما ينفعهم وإن كرهوه (١٧) «الوهاب» الكثير العطاء .
(١٨) «الرازق» الممكن للمخلوقات من الانتفاع بكرمه المسخر لهم
الاقوات وهو الذي خلق الارزاق وأوصلها إلى أهلها وسهل لهم أسباب
التمتع بها (١٩) «الفتاح» المسهل للأمور الفائح خزائن رحمته لصنوف
عباده (٢٠) «العليم» الموصوف بالعلم وهو نعت مبالغة أي العالم الذي لا تخفى
عليه خافية ولا تعزب عن علمه قاصية ولا دانية وهو الذي علمهم من لدنه
(٢١) القابض : قابض الرزق عن يشاء ويكون بمعنى متقبل الصدقات (٢٢)
الباسط : موسع النعم على قوم كما شاء سبحانه (٢٣) الخافض : واضع الرتب
الذي يضع قدر من عصاه (٢٤) الرافع : رافع الدرجات يرفع درجات من
أطاعه (٢٥) المعز : معطي العز لمن يشاء بالنعم الدينية والدينيوية والمعز
لأوليائه بالكرامة (٢٦) المزل : ملق الزل والاهانة على من أراد من خلقه
بسبب معصيته (٢٧) البصير : الذي يرى المراتب برؤيته سبحانه وتعالى الخاصة
المنزه عن الحاسة (٢٨) الحاسم : القاضى بالعدل على عباده وبين عبادة والنخب

عن أحوال عبادته بما شاء فلا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه (٣٠) العدل :
الذى له أن يفعل ما يفعل غير مستوجب للذم والنقض فيما يصنعه لان العدل
من أسمائه (٣١) اللطيف : العالم بخفايا الاشياء ووقائعها ويكون بمعنى المتلطف
وهو المحسن الى عبادته (٣٢) الخبير : المخبر المعروف بواطن الامور والاشياء
من الخيرة وهو المليم بالخفايا الباطنة (٣٣) الحليم : من له الحلم والحلم تأخير ،
العقوبة أو التغاضي عنها (٣٤) العظيم : المستحق حقاً لأوصاف العظمة والقوة
والقدرة بما لا يصل اليه غيره (٣٥) العلى : المستحق لأوصاف العلو الى حيث
لا رتبة الا وهي منحة عنه

(٣٦) الكبير : ذو الكبرياء والعظمة والتقديس (٣٧) الغفور : الكثير
المستر للذلة وفي معناه العفو .

(٣٨) الشكور . الذى يعطى الثواب الجزيل على العمل القليل .

(٣٩) الحفيظ : الحافظ . الحارس . (٤٠) المقيت : لمقتدر أو مانع القوت
فى معنى الرازق (٤١) الحسيب . العالم المحاسب اخلاقه فيجازى كل أحد بما عمل
(٤٢) الجليل . من له كمال الجلال والقدرة (٤٣) المكرم . المنزه عن الدنائة
و يكون بمعنى المحسن بما لا يجب عليه أو المتجاوز عن حق وجب له والمعطى
من غير منه

(٤٤) الرقيب . الدائم المبصر بواطن الامور فلا يخفى عليه شيء .

(٤٥) المجيب الذى يعطى من سأل ويحيب دعوة الداعى اذا دعاه

(٤٦) الواسع . الغنى وبمعنى الذى يعلم السرائر فيسترها ، لا يحد غناه

ولا تفد عطاياه ولا ينقضى عليه

(٤٧) الحكيم . المحكم لأفعاله أو المحكم علمه أيضا أو بمعنى المصيب فى

أفعاله الذى لا يفعل فعلاً عبثاً (٤٨) الودود . الذى يواد عباده وهو الكثير
المودة لمن أطاعه والمحب لعباده النوايين الارابيين ، والمحبة من الله تتصف
بالإرادة لا بالعشق

(٤٩) المجيد العظيم الكبير والمجد فى اللغة الشرف والمجيد المستحق لـ

صفات المجد والعظمة والعلو . (٥٠) الباعث : الذى يبعث العباد للجزاء .
أو الذى يبعث الخراطير من القلوب .

(٥١) الشهيد : بمعنى العالم الرائق والشاهد الحاضر بعلمه فلا يغيب عنه
شئ . (٥٢) الحق : الموجود حقا وهو ذو الحق أيضا وبحق الحقائق والثابت
وجوده أزلا وأبدا فلا يقبل الانتفاء أو الزوال بحال . (٥٣) الوكيل : المتولى
لما فوض إليه من مهام العباد المتسكفل بصالحهم

(٥٤) القوى : القادر السكامل فى القوة فلا يعجز بحال من الاحوال .

(٥٥) المتين : الشديد الذى لا يضعف عن فعل ما يريد ، من المتانة وهى

استمرار القوة (٥٦) الولي : الناصر لعباده ومتوليهم بالاحسان اليهم

(٥٧) الحميد . المستحق للحمد وهو بمعنى العبادة والشكر (٥٨) المحصى

العالم بدقيق المعلومات وعظيمها (٥٩) المبدى . المنشئ . المخترع (٦٠) المعيد

الموجد لما أفاءه والذى يعيد الخلق أحياء بعد موتهم (٦١) المحيى . خالق

الحياة فى الأحياء بإيجاد الأرواح فيهم .

(٦٢) المميت خالق الموت بعد الحياة بنزع الأرواح منهم (٦٣) الحى

الذى له حياة سرمدية باقية أزلا وأبدا .

(٦٤) القيوم ، المستغنى عن غيره العالم بأمر خلقه القائم بتدبيرهم

(٦٥) الواحد ، الغنى .

(٦٦) الماجد ، المجيد المنفرد بالمجد والشرف والعلو .

(٦٧) الواحد ، الذى لا قسم له فى ذاته ولا شبيه ولا شريك فى وجوده .

أى المنفرد فى الذات والصفات .

(٦٨) الاحد ، بمعنى الواحد المتوحد فى القدم بذاته .

(٦٩) الصمد ، الذى يقصد فى الحوائج والثابت المستمر الوجود أو

الذى لا جوف له .

(٧٠) القادر ، من له القدرة . (٧١) المقدر ، من له الاقتدار والفرق

بين القدرة والاقتدار أن القدرة تكون قدرة فى حالة كمور الاقتدار والاقتدار

يكون إذا ظهرت القدرة بالفعل . (٧٢) « المقدم ، الذى يخلق الاشياء فى أوقاتها . (٧٣) « المؤخر ، الذى يرتب الوجود على ما أراد وعلم ، فما أراد أن يتقدم قدمه وما أراد أن يتأخر أخره .

(٧٤) « الأول ، الذى لا ابتداء لوجوده أو هو القديم بلا ابتداء .

(٧٥) « الآخر ، الذى لا انتهاء لوجوده أو هو الباقي بلا انتهاء .

(٧٦) « الظاهر ، القادر الواضح بالأدلة الدالة به عليه .

(٧٧) « الباطن ، الموجود الذى لا تدركه الحواس فى الدنيا أو هو حقيقة

الحقائق المستبطنة . (٧٨) « الوالى ، بمعنى الولى والملك أى المالك للاشياء المتولى لها المتصرف بالمشيئة فيها .

(٧٩) « المتعال ، البالغ فى العلو المنزه عن النقائص .

(٨٠) « البار ، المحسن .

(٨١) « التواب ، قابل التوبة ورازقها والعفو عن السيئات وماحقها .

(٨٢) « المنتقم ، المنتصر على أعدائه وهو المجازى لهم بالعذاب على

معاصيهم ويكون بمعنى المهلك لهم .

(٨٣) « العفو ، صاحب العفو وهو ترك المجازاة على الذنب مع القدرة عليها

(٨٤) « الرءوف ، بمعنى الرحمن الشديد الرحمة والرأفة بعباده .

(٨٥) « مالك الملك ، بمعنى الملك الذى يتصرف فى ملكه كيف يشاء .

(٨٦) « ذو الجلال والإكرام ، ذو الرفعة والتقدير . والجلال العظمة ،

والإكرام الإحسان للمسلمين المؤمنين بالأنعام عليهم منه سبحانه وتعالى .

(٨٧) « المقسط ، العادل فى ملكه فلا يجوز فى أحكامه .

(٨٨) « الجامع ، حاشر الخلق للثواب والعقاب فيجمع بين الظالم والمظلوم

(٨٩) « الغنى ، هو الذى لا يحتاج إلى شئ ويحتاج إليه كل شئ ، المتمكن

من تنفيذ إرادته فى مراداته ، ويكون بمعنى انتفاء الحاجة .

(٩٠) « المغنى ، معطى الغنى لمن شاء من خلقه باطا وظاهرا .

(٩١) « المانع ، الذى يمنع العطاء عن قوم والبلاء عن آخرين .

(٩٢) « الضار ، موصل الضر إلى من أراد .

(٩٣) « النور ، الهادى لمن يشاء من خلقه والمظهر لسلطان وجوده باخراجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود .

(٩٤) « الهادى ، بمعنى المعروف الدال عليه به ، ويكون ذلك بإيجاد الإيمان فى الملوب إحسانا وعظما فهو يهدى من يشاء من خلقه إلى ما يشاء وما يريد .

(٩٥) « البديع ، بمعنى المبدع المخترع ويكون بمعنى الذى لا مثل له فهو الموجد للأشياء على غير مثال يحذو على منواله .

(٩٦) « الباقي ، الذى دام وجوده فلا آخر له .

(٩٧) « الوارث ، الدائم بعد فناء العباد والأملاك .

(٩٨) « الرشيد ، المرشد وهو بمعنى الدال الذى أرشد الخلق إلى مصالحهم وهماهم ودلهم عليها .

(٩٩) « الصبور ، الذى لا يعجل بالعقوبة لمن عصاه . هذا واعلم أننا قد شرحنا لك أسماء الله وكذا صفاته بما أمكن لأن أسماء الله وكذا صفاته كلها توقيفية ، ومعنى هذا أننا معشر المسلمين وقفنا عليها كما هى فى مصادرنا من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين عليها من حيث تلقوها كما هى . فلا مجال للعقل فى التأويل والتعليل إلا بأنها أسماء الله عز وجل وصفاته ، والأسماء عموماً لا تعلل ، فإن كان منها ما يماثل أسماءنا ، ومن الصفات ما يماثل صفاتنا فتسكون أسماءه هى الأصل وأسمائنا وصفاتنا هى الفرع ، استمداداً من الله لنعوتنا الكاملة أو تشبهاً منا بأسماء الله وصفاته وهو شئ مما أمر به ، وإلا فبأى نعت كامل نتشبهه يا ترى سوى بأسماء الله وصفاته وصفات رسوله ﷺ ؟

وطبعاً هذا عدا الأسماء التى تشعر بالكبرياء والجبروت وما مائل ذلك فلا يجوز لنا التشبه بها . وهما أنت ترى - أكرمك الله بمعرفته - أن أسماء الله

الحسنى بحسب ما شرحناه لك منها ، وإن كان شرحا بسيطا غير أنك ترى فيه بعين البصيرة سر فاعلية الأسماء الإلهية في الأفعال الوجودية بحيث نفهم أن كل كائن استمد كيانه وجوده من معاني تلك الأسماء والصفات ذات الفاعلية المطلقة الباهرة وهي صفات الله المستمدة قوامها من أسمائه ذات الفاعلية البارزة والقوى الخارقة ، وهي مصدر الأفعال الإلهية في الكائنات الوجودية التي هي في مجموعها - أسبابها ومسبباتها - مجرد آثار لفعل الله الذي تنزهت ذاته وترفعت أسماؤه وعظمت صفاته . وقد أشد بعض الصوفية الذين تذوقوا هذه المعاني وتحققوا عظمة تلك الصفات والأسماء بما يدل على ما هنالك من عزة الألوهية وعظمة الأسماء العلية فقال :

هوت المشاعر والمداد رك عن معارج كبرياتك
ياحى يا قيوم قد بهر العقول سناضياتك
متحجب فى غيبك الـ أسمى منيع فى علانك
وظهرت بالآثار والـ أفعال باد فى جلالك
عجبا خفاءك فى ظهو رك ؟ أم ظهورك فى خفائك
ما الـكون إلا ظلمة قبس الأشعة من ضياتك
وجميع ما فى الـكون فإن مستمد من عطائك
ما فى العوالم ذرة فى جنب أرضك أوسائك
إلا ووجهتها إلبـك بالافتقار إلى غنائك

أو فانظر بصرك الله إلى قول الله عز وجل (وهو معكم أينما كنتم) مع قوله تعالى (فله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)
والآن وقد فرغنا من شرح أسماء الله : فاعلم أن لله صفات يجب اعتقادها والإيمان بها والجزم بمدلولاتها جز ما لا يعتوره شك ولا يخالطه شرك . وهي

عشرون وتنقسم إلى نفسية وسلبية ومعنوية وأول صفاته سبحانه وتعالى

(١) الوجود - وهو صفة نفسية وضده العدم .

(٢) القدم ؛ وضده الحدوث (٣) البقاء . وضده الفناء . . . (٤)

مخالفته تعالى للحوادث ، وضدها مماثلته لها .

(٥) قيامه تعالى بنفسه ، وضده احتياجه إلى محل أو مقوم .

(٦) الوجدانية وضدها التعدد ، وهي السلبية (٧) القدرة - وضدها

العجز (٨) الإرادة - وضدها السكر اهة (٩) العلم - وضده الجهل (١٠) الحياة

وضدها الموت .

(١١) السمع - وضده الصمم (١٢) البصر - وضده العمى (١٣) الكلام

وضده البكم وهي صفات المعاني - ومن هذه الصفات المعنوية كونه تعالى

قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما وكلها عشرون صفة يجب

اعتقادها في حق الله وهي نعت لذاته كما تقدم .

فالوجود هو الحالة الواجبة لذات الله من حيث أنه أول موجود وكل

ما سواه لولاه معدوم ومفقود ، والقدم معناه عدم الاولوية من حيث أنه

سبحانه وتعالى أزلي الوجود . والبقاء عدم الآخرة من حيث أنه سبحانه

وتعالى أبدى لا آخر له ، ومخالفته تعالى للحوادث معناها عدم مماثلته لكل حادث

مخلوق دق أو جل ، وكل ما خطر ببالك فانه بخلاف ذلك ، وقيامه تعالى بنفسه

معناه عدم احتياجه لسواه فلا مساعد له ولا وزير ولا مشير ، والوجدانية

معناها عدم التعدد لله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والقدرة صفة

قديمة أزليه قائمة بذات الله تعالى يتأق بها إيجاد المخلوقات وإعدامها ، والإرادة

صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى وتخصص المخلوقات بالحالات والصفات

والكيفيات التي توجد بها ، والعلم صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى يعلم بها جميع

الاشياء سواء كانت موجودة أو معدومة أو واجبة أو مستحيلة أو جائزة ،

والحياة صفة أزلية قائمة بذات الله ومنها كانت حياة الكل ، والسمع صفة قديمة

قائمة بذات الله تعالى بها يسمع كل صوت سواء كان سرا أو علانية ؛ والبصر هو صفة قيّمة قائمة بذات الله تعالى يرى بها جميع الموجودات على السواء والكلام هو صفة قديمة إزانه تعالى منزّهة عن الحروف والاصوات واللمجات ونحو ذلك مما يتعلق بالالفاظ التي تشابه كلاما وألفاظا ، وهذه الصفة (الكلام) إذا تعلقت بالامر تسمى أمرا وإذا تعلقت بالنهي تسمى نهيا أو تعلقت بالوعد تسمى وعدا وإذا تعلقت بالوعيد تسمى وعيدا

ودليل وجوده سبحانه وتعالى وجود مصنوعاته التي اشتملت عليها السموات والأرض (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنظرون) . (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تعلقون) .

وتلك كلها أدلة فطرية لا يسع العقل السليم إلا التسليم بها والإذعان لمدلولها فهي تساوى الدليل الحسى المشاهد بالبصر والمسموع بالأذن والملموس بالحنس ، كما لو رأيت ساعة لضبط الوقت تجري بتدبير محكم يعين الثواني والدقائق والساعات وهي من حديد ونحاس وزجاج فلا يسعك إلا الإقرار بوجود مدبر وراها أحكم صنعها وسوى وجودها .

فلو قرأت سطور الكائنات أو فهمت مدلولها لأرشدك كل حرف منها إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الموجد الأزلي الخالق البارئ المصور واو نظرت في خالق السموات واتساعها وارتفاعها وما حوته من شمس

وأقمار ونجوم والارض ، وما حوته من أشجار وأغصان وأوراق وأزهار
وأثمار وأحياء ، والبحار وما فيها من صنوف الأسماك والحيوان ومختلف
المخلوقات ، والفضاء وما حواه من الهواء ورقته ولطفه وقبضه وبسطه والسحاب
وتسخيره وما يحمله من ماء ساقه الله لإحياء خليقته وإرواء أرضه ليخرج
منها زينة للانس وطعاما ومنافع كثيرة ، وكلها قائمة بالتدبير والنظام الدالان على
إنقان الصنعة وسمو الحكمة ، بل لو تأمل الإنسان في نفسه وفي خلقه وما
انطوى عليه من حركة وسكون وسمع وبصر وكلام وعلم وجمل وإيمان وكفر
ولذة وألم وسرور وحزن . وفكر وعقل وتدبير واختيار ، لعلم أن لا بد له من
صانع موجود قديم يستمد منه وجوده وحياته وفكره وعقله ، وأنه هو في
نفسه حادث متحول متقلب يوجد ويفنى ويعدم ويبلى ، ولا بد أن يكون موجد
قديم لا يطرأ عليه العدم ولا يصل إليه الفناء تسبيح له السموات السبع
والأرض ومن فيهن وهو بكل شيء عليم .

والقدم والبقاء ، المراد بالقدم هنا القدم الذاتي وهو عدم الأولية ، فغنى
كون الله قديما أن لا أول لوجوده ، وإن شئت قل أن القدم هو سلب العدم
السابق للوجود أو عدم البدء ، والقدم في حق الله غير القدم في حق الحادث كما
إذا قلت هذا كتاب قديم أو بناء قديم فالمراد به هو القدم الزماني وهو طول
المدة ، والقدم بهذا المعنى محال على الله لان وجوده عز وجل لا يتقيد بزمان
ولا مكان لحدوث الزمان والمكان ، فلا يتقيد بواحد منهما إلا حادث مثلهما .
و ضد القدم كما لا يخفى هو الحدوث ، والحدوث يطلق على معينين حقيقي
ومجازي . فالحقيقي هو الوجود بعد العدم ، والمجازي هو التجدد بعد البلى .
والبرهان على ثبوت القدم لله تعالى هو أنه إذا لم يكن صانع العالم قديما كان
حادثا وإذا كان حادثا كان مساويا لغيره من الحوادث . والواقع أنه ليس بحادث
فينتج من ذلك أنه إذا لم يكن حادثا فهو قديم وأيضا إذا كان حادثا افتقر إلى
محدث والواقع أنه ليس مفتقرا إلى محدث ، وإذا افتقر إلى محدث افتقر
محدثه إلى محدث أيضا وهكذا . وهو محال ولذا كان سبحانه قائما بنفسه
ومخالفا للحوادث .

توضيح وتصير بالترصيص

ثم أن في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) وهو يدرك الأبصار إشارة إلى أن ذات الله لا ترى في الدنيا إلا بعين القلب والبصيرة وهو الموجود الذى يعلم حقيقة سائر الذوات ولا يعلم أحد كنه ذاته ، وهو يدرك جميع الخواطر القلبية والمشاهد المرئية ولا تدركه أبصار خلقه ولا أنظارهم العقلية وإن عرفته قلوب عباده بمحض نوره وهدى بصائرهم القلبية ومشاعرهم الذوقية .

فالواجب علينا إذن معشر المسلمين تنزيه ذات الله عن الاختصاص بالجهات المكانية لقوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) .

ومعنى أن يسع كرسيه السموات والأرض أنها سعة إحاطة وسلطان وليست سعة زمان أو مكان ، وتدل الآية على أن الله فوق الأحياز المكانية والافات الزمانية . وأما قوله : (الرحمن على العرش استوى) فلا يفهم منه أن الاستواء بمعنى الاستقرار ، وإلا تحير في مكان ، ولكنه بمعنى القهر والاستيلاء والسلطان .

وتكون رؤية الله تعالى في الدنيا بالعين المجردة محال لما سبق ، وذلك لا يمنع أن يرى سبحانه بأعين البصائر والقلوب لعباده الموقنين ولذلك يقول قائلهم :

ولما أرا في الشوق أنك حاضري والفيت موجود بغير مسكان

فخطبت معهودا بغير تكلم وعانيت مشهودا بغير كيان

والمعية الإلهية وإن كانت دائمة الاستمرار مع المؤمنين والمحسنين من عباده وأحبابه ، غير أنها تعالى في ذاتها عن أن تكون محدودة بالمكان أو الزمان أو الكم أو الكيف على طريق الحصر ، في معيه ، بالعلم ، والاقتدار

لا سيما وأن علم الله - وهو قديم - غير مسبوق بزمان ولا ملحق بمكان ولا يعزب عنه شيء جل أو دق غاب أو حضر خفى أو ظهر في الأرضين السفلى أو في السموات العللى إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ ، وفي قوله تعالى (وهو بكل شيء عليم) إشارة إلى ذلك ودلالة على ما هنالك ، حيث كان يعلم الأشياء قبل خلقها ومنها الزمان والمكان. فهو يعلم نتائج عمله في الكائنات والمقدورات المقدره تقديرا ؛ وذلك قبل خلقها وبعده .

فيجب أن تتيقن معنى أنه هو العليم الحكيم واللطيف الخبير ، وفي قول الله (وهو على كل شيء قدير) دليل على القدرة ، وفي رؤية مقتضيات القدرة في خلقه وإبداعه ما يجعلك تتيقن إن كنت بصيرا بأن قدرة الله لا يحدها كم ولا يحصرها كيف . والقادر العالم لا بد أن يكون حيا ضرورة والحياة لله سبحانه صفة قديمة قائمة بذاته ويستمد من أضواء تلك الحياة كل حى من مخلوقاته .

هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين . والعالم الحى القادر لا بد أن يكون مريدا لمعلق مقدوره « بالإرادة » ، في إبرازه مخلوقه وتديره وهدايته إلى غايته ، فهو سبحانه المبدى المعيد الفعال لما يريد ، أنه هو يبدى ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ، والاله الذى له (العلم والقدرة) « والحياة » ، و « الإرادة » ، لا بد أن يكون وجوده سابقا على وجود مقدوراته ومعلوماته ومراداته ، ويكون موجودا قبل ديب الحياة في سائر الأحياء من المخلوقات ، ولا بد أن يكون حاضرا معها بعلمه وسمعه وبصره بعد خلقها : (إننى معكما أسمع وأرى) ويجب أن يكون باقيا بعد فناها (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإذن فله دون خلقه (الوجود) (القدم) (البقاء) (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؟) وفي هذا دليل وجوده قبل مخلوقاته وفي قوله (لا إله إلا هو خالق كل شيء) وفي قوله (وهو السميع البصير) دليل على الإيجاد السابق وعلى سماعه القديم

وبصردون حاسة تشبه مخلوقاته. وأما القدم ففي مثل قوله: هو الأول والبقاء.
في قوله (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام).

يتولون ابن الله ؟ أين عجائبه وذا الكون سفر واضح هو كاتبه
يشكون والإيمان ملء قلوبهم ويبدون ما تلك القلوب تسكبه
فأى امرئ في الأفق يرسل طرفه إذا ما بدت أقماره وكواكبه
وأى امرئ ما سبغ الله مرة إذا راقب الأزهار وهى تراقبه
أليس يكون الله في عرش مجده وهذى حواشيه وتلك مواكبه
عجائب ربى فى الانام كثيرة ولكن جهل المرء لاشك غالبه

...

واعلم اجمالاً أن صفات الله خصائص معنوية قديمة قائمة بذات الله
ولست بزوائد كائنة مع الذات ، وحتى صفة الكلام - وهى أبرزها ظهوراً
فى عالم الحس - ليست بصوت كأصواتنا ولا لفظ كألفاظنا ولا حرف
كحروفنا (ما كانت لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو
يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) وما الكلام المدون فى المصحف أو
المنطوق بالالفاظ إلا ظروف وأوعية لحقيقة الكلام هى هو بالذات وحتى
كلامك ليس هو الالفاظ المتموجة فى الهواء بالأصوات ، والمرسومة كتابة
بالحروف إنما هى كلها ظروف له ، وأما كلامك فى نفسه فن وراء ذلك كله

إن الكلام لى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد ليلا

وكذلك السامع يعى معانى كلامك بذهنه لا بظيلة أذنه السامعة .

وقد سقنا إليك هذا التعلم يقيناً أن الالفاظ التى قيلت على لسان
الرسول أو كتبت فى المصحف ما هى إلا قوالب لما يريد الله أن يبلغنا إياه
من كلامه القديم .

وإذا علمت أن الله أسماء سنية وصفات عليّة منزّهة عما تنصف به الجوارح
فاعلم أن له أفدالا اقتداريه لا يماثلها فعل موجود غيره ، وقد علمت قدرة الله
وعظمت قوته عن المثل والشبيه والشريك . واعلم أنه فضلا عما وهبه الله لنا من
حرية نسبية فلا يقع في ملك ربك إلا ما يشاء ولا ينفذ فيه إلا ما يريد
ولا يخرج كائن قط بفعله واقتداره عن فعل الله واقتداره ، ولا تشذ ذرة في
الملك أو في الممالك عن إرادته ولا يحدث حادث قل أو جل إلا عن أمره
ومشيئته . والله خلقكم وما تعملون . وهذا لا يمنع طبعاً أن تكون لنا
إرادات نسبية تكتشفها وتشملها إرادة الله الكلّية . وإذا علمت هذا فاعلم
أيضاً أن الله مغاير بالضرورة في خصائصه وأسمائه وصفاته وأفعاله لخصائص
وصفات عباده ، واجمالاً فإن الله موجود الآن وفي الأبد على ما عليه كان في
القدم ويبقى كذلك في الأزل وأنّه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . .
فالبقاء له وصف والعدم عنه ممنوع والقدرة له نعت والعجز عنه مدفوع
والزوال عنه مرفوع . والله در الشاعر الحكيّم حيث قال :

هاج للقلب من هواه انكار	وليال كأنهن نههار
وجبال شوامخ راسيات	وعيون مياهن غزار
ونجوم تلوح في جنح الليل	ل مشرقا في كل يوم تدار
وشمس مضيئة للبرايا	في النهار وفي الدجى أقمار
ورياح نهب من كل فج	وبروق ورامها أمطار
ان شأن الإله شأن عظيم	جل ربا وجلت الآثار
والذي قد ذكرت دل على الله	ه نفوسا لها هدى واعتبار

ثم اعلم - علمك الله من علمه القديم - أننا لو تصفّعنا الوجود من أكبر
أجرامه إلى أصغر ذراته طردا وعكسا لا نرى في نهايه الفحص إلا إرادة عليا
تصرف وحدات الكائنات وتوجهها نحو غايات مؤتلفة ، يدركها العقل ويحكم
بتوحد مصدرها الفسكّر، وقوة عاملة تصل صيرورة المبادئ بالغايات بواسطة
قوانين محكمة سببتها تلك الارادة الالهية المطلقة . وكذلك لله حياة شاملة

اختصاصها تدريج الكائنات وتطويرها من البسيط الى المعقد ومن الأدنى الى الأرقى ومن المدرك بالحواس الى المدرك بالعقل ، وذلك بما تبعته حياة الله في الكائن من حياة نسبية نزاعة للتجدد والتكيف والترقي ؛ وتلك الحياة وهي نفسها حياة الله التي نفخها من روحه في الكائنات هي العامل المهم فيما يتمتع به الموجودات من روح عام شامل ، فأرواحنا في الواقع فيض من نوره الحيوى الدقيق المطلق بعثه من لدنه لاهياء كل حي . وما علمنا في حقيقته إلا تأثر ادراكنا بما يفاض عليه من صور الحياة الالهية ومعلوماتها وإلهاماتها والتي كانت سابقة على تفكيرنا ولا حقة به . وأما أثر الارادة والقدرة الالهيتين في نظام الوجود فأمر بارز بروز الشمس في رابعة النهار ، ومحاولة فهمهما ميسورة عن طريق الحواس أو العقل أو الوجدان أو السكل معا . تلك الحياة الالهية العامة الباعثة على الترقى والارادة الربانية المظومة والقوة الاقتدارية المسيرة والقوانين الطبيعية الضابطة لسيان الكائنات الوجودية ، وذلك النور الذرى المؤسس للمادة وعناصرها جميعا لا يمكن أن تعزى جميعها إلا لبداع أفيض عليها من كائن أعلا هو الله المتوحد في ذاته ووصفه وفعله . . وهو أعلى من سائر الذوات التي تلم بها أفكارنا وأنزه ، فهو موجود بذاته وقادر بذاته ومريد بذاته وفعال بمطلق بارادته .

هو أول .	هو آخر	هو باطن	هو ظاهر
هو واحد	هو مالك	هو عالم	هو قادر
هو خالق	هو رازق	هو عادل	هو آمر
هو حاكم	هو صادق	هو مخبر	هو ذاكر
هو محسن	هو متفضل	هو راحم	هو غافر

وما السيان الوجودى - هذا السيان الذى تراه وتحسه - إلا بروز آثار هذه الصفات الالهية من السكون الذاتى الى الظهور الفعلى أو من الفعل الذاتى الى الفعل الخارجى أو قل هو بزوغ نشاط الصفات الالهية من مجال القوة الى مجال الفعل . فالحياة والعلم والارادة والقدرة هذه كلها صفات الله الاساسية

وهي صفات المعاني الذاتية التي تفرع عنها باقي صفات الله المتعددة وبها ظهرت بالتبعية صفات السكائنات الحية وغير الحية من أرضية وسماوية . فصفات الله قديمة أزلية حاضرة باقية دائمة . وصفاتنا نحن والسكائنات حادثة طارئة ثم متحولة أو فانية .

وقبل تاريخ الكواكب والأفلاك والسدم وتاريخ شمسنا التي نحن تابعون لها ، كان الله ولا شيء معه حيا موجودا عالما مريدا قادرا وكانت ذاته المقدسة متصفة بالسكالك المطلق والحرية الإرادية المطلقة ، ثم يبقى الله بعد الخلق وأسماؤه وصفاته بقاء سرمديا وإن فنى كل شيء . فكل وجود متمكن الوجودية لا بد أن يكون حيا وذا نشاط وإلا كان معدوما . وعلم الله هو علمه بذاته وبمحيط مخلوقاته . والموجود الحى العالم لا بد أن يكون مريدا كما تقدم ، فهو يعلم بذاته أنه حى بذاته وأنه مريد بذاته وأنه قادر بذاته ، وكل ذلك ليس بشيء خارج عن ذاته . وأول أثر للحى العالم هو ظهور الحياة والعلم فى مظهر الإرادة ، فالله حى عالم مريد قادر بالفعل ، وهذا يقتضى إرادة الإيجاد قبل حدوث الإيجاد بالضرورة وبسبب علاقة تلازمية هى ميل الصفة لإحداث الأثر وتعلق الأثر بالصفة كأصل له .

وأركان الإرادة هى الوجود والحياة والعلم والقدرة . وكل إرادة لا تتوفر فيها هذه الأركان تكون نائمة ، فالحى العالم المريد قادر بالضرورة العقلية لتوفر شروط القدرة سيما وأن هذه الصفات تتطلب البروز الى الخارج دائما كبروز فاعلية الحياة وبروز معلوم العلم ، ونتائج الإرادة وفاعلية القدرة إن كانت كامنة فى الذات نسميها « قدرة » ، فإذا برزت الى الخارج نسميها « قوة » ، لأن القوة ضرورة وهى نتاج القدرة ، لها كم نشيط يقاس مدى نشاطه ؛ وأما القدرة فلا كم لها وهى متعلقة بالإرادة . ولما كان الله حيا عالما قادرا مريدا كان حكيمًا ، لأن الحى العالم القادر المريد كامل وكل كامل حكيم ضرورة . والحكيم هو من يضع الشيء فى موضعه ويقدره بمقاديره . « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

واعلم أن أركان الحكمة ثلاثة : (١) "فكرة" . (٢) "قوة" . (٣) "فعل" .
والحكيم يبرز آثار حكمته الى الخارج بتقدير أوان إبرازها ، ولا يتم فعله
إلا إن كان كامل الحكمة تام الاقتدار مقدرًا لمقادير مصنوعاته وأوقات
بروزها ، ووصف رب العالمين كذلك بالفعل . وإذن فلتعلم أن الله جلّت
قدرته - وهو الحي القادر - كامل الوجود كامل الحياة كامل القدرة والارادة
والحكمة بما لا يمكن لمساواه بلوغ مداه . فعن قدرته وإرادته نشأ الفعل
والنظام وعن حياته وإدراكه نشأت الحياة ونشأ العقل ونشأ التطور ، وما الترقى
في الوجود إلا نشاط تلك الحياة الإلهية المطلقة ، وما المعرفة العقلية إلا نشاط
ذلك الإدراك الإلهي العام ، وما الكل الكوني إلا كائنًا محدثًا مستمدا من
نشاط صفات الكائن الأول (الله) . لحياة الكائنات أثر واضح وحادثة
كبرى تدل على حياة الباري المصور أو قل هي شعاعة مستمدة من حياته
ومن نورذاته الأقدس ، فلاجل أن يعرفنا الله حياته العليا بعلمه الاسمي خلق
حياتنا نحن وجميع الكائنات أي أمد الوجود بنور الحياة بعد ما أمدته بنور
آخر هو النور الذرى الذى كون منه كل شىء ظاهر يحس (الله نور السموات
والارض) فإذا قال الله عز وجل لنا فى كتابه المنزلة على ألسنة أنبيائه المرسلين
أو على ألسنة خلفائهم العلماء بالله من أهل الولاية والدراية ، ان الله حى وعالم
وقدير وسميع ومتكلم وبصير ومريد ، فما الذى يمنعنا أن نصدق الله فى الوقت
الذى إذا قال لنا العلم المحدث ، إن الارض تدور حول نفسها وحول الشمس
صدقنا ذلك العلم كشىء يقينى مع عدم احساسنا بتلك الحركة ؟ بل صدقناه فى
أبعد من هذا حيث يقول العلم : أن هناك اشعاعات خفية وأطيانا لا نشهدها
بالعين ، عجبنا وأى عجب ألا يساوى تعليم الله فى أذهان بعض الناس تعاليم
العلم . ولا شك أن كل علمنا وحكمتنا انما هو فيض من فضله ، وأن الله
ضرورة أحكم عالم وأعلم حكيم ؛ فقبل أن نخبرنا بحجانه فى كلامه جعل الحياة
هى التى تتكلم علما وتطبيقا وتجربة مدللة أوضح الدلالة على حياة مبدعها ، تلك
الحياة الأزلية السرمدية .

ولنضرب لك مثلاً في ذلك فاعتبر به . . إذا كان أحد الناس غنياً ومنحك من المال ما جعلك أنت أيضاً غنياً ، ثم بعد ذلك قال لك يا فلان « أنا الفنى ومن غناى كان غناك ، أمممكنك في هذه الحالة أن تنسكرك غناه وأنه أعم من غناك وأعظم ، أو ترى نفسك في حاجة لأن تطلب منه الدليل على هذا الغنى ؟ فإذا فرض وسألته الدليل قال لك « غناك الذى هو منى أكبر دليل على غناى الذى لم يكن منك وهو الدليل أيضاً على ججودك لنعمتى وقد لمسها وتلبست بها ، وكذلك قبل أن يكلمنا الله عن علمه بث علم في كل أنحاء الوجود . فإذا فرض أن تساءلت عقولنا عن دليل علم الله صبح أن يقول لنا « من أين أخذتم علومكم ؟ فإذا قلنا من الطبيعة . . درسناها وتلقينا عن نظامها وأفاعيلها قال الله بلسان الحال : والواقع إن الطبيعة على التحقيق اسم على غير مسمى وقد أسميتها وأسميتها طبيعة بمعنى مطبوعة على وزن فعيلة بمعنى مفعولة وهذا بمقتضى اللغة التى تسكلمون بها .

ألا ترون أنها صذعنى بمعنى أنها مصنوعة ، لأن حقيقة كلمة حقيقة مثلاً وضعت علماً على محيط يحوى مجموعة من الأشجار فلو ذهبت كل شجرة من الحقيقة إلى الأخرى حتى تنتهى فلا معنى حينئذ لهذا المسمى . وإذن فقولوا أنتم من ذا الذى أوجد الطبيعة المطبوعة ومن ذا الذى طبعها؟ وهنا يسقط كل جدل (ولئن سألهم من ذا الذى خلق السموات والأرض ليقولن الله) وأيضاً فلا معنى للقول بالصدفة أو بالضرورة لأن الصدفة لفظ استعراه من اللغة ليعنى وراءه كل شىء نجمله ولا شىء فى الوجود إلا له سبب سابق معلوم أو مجهول والضرورة فى نفسها تدل على فاعلية الفاعل الذى اضطر كائناته الى التنظيم والسير الى الامام « والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ... وحينئذ لا يمكننا أن نشك فى علمه وقد لمسنا ذلك فى واقع الكائنات ثم تدبرناه بعقولنا وعلمنا أن علمه هو أصل علومنا الكونية « وفوق كل ذى علم عليم ، . ولم يقل الله لنا فى خطابه أنه قادر حتى أرانا آثار قدرته فى كل الكائنات . فلما درسنا أنواع

القوة في الطبيعة وفي أنفسنا علمنا أن الله قادر لا محالة . فكل أنواع القوى الخفية التي تعمل في الوجود هي دليل على قدرة الله وهي من فيض فضله على عباده . ولما كان لا بد لهذه الصفات الإلهية من أثر في الخارج بدل عليها أراد الله بروز هذا الكون - خلقا وابداعا - كما بينا ، وهنا كان تأثير الإرادة وكان من آثارها كل النظم والقوانين التي تدير الكائنات بمقتضاها فتنظمها وتوجهها نحو الكمال . فاذا وضعنا يدينا على الآثار العملية لهذه الصفات وعرفنا بقولنا أنها حالات موضوعية لذات مركزية عليها هي مبدأ الوجود - وبعبارة أخرى هي ذات الله - يمكننا بطريقة عقلية سهلة أن نعرف أصل الكائنات فنعرف أن لا بد لكل عالم من علم ولكل مريد من إرادة ولكل قادر من قدرة وأن وجود العالم والعلم والمريد والإرادة والقادر والقدرة يقتضي ذلك كله وجود المعلومات والمرادات والمقدورات ثم بروزها كضرورات - للفعل - وهي متلازمة آخذ بعضها برقاب بعض . وأما بالنسبة للمكون فلا ضرورة تدفعه من حيث أنه هو الذي أراد ونفذ ما أراد بمحض مشيئته وأمضى ما تقتضيه صفاته من بروز الأفعال بحرية كاملة .

فإن سألنا ما هي معلومات الله ؟ قلنا هي كل ما يعلم من الكائنات المشيئة والغيبية . وإن قلت ما هي مرادات الله ؟ قلنا هي كل ما يقع في الكائنات من أفعال ومقاصد . فإن قلت ما سبب الشر في العالم قلنا لو علمت إنه الناحية السلبية للخير كظل الشمس للشمس لفهمت ، والخير بالشر يعرف وإلا ما تميز خير من شر في الوجود . ثم إن حقيقة الشر هي الناحية السلبية للترقي ، وترقي الكائنات مراد الله . والعلم يساعد على ترقى الإنسان ، والجهل يساعد على تخلفه . واذن فالجهل أبو الشر والجهل والشر صنوان وهما سليمان ، وعلم الله وإرادة الله وقدرة الله كلها صفات إيجابية فعالة تسوق الكائنات وتبعثها على الترقى لتحقيق مراد الخالق ... ثم اعلم أنه لا شيء يصلح للخير إلا وهو صالح للشر ولا شيء يصلح للشر إلا وهو صالح للخير من وجه آخر ، فليس في العالم شر حقيقي ولكنه خير من حيث مراد الله في الخلق والترقي

وليس في العالم شر جارئ إذ كل ما يجري بأمر الباري
فالحيرية والشرية في الإنسان مجرد ملابسة للأشياء من وجهها أو من غير
وجهها وكل ميسر لما خلق له . وقلنا أن الجهل منبع الشر فشرية الإنسان ناشئة
عن جهله لا محالة ، وخيريته ناشئة عن معرفته ، فيكون الخير والشر في أنفسهم ما
أمورا نسبية راجعة إلى ملابسات الإنسان واستعماله لأشياء الكائنات ، فإن
كانت عن طريق التشريع من الله فهمي خير وإن كانت عن مخالفة لنواميس
التشريع فهمي شر ، ولذلك كانت الأعمال بالنيات . وفي علم الحقوق وعلم
الأخلاق العبرة بالسريرة والقصد في العمل بصرف النظر عن العمل نفسه من
حيث ظواهره وإنما الحكم لظروفه وملابساته والقصد فيه .

ولنرجع إلى مانحن بصدده من تبين صفات الله فنقول ملخصين . لما كان
لا بد للاله الحي من أثر لحياته وجدت حياتنا نحن وجميع الكائنات ، ولما كان
لا بد للاله المريد من مراد - متوحد أو متعدد - ظهر هذا النظام الشامل
الجامع البديع الذي تراد في سائر الكائنات الطبيعية والذي تحققه قدرة الله
والمراد الإلهي المتوحد بالفعل وإن كان متعددًا بالنسب والاضافات
والحالات والكيفيات فهو متوحد في مصدره . هذه الصفات الأربع
الجليلة ، والقدرة . والعلم . والارادة . هي أساس الصفات الإلهية ولذا
سموها صفات المعاني وهي نبع بقيه الصفات كالسمع والبصر والكلام والقيام
بالنفس والمخالفة للحوادث إلى آخر صفات الله .

وهذه الصفات الأربع تعمل في الوجود متحدة ومتعاونة بعضها مع بعض في
إبراز السمكيات بأبراز القوانين والنظم الطبيعية . ولذلك نرى القوانين مؤلفة
ومتوحدة في التضامن على إظهار المحدثات وطبعًا لا يمكن أن تعمل الحياة بدون القدرة
أو العلم أو الارادة وكذلك أخوانها ولنعلم أن الارادة نشاط والقدرة قوة والحياة
مركز عمدة ومحرك الذات نقطة مركزية والعلم وعي الذات وكل ذلك هو موضوع
علم الله . (والله بكل شيء عليم) واذن فأنل معنى أيها الحبيب ذلك النبأ العظيم
وهو قول السميع العليم في كتابه القديم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)

حتى يقين لهم أنه الحق) واستمع بعد ذلك إلى قول الشاعر اللبيب .

صاح حتى الوجود بالإفصاح وأرهف الفهم من جميع النواحي
وأدر خمرة التسأمل حتى تفقد الحس بين روح وراح
واستحث من كنوز معنك نورا واجعل القشر حصاة الأشباح
عالم مدهش وكون بديع أنت فيه كذرة في الرياح
وحيث ترمي بناظريك تلاقى عالما معجزا بعيد النواحي
رائد الفكر دونه في كلال وقوى الذهن دونه في طلاح
أيها الفضاء أين مكاني منك ؟ في هذى الفياقى الفساح
ما يمين وما يسار وما فوق وما تحت بين هذى المناحي ؟
ثم ما هذه المرائى وما تلك مكى المجالى بحسنى الوضاح ؟
ثم ما هذه القبور تهادى لجنسان مرفرفات الجناح
عالم الحس دون هذا بلاشـكـوا . لكن لدى القلوب الصراح
عالم الحس من لوازمه القـيـدـسـد وذا عالم طليق السراح
لذة كله وروح وراح وسرور يكال بالآفداح
حكمة حينما تجول ونور حينما تتهى وبهجة فى البطاح

الرسالة العامة

ونريد بالرسالة العامة بعثة الرسل لتبلغ شيء من العقائد والأحكام عن الله خالق الإنسان وواهبها لا غنى له عنه كما وهب غيره من الكائنات من توفية حاجاتها وبقاء وجودها على القدر الذي حدد لها في رتبة نوعها من الوجود .

والكلام في هذا البحث من وجهين . الأول : وهو أيسرهما وهو الاعتقاد ببعثة الرسل عموماً لأنه ركن من أركان الإيمان فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتقد أن الله أرسل رسلاً من البشر مبشرين بنوابه ومنذرين بعقابه .

وقد قاموا بتبليغ أممهم ما أمرهم الله بتبليغه من توحيد وتنزيه لذاته وتبيين لسلطانه القاهر على عباده . ثم تفصيل ما أنزل من حكمه مما يتعلق بالعبادات والمعاملات فيطالبهم بها . وما يتعلق أيضاً بالأخلاق وكريم الفعال وتحريم أضادها .

ومن المعتقد الصحيح وجوب تصديقهم في أنهم يبلغون ذلك عن الله . ووجوب الافتداء بهم في سيرهم والالتزام بما أمروا به والكف عما نهوا عنه .

وأن تعتقد أن منهم من أنزل الله عليه كتباً تشتمل على ما أراد الله أن يبلغوه من الخير عنه لأممهم، وحدوداً وأحكاماً أمر بالوقوف عندها . وأن هذه الكتب التي أنزلت عليهم حق .

وأن تؤمن بأنهم مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعمد للعقول ولا للاستطاعة البشرية من العصمة والمعجزة . وأن هذا الأمر الفائق المعروف للبشر هو المعجزة الدالة على صدق النبي في دعواه . فتنادي الرسل النبوة واستدل عليها بالمعجزة وجب التصديق برسائله .

والنبي في اللغة العربية وصف من النبأ وهو الخبر المفيد لماله شأن مهم .
وبصح فيه معنى الفاعل والمفعول لأنه منبى عن الله ومنبأ منه . والنبي بالتشديد
أكثر استعمالا ، وأبدلت الهمزة فيه ياء .

وعندنا النبي من أوحى الله إليه وحيا . فإن أمره بتبليغه كان رسولا وإلا
فهو نبي ، فكل رسول نبي وما كل نبي رسول . واعلم أن قوله تعالى : (ما كان
يحجـ أبـا أحد من رجالكم . وليكن رسول الله وخاتم النبيين) . يدل دلالة
واضحة على انقطاع النبوة والرسالة معا بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا يبقى عليك بعد ذلك في باب المعتقد إلا أن تعتقد أن القرآن كلام الله
ألقاه في روع محمد عبده ونبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل
الرسول الملائكي المختص بالخطاب بين الله تعالى ورسوله . وسنأتيك بتفصيل لذلك
في غير هذا المكان . وكذلك سائر الكتب المنزلة التي أمرنا الله في القرآن بأن
نؤمن بها ، وكذلك سائر رسل الله وأنبيائه الكرام عليهم السلام كما تقدم .
والكتب التي أمرنا بالإيمان بها أربعة . القرآن ، والإنجيل ، والتوراة ،
والزبور . والرسل خمسة وعشرون رسولا نظم بعضهم أسماءهم على الترتيب
التصاعدي فقال :

ألا أن إيماننا برسـل تحـتـما
وهـم آدم ، إدريس ، نوح على الولا
وهود ، وصالح ، مع إبراهيم أتـى
كذا نجله اسماعيل ، اسحق فضلا
ويعقوب ، يوسف ، ثم يتلو شعبيهم
وهارون مع موسى . وداود ذو العلا
سليمان ، أيوب ، وذو الكفل ، يونس
والياس أيضا واليسع ذاك فاعقلا

كذا زكريا ثم يحيى غلامه

وعيسى وطه خانما قد تكملنا

وأولئك الرسل يجب أن تعتقد فيهم الصدق والأمانة والفضيلة والتبليغ للرسالة ، وأن تعتقد بتبرئتهم مما يتنافى مع أخلاقهم التي يجب أن تكون فيهم وطبائعهم الفطرية السليمة المستقيمة ويجوز لهم بعد ذلك ما لا بأس من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية . وأولو العزم منهم خمسة تظمهم البعض فقال .

محمد إبراهيم ، موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

وكلهم عليهم الصلاة والسلام على هدى من ربهم ورحمة ، وخيرهم (سيدنا محمد ﷺ) فسيدنا عيسى فسيدنا موسى فسيدنا إدريس عليهم السلام . واعلم أن الله قد اختار محمدا ﷺ وأنسله من أوسط العرب ومن خير قبيلة ومن خير نخذ ومن خير عائلة ومن أشرف أورمة ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بين كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان — رسول الله إلى الناس كافة والجن عامة وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين كما قال رب العالمين ، وما أرسلناك الا كانه للناس ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

كل النبيين والرسل الكرام أتوا نيابة عنه في تبليغ دعواه

فهو الرسول إلى كل الخلائق في كل الدهور ونابت عنه أفواه

ولله در البوصيري حيث يقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وأولاده ﷺ هم على الترتيب : القاسم ثم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم

ثم فاطمة ثم عبد الله ثم إبراهيم وهؤلاء كلهم من خديجة سوى إبراهيم الذي مات

قبل الفطام وزوجاته عليه السلام أولا هن خديجة بنت خويلد القرشية تزوجها قبل النبوة ولها أربعين سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وهي التي وازرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ثم تزوج سرودة بنت زمعة وهي التي وهبت يومها لعائشة ثم تزوج عائشة الصديقة بنت الصديق وكانت أفعه نسائه وأحبهن إليه وكانت مرجع كثير من الصحابة في الفتوى وهي المبرأة بالوحي ثم تزوج حفصة بنت عمر ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر وتزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية ثم تزوج زينب بنت جحش من بني أسد ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية ثم صفية بنت حي بن أخطب ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر نسائه عليه السلام.

وكما يجب الإيمان بالله تعالى وبصفاته وكتبه ورسوله فكذلك يجب الإيمان بالملائكة الكرام، وهم أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة معصومون لقوله تعالى - لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرن - ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى لقوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ورؤسائهم أربعة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل . ومنهم حملة العرش ومنهم « رضوان » خازن الجنان، « ومالك » خازن النيران، وكذلك يجب الإيمان بالبعث لقوله تعالى « وإذا القبور بعثرت » وقوله تعالى « قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

والحشر مو جمع الخلائق في صعيد واحد لقوله تعالى : يوم نحشرهم جميعا . وكذلك العرض لقوله تعالى : (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) . وكذلك الحساب لقوله تعالى : (فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) . . والميزان لقوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وكذلك الصراط لقوله تعالى :

(اهدنا الصراط المستقيم) ويجب الايمان بالجنة وهي دار النعيم التي أعدها الله لعباده المتقين وهم مخلصون فيها وقال تعالى : (لا يسهم فيها نصب وما هم عنها بمخرجين) . والإيمان بالنار وهي دار سخطه التي أعدها الله للكافرين وهم مؤبدون فيها لقوله تعالى : (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا .

هذا وأنت ترى أننا اختصرنا في سرد هذه السمعيات إيجازا لمجمل العقيدة كما أوجبها الدين .

ثم أعلم أن هذه العقيدة نفسها هي عقيدة الأنبياء والرسل في كل زمان وكل مكان من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولم يختلفوا فيما ينسبونه إلى الله من الوحدانية ولا فيما يفزهون ذاته تعالى عنه من النقص ولذلك جاء بيان ذلك في الكتب المنزلة على كل واحد منهم ، وقد جاء كل واحد منهم مصدقا لمن قبله من الرسل مع تفاوت الأزمان وتغاير الأمم . وأمرنا جميعا بأن لا نعبدوا إلا الله الواحد الأحد وأن لا يشركوا به شيئا ولذلك يقول سبحانه وتعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » وقوله ، وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وقال « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أنزل إليك أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ،

ولما أرسل الله رسوله النبي العربي الأمي محمدا بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه ضمن ما أنزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل » والمعنى يريد الله أن يقول للذين آمنوا بالكتب المتقدمة « أن آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أي قولوا لا إله إلا الله ، لما تجدون في كتبكم من ذلك التوحيد الذي أفرته وقالت به رسلكم الذين أنزلت عليهم الكتب التي تؤمنون بها ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم بحق الاسلام

وحسابهم على الله ، ومن حق الاسلام أن نشهد أن لا إله إلا الله نفيا لكل شرك أو نسبة أو معجزة ، ونشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق وأن شرعه آخر الشرائع الإلهية وأن أمته الأمة الوسطى التي ستكون شهيدة على الناس ، أى المثل الصالح لهم جميعا من جهة الاسلام والايمان والاحسان ، لأن هذه الشريعة - شريعة محمد صلى الله عليه وسلم - هي ملة ابراهيم الذى قال بالتوحيد ونفى الشرك وأسلم لله رب العالمين وأنظر الى ما حكاه القرآن عن يعقوب فى قوله لا بئذنه ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب إلهنا واحدا ونحمله مسلون . ولهذا السبب نفسه أمر دين الإسلام أتباعه بأن يؤمنوا بسائر الكتب المنزلة وبسائر الرسل ، لأن الدين حقيقة واحدة لا يمكن أن تتغير ، لأنه واحد منذ آدم ونوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما الذى يتغير هو شرائع الرسل . والدين عام والشريعة خاصة بالرسول الذى أنزلت إليه ولذلك يقول الله تعالى فى القرآن مخاطبا الرسل (لئلا يجعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أى سييلا وسنة فملتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليبلو الناس أيهم أحسن عملا .

ألا ترى أن الله شدد على بنو إسرائيل لما حدث منهم العنت فى شريعة رسولهم ، وأما فى شريعة محمد فقد صرح فى القرآن بقوله : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) فالدين واحد ، والشرائع مختلفة والدين الذى لا يقبل غيره هو التوحيد لله والإخلاص فى العبادة والإيمان بالله - على شرط التوحيد والتنزيه - وبكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله وتلك شريعة الإسلام آخر الشرائع المنزلة من الله لعباده .

ولما كانت شريعة الإسلام مبنية على التوحيد ، والتوحيد هو الدين القيم أنزل الله تعالى لما أتم أنزال شريعة الإسلام على رسوله الأكرم محمد صلى الله

عليه وسلم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ونزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنة بانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ولذا خطب بعدها خطبة الوداع التي ألقاها على أصحابه وهي آخر خطبة له صلى الله عليه وسلم ، وكانت سنة إحدى عشر من الهجرة في يوم جمعة خطبها بعرفة وهوراكب على ناقته ، وقد لخص فيها شرعته ومنهاجه الذي شرعه الله له ورسم له نهجه فقال : الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعبدته ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعة الله وأستفتح بالذي هو خير .

أما بعد : أيها الناس اسمعوا ما أبين لكم فإن لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إني أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا قد بلغت اللهم أشهد . فمن كان عنده أمانة فليردها إلى الذي أئتمنه عليها . ألا كل شيء من أمر الجاهلية كالشرك والظلم ، تحت قدمي فهو موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة وأن أول دم أضعه من دمايتها دم ربيعة بن الحارث ، وربما الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوعة كله ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير الحجابة والسقاية . والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا أو الحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من الجاهلية .

أيها الناس إن الشيطان قد ينس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس إن الذي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة

وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت اللهم أشهد . أيها الناس إن لفساتكم عليكم حقاً وإن لكم عليهم حقاً : أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تسكروهنه في بيوتكم ، لا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعظوهن وتمجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن اتتهن وأطفدنكم فعليكن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان لا يسكنن لأنفسهن شيئاً أخذنوهن بأمانة الله واستحللن فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً . أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكن لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى . أيها الناس إن الله قسم لكم الوارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية أكثر من الثلث والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ومن دعى لغير أبيه أو تولى لغير مواليه فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . وقد تركت فيكم ما لم تضلوا بعدي إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : (بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ثم ينكسها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد اللهم أشهد) ، جزاه الله عن أمته أفضل ما جازى به نبياً عن أمته فقد بلغ وأدى ونصح ، وكان مجيؤه رحمة للناس وصدق الله العظيم ، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

أصول الفقه

هي أدلته الإجمالية كطلق الأمر والنهي ومعرفتها . والأصول هو العارف بها وبطرق استنباطها ، والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية .

والحكم هو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث أنه مكلف ومن

ثم لا حكم إلا لله . والحسن والقبح للشيء بمعنى ملائمة الطبع له أو منافاته .
وبمعنى صفة السكال والنقص وهو أمر عقلي انفاقا . ويترتب عليه المدح والذم
عاجلا والثواب والعقاب آجلا ، ويمتنع تكليف الغافل وهو من لا يدري
كالناثم والساهي . وكذا المرغم ، وهو من يدري ولكن لا مندوحة له عما
أرغم عليه ، والمكروه وهو من لا خلاص له عما أكره عليه إلا بالصبر .

أنواع الحكم

الحكم إذا اقتضى الخطاب فيه الفعل من المكلف اقتضاء جازما فهو
(واجب) أو غير جازم بأن جرز تركه (فندوب) أو اقتضى الترك اقتضاء
جازما (حرام) ، أو غير جازم في النهي (فمكروه) لا يعاقب على فعله
وإن كان الخطاب بخيرا بين فعل الشيء وتركه فهو (مباح) .

ويقول أبو حنيفة . ما ثبت بدليل قطعي فهو الفرض وما ثبت بدليل
ظني فهو الواجب وكذا المندوب والمستحب والنظوع والسنة والنفل فحكماء
مترادفات بمعنى واحد .

الشرع

الشرع هو جملة الأحكام التي وضعها الله تعالى الباعثة لذوى العقول إلى
الخير الذاتي وهو السعادة الأبدية .

وأمر الدين أربعة كما تقدم صحة المقدم ووفاء العهد وصدق القصد
واجتناب الحسد . فصحة العقد الجزم بعقائد أهل السنة ، ووفاء العهد امتثال
الأوامر . وصدق القصد أداء العبادة النية والإخلاص . واجتناب الحسد
اجتناب الزواهي . وقد تقدم شرحها ، وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم
الإسلام والإيمان والإحسان مجتمعين دينا . أما الإسلام لفظة فهو مطابق
الانقياد وهو من عمل الجوارح ، وأما شرعا فهو الانقياد لما جاء به النبي صلى

الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة . وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام فقال في بيان حقيقته وإيضاح مفهومه هو (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) والأحاديث بهذا المعنى متواترة فمن جاء بهذه الأركان الخمسة وقام بها حق القيام فهو المسلم على رغم أنف من أبي ذلك كائناً من كان . وأما الإيمان لغة فهو مطلق التصديق وهو من عمل القلب ، وأما شرعاً فهو تصديق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من عند الله من الدين مع الإذعان القلبي إجمالاً أو عن تقليد وهو الأخذ بقول الغير من غير معرفة دليله .

وقد اختلف المتكلمون في إيمان المقلد صحة وعدمها ، فقال جماعة منهم إن إيمان المقلد موقوف . والحق أن إيمان المقلد صحيح إن كان جازماً بما قلده فيه جزماً قوياً إلا أنه عاص بترك النظر إن كان عنده أهلية للنظر .

وللاكتفاء بالدليل الإجمالي قال الإمام أبو منصور المازندراني (العوام مؤمنون عارفون بربهم وحاصل لهم من النظر العقلي القدر الكافي إن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين ، ولكن رأيه لا ينبغي وجوب النظر في آيات الله والتأمل في خلقه للاستزادة من وضوح الدليل على وجوده للقادرين على ذلك .

وأصول الدين أربعة : وهي الكتاب والسنة والأجماع والقياس .

أما الكتاب فهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو اللفظ المنزل بمعناه على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بأى سورة منه ، ويتعبد بتلاوته مع التدبر لقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك ليدير وآياته وليتذكر أولوا الألباب) وقوله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ولقوله صلى الله عليه وسلم (من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لا يفتقه) رواه الترمذي وأجمالاً فعماد الأمر التدبر والتفهم وهذا الذي عليه المحققون وهو الذي يدل عليه القرآن وصحيح الآثار . ويرد في

ففضل القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه (أنها ستكون فنن كقطع الليل المظلم . قيل فما النجاة يا رسول الله . قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجرأ قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم . هو الذي لا تنزع به الأهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء . ولا يملأه لأتقياء . من علم عنه سبق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ؛ ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم .)

وأما السنة فهي أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ومنها تقريره . ومعناه أنه عليه الصلاة والسلام لا يقر أحداً على باطل ؛ فسكوته على شيء رآه أو سمعه دليل جوازه ويكون قد أقره .

وأما الإجماع فهو اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة نبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وامكان الإجماع صحيح عند الجمهور الأصلي لقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) والشاهد في قوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وأما القياس فهو قياس حكم لم يذكر على حكم مذكور استنباطاً لجامع بينهما وهو الاشتراك في العلة ، وذلك في كل مسألة لا نص فيها عن الشارع كقياس تحريم الخشبش على تحريم الخمر والسبب الجامع بينهما اشتراك في العلة وهي الإسكار أو غيبة الوعي . والصحيح أن القياس حجة لقوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) والاعتبار قياس الشيء بالشيء ورده إلى نظيره ويكفي في ذلك قول معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابن مسعود قال بما تحكم قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ، قال بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ، قال أجتهد برأى ، قال النبي ﷺ حينئذ (الحمد لله الذي وفقر رسولاً رسولاً الله) . والنزجة في تحصيل الأحكام الشرعية أن لا يؤخذ واحد منها إلا من كتاب الله أو سنة رسوله قولاً وفعلًا وتقريراً أو إجماع

المؤمنين المجتهدين أو القياس الصحيح فلا يجوز لأحد من الناس كافة أن يقول في شيء هذا فرض أو واجب أو سنة أو مندوب أو مباح أو حرام أو مكروه إلا بدليل من الأدلة الأربعة المذكورة (الكتاب والسنة والإجماع والقياس فكل) حكم من تلك الأحكام إن كان مأخوذاً من أحد الأدلة الأربعة المشار إليها فهو حكم الله وشرعه، وكل ما لم يكن مأخوذاً من واحد منها علماً كان أو عملاً فهو بدعة وضلالة .

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي عنها قالت قال رسول الله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ، أي من ابتدع واخترع شيئاً في الدين لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم فهو مردود . وبالجملة فقد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الخير كله في الإتيان بما أن الشر في الابتداع قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وقال سبحانه (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقال جل من قتل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة في الرسول هي الاقتداء به ومتابعته في سنته وترك مخالفته في قوله أو فعله صلى الله عليه وسلم .

الحديث

واعلم أن الحديث الشريف يلى القرآن الكريم فى الرتبة السامية والاحتجاج به ، وكان الصحابة الكرام رضى الله عنهم يحفظون الحديث ، وإنما كانوا لا يكتبونه لأمرين ، أحدهما أنهم كانوا فى بداية الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت فى صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن الكريم ، وثانيهما لسعة حفظهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة . وكان أحفظهم وأكثرهم حديثاً أبو هريرة ، ثم ابن عباس وأنس بن مالك وعائشة وأبو سعيد الخدرى وأبو الدرداء وابن مسعود وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين . وقد رواه عنهم التابعون وأحفظهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري وخارجة بن زيد وأبو سلمة وسعيد بن جبيرة وقتادة وغيرهم وروى عن التابعين تابعوهم رحمهم الله جميعاً ...

وأول من وضعه ودون كتبه ابن شهاب الزهري فى خلافة سيدنا عمر ابن عبد العزيز بأمره بعد موت رسول الله ﷺ بمائة عام . ثم صنف الإمام مالك ابن أنس المولود سنة ٩٣ والمتوفى سنة ١٧٩ هـ الموطأ بإشارة أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى ، وكانت الأحاديث تدون مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وغيرهم ؛ إلى أن جاء الإمام محمد بن إسماعيل البخارى المولود فى سنة ١٩٤ والمتوفى سنة ٢٥٦ فجمع كتابه الشهير فى الأحاديث الصحيحة خاصة وهو مشتمل كما فى تقريب النوى على سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثاً بالمسكرة ، وإذا حذف المسكر منه بقى فيه أربعة آلاف حديث . ثم تلا البخارى تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى المولود سنة ٢٠٤ والمتوفى سنة ٢٦١ ، فصنف جامعاً آخر فى الأحاديث الصحيحة ، وفيه كما فى التقريب أربعة آلاف حديث باسقاط

المكرر ، وقد اختص مسلم بجمع طرق الحديث في مكان واحد بأسانيد مختلفة والفاظ مختلفة فسهل تناوله بخلاف البخارى فانه قطعها في الأبواب بسبب استنباطه الاحكام منها . وموطأ مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم هي أصح الكتب المصنفة ويلها في الصحة الكتب الأربعة ، وهي (جامع أبى عيسى الترمذى المتوفى سنة ١١٩ ، وسنن أبى داود السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥ ، وسنن أبى عبد الرحمن النسائى المتوفى سنة ٣٥٣ ، وسنن ابن ماجه القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣) .

وفي هذه الكتب الأربعة كثير من الأحاديث الحسان والضعاف ، وقد قسم علم مصطلح الحديث إلى ثلاثة أقسام : صحيح وحسن وضعيف ، ولهم تقاسيم أخرى وكلها راجعه إلى هذه الثلاثة :

(١) الصحيح : ما اتصل سنده إلى منتهاه بالعدول الضابطين المشهورين .

(٢) والحسن : ما عرف مخرجه ولم تشتهر رجاله بالعدالة والضبط اشتهار رجال الصحيح ، وإن شئت قلت الصحيح ما احتوى على الاتصال والعدالة والضبط التام . والحسن ما احتوى على الاتصال والعدالة والضبط الغير تام . والاتصال عدم سقوط أحد من الرجال ، وعدالة الراوى تسكون بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة مما يخل بالمروءة ومن الفسق وهو ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة ، والضبط التام حفظاً وكتابة . ثم إن الحسن كالصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوة قال العلماء ، وإذا قيل هذا الحديث صحيح فدهاه عند المحدثين ما اتصل سنده مع الأوصاف المذكورة لا إنه مقطوع به في نفس الأمر والواقع . وقد قسموا الصحيح إلى عدة أقسام وأصحه ما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم .

(٣) وأما القسم الثالث وهو الضعيف فهو ما لم يجمع صفى الصحة أو الحسن ، وهو ما يكون بعض رواته مردودا بسبب عدم العدالة أو الرواية عن لم يره أو سوء الحفظ أو اتهام في العقيدة أو عدم المعرفة بحال من يحدث

عنه أو غير ذلك ، وقد نص جل العلماء من المحدثين والفقهاء على جواز العمل
بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب . وأما الأحكام
كالحلل والحرام والبيع واليكاح والطلاق ، وغير ذلك فلا يعمل فيها ، لا
بالحديث الصحيح أو الحسن . ثم أن الحديث الصحيح ينقسم إلى ثلاثة أقسام
متواترة ومشهورة وخبر الواحد . فالمتواتر ما نقله جماعة عن جماعة لا يجوز
العقل تواطؤهم على الكذب . والمشهور ما كان في عصر الصحابة كاختيار
الآحاد ثم اشتهر في عصر التابعين وتلقته الأمة بالقبول .

وخبر الواحد ما نقله واحد عن واحد أو واحد عن جماعة أو جماعة عن
واحد . والمتواتر منها ما يوجب العلم القطعي . والمشهور يوجب علم الظمائية
وخبر الواحد لا يوجب العلم القطعي ولا يفيد العلم بالظمائية وهو يعتبر
في الأحكام الشرعية الفرعية لا في إثبات العقائد وأصول الدين ، وإذا خالف
الدليل القطعي أمراً عقلياً كان أو نقلياً . وول إن أمكن التأويل . هذا ما قاله
الجمهور من العلماء .

الفقه

أما فائدة علم الفقه فهو عصمة المكلف من الخطأ في فعله الشرعي ، وغايته الفوز بسعادة الدنيا والآخرة لحديث (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) كما في صحيح البخاري . ونسبة الفقه إلى غيره من العلوم أنه من علوم الشريعة وهي خمسة : التوحيد والتفسير والحديث والفقه والأصول ، ولحق بها النحو والصرف واللغة والمعاني والبيان ، وزاد بعضهم المنطق . والخمسة الأولى مقاصد وما ألحق بها وسائل . ومسائله إما قولية وإما عملية ، فالقولية هي النطق بالشهادتين ، وغير القولية قسيان : ترك ، وفعل . فالترك هو الصوم لأنه ترك تعاطي المفطرات . والفعل ثلاثة أقسام بدني ومالي ومركب منهما . فالبدني (أي ما يختص بأفعال البدن) كالصلاة ، والمالي (أي المخصص بالمال) كالزكاة ، والمركب منهما هو الحج . والأحكام العملية إن تعلقت بأمر الدنيا تنقسم إلى مناهج ومعاملات وعقوبات إذ الحكمة من بعثته عليه الصلاة والسلام انتظام أمر المعاش والمعاد . وانتظامهما يكون بالشرع المحض أسلوك المكلفين لا لجل بقاء العدل والنظام بينهم في المجتمع . وذلك يحتاج إلى قوانين مؤبدة بنور الشرع . وذلك كالزواج في قسم المناكحات المبذبة على أساس شرعي ، ومثل ما يتم به التعاون والتشارك ، وهي قسم المعاملات ، ولاستقرار أمر المجتمع على هذا المنوال لزم ترتيب أحكام الجزاء وهي قسم العقوبات وينظمها جميعاً الفقه والعلم به فرض .

وحكم الشرع في الفقه أن تحصل ما يحتاج الإنسان إليه لأمور دينه فرض عين ، وما زاد عليه لنفع غيره وإرشاده فرض كفاية ، والتبحر فيه مندوب . وإذا قام به البعض سقط عن الآخرين . قال الله تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) . قال المفسرون - لولا - تحضيضية مثل هلا وحرف التحضيض إذا دخل على الماضي يفسد التوبيخ على ترك الفعل ، والتوبيخ إنما يكون على ترك الواجب ، فيعلم منه أن الفعل واجب . وفي الآية دليل على أن التفقه والتعليم وإرشاد العامة من فروض الكفاية .

العلم

عما رواه جابر بن زيد عن بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال (طلب العلم عند الله أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله) (لأنها كلها تؤسس على العلم) والمراد بالعلم هنا العلم بالله ثم بطاعة الله ثم بالحق في التعامل بينك وبين الناس، ثم العلم بالحرام والحلال، فأنفع من هذه الأعمال كلها بغير علم مجلس علم يؤسسها . أما علمت أن الله يطاع بالعلم ؟ فخير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل .

وعنه ﷺ قال (العلم بالتعلم والخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلمهم رشده اليقين) وعنه ﷺ أنه قال (العلماء ورثة الأنبياء) ومعلوم أن لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثه لنملك الرتبة وهي العلم بالدين . وعنه عليه الصلاة والسلام من طريق جابر بن زيد أنه قال (يوم واحد من العالم الذي يعلم الناس العلم أفضل عند الله من عبادة العابد مائة سنة وأن العالم الذي يعلم الناس العلم يستغفر له أربعة أشياء الملائكة في السماء والطير في الهواء والحوام في البر والحيتان في البحر) وعن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخرجني إلى ناحية الجبابة فلما أشرف عليها تنفس الصعداء ثم قال يا كميل أن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم ، يا كميل احفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني . ومتعلم على سبيل النجاة . وهمج رعا ع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم ياجأوا إلى ركن وثيق من خير وثق ؛ ثم قال مشيرا بيده إلى قلبه أن هاهنا لعلماء جمالو أصبت له حملة بلي قد أصبت لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله وبكتابه ونعمه على معاصيه ، أو منقادا لأهل الحق لا بصيرة له في نفسه وينقذ الشك في قلبه لأول عارض من شبهة فهو لا يدري أين الحق ، أن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدرب به ، فهو فتنة لمن اتقن به وأن من أبصر خاق الله إليه عبدا وكله الله إلى نفسه لا إلى هذا ولا إلى ذاك منهم وما باللدة ساس العباد

إلى السموات أو مغرما بجمع الأموال والادخار، منقادا لهواء أقرب شبهها به
الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامله . ثم قال : بلى لا تخلوا الأرض
من قائم لله عز وجل بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خفيا مغمورا لئلا تبطل
حجج الله وميثاقه . بهم ترزقون وبهم تمطرون هم الأفلون عددا الأعظمون قدرا
بهم يحفظ الله حججه حتى يؤديها إلى قلوب أشباههم . ويا كبر العلم خير من
المال ، العلم بحرسك وأنت تحرس المال ، المال تنقصه الدفقه ، والعلم يزكو
بالانفاق . يا كبر لصحبة العالم دين يدين الله به عباده يكسبهم به الطاعة في حياتهم
وجمال الاحدثة بعد مماتهم . ومنفعة المال تزول بزواله ، والعلم حاكم والمال محكوم
عليه . يا كبر مات خزان المال وهم أحياء ، والعلم باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم
مفردة وأمثالهم في القلوب موجودة ، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان فباشروا
روح اليقين واستلانوا ما استزعره منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه
الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى . يا كبر أولئك
خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه طوبى لهم وشوقا إليهم .

الناس موتى وأهل العلم أحياء الناس مرضى وهم فيهم أطباء
الناس أرض وأهل العلم فوقهم سنا ونورا فما في النور ظلماء
قل للذي يدعى في العلم معرفة علمت شيئا وغابت عنك أشياء
وقدر كل أمرى ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

وعنه عليه السلام قال (أحسن الناس عقلا أطوعهم لله أمرا وأخذهم
بدين الله علما) ويقول الله تعالى (أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها) فدللت هذه الآية على أمرين أحدهما أن العقل علم وثانيهما أن
العلم لا يكون علما حتى يباشر القلب . ولذلك قال بعض الحكماء الحاجة إلى العقل
أكثر من الحاجة إلى المال ولن ينموا العقل الا بمدد مستمر من علم . وقال
أنوشروان لوزيره برزجمهر : أى شئ للمرى خبر ؟ قال : عقل يعيش به .
قال : فإن لم يكن ؟ قال : فاخوان يسترون عليه قال : فإن لم يكن ؟ قال : قال

يتعجب به إلى الناس . قال : فإن لم يكن ؟ فعيش في حق . قال فإن لم يكن ؟ قال
فموت عاجل .

وكان الشعي يتحدث أنه كان بين بني إسرائيل عابد جاهل قد تهرب
في صومعته وكان له حمار يرعى حولها، وخرج من الصومعة مرة فرآه يرعى فرفع
يديه إلى السماء وقال يارب لو كان لك حمار كنت أجعله يرعى مع حماري . فعجب
نبي من أهل الزمان وسأل ربه في ذلك فأوحى إليه الله تعالى : دعه فاما سأل
ما أمكنه وأنا اثيب كل انسان على قدر عقله .

وانشد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في معنى العقل والعلم مجتمعين مع
الخلق وهي عشر خلال قال فيها .

أن المسكرم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والصدق سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشمها
والنفس تعلم أن لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصمها
والعين تعلم من عيني محدثها أن كان من حزبها أو من أعادها
وأعظم من ذلك كلمة قول الله تعالى في رفعة شأن العلم والعلماء : (شهد الله أنه
لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) فبدأ بنفسه وثنى بالملائكة
وثنى بأولى العلم من عباده فعظفهم على نفسه في الترتيب برا وتشريفا وتعظيما .
فناهيك بهذا شرفا وفضلا واجلالا . وقوله تعالى (شهد الله . . . الآية)
والشهادة لا تسكون إلا بالعلم دون الجهل أو الشك أو الظن وقوله تعالى
(إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أتوا العلم درجات) فقال أهل العلم : فخرى الخطاب هو رفع الله
الذين آمنوا منكم درجة والذين آمنوا العلم درجات ولذا قال سبحانه وتعالى
لنبيه ﷺ (وعلمك ما لم تسكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

طالب العلم

ويبغى أن يكون غرض المتعلم زيادة الوعي وطلب الاستقامة لا الترفيح على الخلق بالتصدر والرياسة والرغبة في المال واحراز الشهرة والوجاهة عند الناس ، بل يطلب رضى الله بذلك والدار الآخرة ، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجاهل واحياء الدين ورفع شأن الإسلام ، لأن رفع شأن الإسلام غرض الخلق وقد صرح به في قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) لأنه دين الانسانية العامة فضلا عن أنه لا تنصح أى عبادة ولا تقبل مع الجهل . وخشية الله الله انما تنبع من العلم لقوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) والعلم الصحيح لا بد أن يهدى صاحبه إلى الحق والخير ولو بعد حين . وقد قال الغزالي رضى الله عنه : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله . وقال الشاعر الحكيم

مع العلم فاسلك حيث ماسلك العلم ولا تكشف به إلا من له فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى وعون على الدين الذى أمره حتم
وانى رأيت الجهل يزرى بأهله وذو العلم فى الأقوام يرفعه العلم
نخالط رواة العلم واحبب خيارهم فصحبهم زين وخلطتهم غم
ولا تعدو عينك عنهم فانهم نجوم إذا ما غاب نجم بدانجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى ولالاح من غيب الأمور لنارسم

على أنه يبغى لطالب العلم أن ينوى به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن وسلامة الحواس عملا بقوله تعالى : والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لسمك السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون .
وما ينبغي لطالب العلم أن لا يختار نوعا لعلم بنفسه ولا كتابا بعينه بل يفوض أمره إلى استاذة فانه قد حصل له التجارب فى ذلك وعرف ما يناسب المبتدى .
وما يليق بطباع تلامذته ، ويجب أن يبدأ بفرض العين وهو على ما يجب من اعتقاد وفعل وترك . وقال العلماء : العلم الذى هو فرض لازم ثلاثة أنواع .

الأول : علم التوحيد . فالذى يتعين عليك منه مقدار ما تعرف به أصول الدين فيجب عليك قبل كل شيء أن تعرف به ما يجب في حق المعبود وما يستجلب وما يجوز ثم تعبد به ، وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا معرفة صحيحة ؟ فربما تعتقد شيئا في صفاته المقدسة يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا

الثانى : علم الشريعة وهو ما يجب عليك فعله من الواجبات الشرعية فيجب عليك علمه لتؤدبه على وجهه الشرعى الصحيح كما أمرت به ، وكذا علم ما يلزمه من المنهى الشرعية لتتركه .

الثالث : علم السر وهو ما يتعق بالقلب من التوكل والاناة والخشوع والخشية والرضا والإخلاص واجتناب الحرص والطمع والغضب والحقد والكبر والحسد والعجب والرياء الخ .

العبادات

العبادة هى أنهى غايات الخشوع والتضرع واتباع الزلفة عند الله ، ولكن لا بد أن يكون ذلك بانغماس ذاتى يصدر من القلب ونخسع به الجوارح مراقبة لجنان المعبود ، ولانكامل العبادة إلا بهذا الانغماس وذاك التأثر وبعلم يسبقها وذلك على حسب الأشخاص وقوة إيمانهم وضعفه وشدته

فكلما كمل إيمان العابد واشتدت مراقبته فى حضرة معبوده خشعت النفس وخشعت الجوارح أثناء تلبسها بالعبادة وقيامها بين يدى المعبود بحق تناجيه وتظهر له مقتضيات عبوديتها وهذه حالة الكمل من عباد الله تعالى الذين أشار إليهم الله تعالى بقوله (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس من الهوى فإن الجنة هى المأوى) .

الطهارة

اعلم أن الله تعالى قد حدد حدوداً عقلية وشرعية أى معللة وغير معللة ، والطهارة مطلوبة شرعاً وعقلاً وهى من الفطرة الابراهيمية خمسة فى الرأس وهى قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، وخمسة فى الجسد وهى تقليم الأظافر وحق العانة والختان وتنف الإبط وغسل أثر الغائط وقال صلى الله عليه وسلم (أن من الفطرة المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وتقليم الأظافر وتنف الإبط والاستحذاء) حاق العانة) وغسل البراجم (ما تحت الأظافر) ونضح الماء والاختان .

اتفق الأئمة الأربعة على وجود الطهارة بالماء للصلاة مع التمكن من استعماله فيها حساً وشرعاً وأجمعوا على وجوب التيمم عند فقد الماء وعلى أن المخاط كالماء لا يطهر من الحدث والمنغير بطول المكث لا يطهر وعلى أن السواك مأمور به .

النجاسة

أجمع الأئمة على نجاسة الخمر إلا ما حكى عن داود الظاهرى فإنه قال بطهارتها مع تحريرها واتفقوا على أن الخمر إذا تخلل بنفسه طهر وعلى أن الميتة من الجراد والسماك طاهرة .

أسباب الحدث

أجمعوا على نقض الوضوء بالخارج من السيلين وهو البول والغائط واتفقوا على أن من مس ذكره أو دبره بعض من أعضائه غير يده لا ينقض الوضوء وعلى أن نوم المضطجع والمتسكى بشرط التمكن لا ينقض الوضوء وعلى أن الفقهة فى الصلاة تبطلها دون الوضوء خلافاً لأبى حنيفة . وعلى أن التيقن فى الطهارة أو الشك فى الحدث فهو باق على طهارته إلا ما حكى عن بعض أصحاب مالك وعلى أنه لا يجوز للحدث مس المصحف إلا ما حكى عن داود الظاهرى وغيره من الجواز .

ولا يجوز الشروع في الصلاة إلا بعد إزالة نجاسة البدن ونظافته والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء ومن الحدث الأكبر بالاسفل ويستحب لمن أراد الغرط أن يجلس الفرفصاء مائلاً إلى جهة يساره لسهولة إخراج الفضى ، والسرف فيه عقلاً أن باب الأمعاء من تلك الجهة ، ومن أراد التبول أن يستبرئ فيه والسرف فيه عقلاً أن لا يبقى في القصة شيء فيتنجس ثوبه وأما كيفية إزالة النجاسة من البول والغائط فبالاستنجاء بالماء والاستجمار بالاحجار باليد اليسرى . والسرف فيه عقلاً أن لكل يد وظيفة فاليمينى للاكل والمصافحة والتخيم والشمال للاستجمار والاستنجاء والاستبراء قال صلى الله عليه وسلم

الوضوء

اتفق الأئمة على أنه لو نوى الوضوء بقلبه من غير تلذظ أجزأه ولا يجزئه أن عكس وعلى أن غسل السكينة قبل الطهارة مستحب غير واجب إلا ما حكى عن أحمد بن حنبل . وعلى أن تحليل المحية الكثيرة في الوضوء سنة وعلى أن المرفقين يدخلان في اليدين في الوضوء . وأجمعوا على أنه لا يجوز مسح الأذنين عوضاً عن مسح الرأس وعلى أن من توضأ فله أن يصلي بوضوئه ماشاء ما لم يذق مضى .

الغسل

أثبت الأئمة الأربعة على وجوب الغسل من التيمم الحتائين وأن لم يحصل انزال مع قول داوود وجماعة من الصحابة بأن الغسل لا يجب إلا بانزال وانفقوا على وجوب تعميم البدن بالغسل .

التيمم

أجمع الأئمة الأربعة على التيمم بالصعيد الطيب عند عدم الماء أو الخوف من استعماله جائز وعلى وجوب التيمم للجنب كالحدث وعلى أن المسافر إذا كان معه ماء وخشى العطش فله أن يحبس لبشره ويتيمم وعلى أن المحدث إذا تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول في الصلاة بطل تيممه والزعم استعمال الماء وعلى أنه إذا رأى ماء بعد فراغه من الصلاة التي صلاها بالتيمم لا يجب إعادتها وأن كان الوقت باقياً وعلى أن التيمم لا يرفع الحدث وإنما يبيح الصلاة خلافاً لداوود . وعلى أن من خاف التلف من استعمال الماء جاز له تركه وأن يتيمم .

(اليمن أكرم بها وجهي والشمال لما تحت أزرى) والأفضل في الاستنجاء الجمع بين الاحجار والماء لان الانصار رضى الله عنهم كانوا إذا أحدثوا تابعوا الحجارة والماء فأثنى الله تعالى عليهم بقوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) ويستحب للمستنج أن يغسل يديه قبل مباشرة المحل لتسد مسامها بالرطوبة فلا يعاق بها راحه ، كما يتجنب الاستجمار بالعظم والروث وكانت العرب تقول لمن استنجى استطاب جسده من الخبث ومن الامور الممينة على الظفاه وازالة النجاسة نص الشعر في الانف وتنف الاط وتقليم الاظافر وحلق العانة للرجال والنساء وما على جانبي القبل والدبر من الشعر ، فأما السر في قص شعر الانف عقلا المظافة لان تجمع المخاط على شعر الانف يمنع من التنفس السليم .

والسر العقلي في نف شعر الابطال المظافة من الرائحة الكريهة التي تتكون من العرق ، والسر في تنمته دون حلقه أن الحلق يقويه والتنم ينعفه والسر في تقليم الاظافر هو أن وظيفه الاظفار المحاذية على أطراف الانامل

مسح الخف

أجمع الأئمة الأربعة على أن المسح على الخفين في السفر والحضر جائز الخف وعلى أن مسح الخف مرة واحدة وقالوا في مدة المسح للمقيم يوم وليلة وللسافر مع قول مالك رضى الله عنه لا توقيت في مدة المسح ولا المقيم بل مسح متى بدله مقدار ثلاثة أيام بلياليها ما لم ينزعه أو تصيبه جنابة .

الحيض

أجمع الأئمة الأربعة على أن فرض الصلاة ساقط عن الحائض مدة حيضها وعلى أنه لا يحرم عليها الطواف بالبيت واللبث بالمسجد . وعلى أنه يحرم وطؤها حتى ينقضى حيضها . وعلى أن وطأ الحائض في الفرج عدا حرام . وعلى أنه إذا انقطع دمها لاقل الحيض لم يحرم وطؤها حتى تغتسل . وعلى أنه يحرم بالنفاس ما يحرم بالحيض وقد جوز الإمام أبو حنيفة رحمه الله وطأ الحائض والنفساء إذا انقطع دمها وغسلت فرجها فقط .

فتجارزها عنها يمنع النظافة فيجتمع الوسخ والأجسام العريية المؤذية تحتها
وتفليم الأظافر كان في شريعة إبراهيم وموسى عليهما السلام كل الحادى والعشرين
من سفر النثية . . والسر العقلى فى حاق عانة الرجل بالموسى أو النورة ،
النظافه والتقويه على الجماع ، والسر العقلى فى حاق عانه المرأة بالموسى
النظافة ومنع ما يحدث بسببه من الرائحة الكريهه .

والسر العقلى فى إزالة ما بلى جانب الدبر من الشعر للنظافة لأن الشعر
يمنع من إزالة العذر عند المحل فيتولد منه الضرر ، والحكمة العقلية فى الختان
وهو قطع الكلفة وهى الجلدة التى تغطى الحشفة النظافة والقوة .

وكانت العرب تقول ختان الغلام يزيد فى قوة العضو المختون والختان
يخشن الحشفة ويؤخر مجئ "شهوة" ويمنع تكون المادة التى تحدث بين الحشفة
والفلفة كالجن فتحصل منهارات كريهة . وقد كان حاق عانه والختان فى شريعة
إبراهيم عليه السلام . وأعلم بأن عيسى عليه السلام لم يتعرض لذكر الختان
فى إنجيله وذهب الأئمة إلى أنه سنة مؤكدة وذهب الشافعى رضى الله عنه إلى
وجوبه على الرجال والنساء والحكمة العقلية فى خنفاض المرأة أى ختانها
وهو قطع القطعة الشبيهة بالغلاف بين شفرى الفرج من أعلاه أضعاف شמותها .
وقال عليه الصلاة والسلام : الختان سنة للرجال مكرمه للنساء ، وأما الطهارة
من الحدث الأكبر أى الجنابة والحيض والنفاس فبإفادته الماء على كافة البدن
واستيعاب ما لا يصل إليه الماء كالاذن والسرة ونحوها والموجب له أما التقاء
الختانين أو نزول الماء أو المنى المتدفق نوما أو بقظة بواسطة أو بدونها سواء
أحس به عند الانزال أم لا ومن وجد المنى ولم يذكر الاحتلام وجب عليه
الاعتسالى والحكمة العقلية فى الاعتسالى وتعميم البدن بالماء لانتعاش البدن من
ضعفه وفتوره بعد خروج المنى فيحصل النشاط واجتماع الحرارة الغريزية إلى
داخل البدن بعد انتشارها بالجماع وخص الاعتسالى بخروج المنى دون سائر
الفضلات مع أنها أقدر لأن خروج المنى من صلب الرجل وترائب المرأة

واللذة به أعم كافة أجزاء البدن بخلاف باقي الفضلات قال الله تعالى : فلا ينظر
الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . . وقد
أوجب صلى الله عليه وسلم الاغتسال في كل أسبوع لغير حدث بقرله الغسل
واجب على كل مسلم في سبعة أيام شعره وبشره والحكمة العقلية في ذلك أن
في الجسم مسام تخرج منها الفضلات السامة كهيئة العرق ويستشق الهواء من
تلك المسام فإذا لم يقتل الإنسان سدت مسام جسمه وضعفت قواه . والحكمة
العقلية في الحيض والنفاس لأن دم الحائض فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة
المرأة من الرحم بحيث أنه لو احتبس اضربها كالبول والغائط إذا احتبس
بخلاف دم الاستحاضة . قال تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى
فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) أى لا تجمعهن حتى
تنقضى مدة حيضهن ويطهرن .

وأما الطهارة من الحدث الأصغر فلقوله ﷺ (لا يقبل الله صلاة بغير
طهور) والطهارة قسمان معنوية وحسية فالمعنوية طهارة النفس من سفاسف
الاخلاق ومذامها ، والحسية أما مائية وأما ترابية وكل منهما يتعلق بأعضاء
مخصوصة على وجه مخصوص . واعلم أن أصل الطب ثلاثة : حفظ الصحة
واستفراغ المواد الفاسدة والحماية عن الأذى وقد ذكرها الله تعالى في ثلاثة
مواضع من كتابه المجيد فقال في حفظ الصحة (فمن كان منكم مريضا أو على سفر
فنده من أيام أخر) الآية . وقال في حلق الرأس للمحرم (فمن كان منكم
مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) الآية .
فأباح للمريض أو من به أذى من رأسه وهو محرم أن يحلق رأسه ويستفرغ
المواد الفاسدة . وقال عز وجل في الحماية من الأذى (يا أيها الذين آمنوا إذا
قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم
وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر
أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج

ولكن يربد ليظهركم وليتم نعمته عليكم) فأباح التيمم للمرض ثلاثاً بصب
جسده ما يؤذيه كما أباحه لفقد الماء وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على سبعة
أصول مزدوجات : طهارتان الوضوء والغسل ، ومطهران : الماء والتراب ،
وحكمان الغسل والمسح ، وموجبان الحدث والجنازة ، ومبيحان المرض والسفر
ونافضان الغائط والملاسة وكرامتان الطهارة من الذنوب وإتمام النعمة .
وقال عز وجل : وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشیطان ، فالرجز القذر ولا شك في أن الماء منبل له والوضوء الشرعي يذهب
رجز الشيطان وقد أقرضه الله صديحة ليلة الامراء وهو مشتق من الوضوء أى
النظافة والحسن وخصصت الاطراف بالوضوء لأنها المباشرة للخطايا غالباً
والمتعرضة للأذى فينوى بذلك تطهيرها لما رواه مسلم في صحيحه (من توضأ
فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده) وهذا محمول على صفات
الذنوب دون كبارها ولذا أمر بتطهيرها بعد كل حدث لئلا من أراد أن يصلي
والحكمة العقلية في الوضوء كون الماء يذهب الأعضاء وينظفها ويكثر دوران
الدم وجولانه في العروق ، وجعل مالك رضى الله عنه ذلك مع مرور الماء
على كل عضو فرض عنده في الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر فإن الفائدة
فيه أكبر من مرور الماء على العضو بدون ذلك واستعمال الماء في الطهارة
حكيمته مشهورة وهى انعاش الأعضاء بعد فتورها والحكمة العقلية في غسل
اليدين قبل الوضوء ثلاثاً أن السنة تحصل بواحدة فيه وفي المضمضة والاستنشاق
لأن الوضوء لا يصبح بماء تغيرت أحد أوصافه الثلاثه وهى الطعم واللون
والريح فالمرء الأول من غسل اليدين ليظهر به اللون الماء والأولى من المضمضة
ليدرك بها طعمه والأولى من الاستنشاق ليشم بها راحته والثانية من الجميع هى
السنة والثالثة عملاً بقوله ﷺ (أن الله وتر يحب الوتر) والحكمة العقلية
في المضمضة وهى ادخال الماء إلى الفم وبجه وذلك الأسنان بنحو الاصبع أو
السواك هو إزالة ما تختل بين الأسنان من فضل الطعام ليحفظها ويمنع الهاب
الفم وتعفنه ويزيل الرائحة الكريهة التى يتأذى منها من جالسه . والحكمة

العقلية في الاستنشاق وهو ادخال الماء في الانف ومرار الاصابع عليه ونثره هو كون الانف محل التنفس وكلما دخل فيه نفس الانسان دخل معه العبار والذرات المؤذية فتختلط بالخط سبباً إذا كان في الانف شعر فيحصل الضرر لحاسة الشم وينشأ عن ذلك أمراض كالحبوب والزكام واستنشاق الماء مع لاقتار ينظفه ويذهب به . والحكمة العقلية في غسل الوجه أنه معرض لما يذفه الهواء من المواد الغريبة وغسله مراراً في كل يوم وليلة يذهب عنه تلك المواد الغريبة ويمنعه من الاضرار التي تحصل منها ويمنع الدم من الهجوم إلى العينين ويزيل ما يجتمع من الاوساخ على جفونها . والحكمة العقلية في غسل اليدين إلى المرفقين المظافة أيضاً لأن الأيدي آلة لمباشرة كل عمل يعمله الانسان وبها تكون المصافحة وأيضاً هي بطيئة حركة دوران الدم وجولانه فيها والغسل إلى المرفقين مع الدلك يقوى عضلاته ويكثر جولان الدم في العروق ويقوى أعصابها ويزيل عنها ما يعلق بها من الوسخ والمواد الغريبة والحكمة العقلية في مسح الرأس دون غلله دفع مشقة الغسل وتنشيطها بالمسح المتكرر . والحكمة العقلية في مسح الأذنين بالماء ظهراً وباطناً لتطهير ما يدخل إليهما من غبار وأوساخ ثقيل سمعهما ويظراً عليهما من ذلك مواد ينشأ عنها التهاب في الصماخ فمسحهما بالماء يمنع عنهما ذلك . والحكمة في غسل الرجاين إلى السكبين تقويتهم على حمل البدن ولتسرى القوة منهما إلى الجسم كما يسرى الماء من أصل الشجرة إلى أغصانها فتورق وتزهو وتثمر ومنع التدفق والأذى من الأصابع الذي هو منشأ الرائحة الكريهة وإذا كان خاف المصلي صف لا يتأذى من رائحة رجلي المصلي أمامه . والحكمة العقلية في المسح على الحفين التسهيل ورفع المشقة في السفر بشرط أن يلبسهما بعد الوضوء ولا توقيت في المدة للمسافر والمقيم ما لم ينزعهما أو تصابه جنابة . واعلم بأن الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر لا تصح إلا بالماء عند وجوده وعدم المانع فان نقد الماء وحدث ما يمنع من استعماله كمرض يخشى زيادة مرضه أو خاف هلاك نفسه أو سلب ماله ، عدل عن الماء إلى التيمم بالتراب لقوله تعالى (إن لم تجدوا ماء

فقيموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، الآية . فأقام التراب مقام الماء وفرض التيمم في السنة السادسة من الهجرة وهو من خصائص هذه الأمة .

وتسن الزينة عند دخول المسجد والسواك قبل الشروع في الصلاة لأن الله تعالى أمرنا بذلك بقوله : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، يريد عند مناجاته فيسن للمصلي أن يلبس أحسن ثيابه وأن يسناك .

وروى مسلم في صحيحه أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : إني أحب أن يكون نعلي حسنا وثوبي حسنا فقال له ﷺ : وإن الله جميل يحب الجمال ، أي أن الله تعالى متصف بأكل الاوصاف الجميلة ويحب من اتصف بها ، ويؤيده ما روى عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : أن الله جميل سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة .

الصلاة

والصلاة ثمانية أركان الإسلام شرعت ليلة الإسراء في السنة الثانية عشر من البعثة . والصلاة في اللغة الدعاء ، وفي الشرع عبادة مخصوصة مشتملة على أركان مخصوصة ، وقد اشتملت أركانها على كمال التأدب ، والثناء ، والخضوع ظاهرا وباطنا ثم يقوم بين يدي مولاه ثم يرفع يديه إلى منسكبيه باسطا كفيه

الصلاة

أجمع الأئمة الأربعة على أن الصلاة لا تصح إلا بالعلم بدخول الوقت وعلى أن لها أركانا داخلية فيها . وأن من فروضها التنية وتكبيرة الاحرام والقيام مع القدرة والقراءة والركوع والسجود والجلوس في التشهد الأخير وأما رفع اليدين عند الاحرام فسنه بالاجماع . واجمعوا على أن ستر العورة واجب وأنه شرط في صحة الصلاة وعلى أن السرة من الرجل ليست بعورة وعلى أن طهارة ثوب المصلي وبدنه ومكانه واجبه وعلى أن الطهارة من الحدث شرط في صحة الصلاة فلو صلى

ثم يرفعهما إلى قرب رأسه ثم يعظم مولاه بتكبيرة الافتتاح ثم بحميه بالثناء
ويناجيه بما أمره به فيقول الحمد لله رب العالمين فيقول الله تعالى حمدني عبدي
ثم يثنى عليه بقوله الرحمن الرحيم فيقول الله تعالى أنى على عبدي ثم يمجده بقوله
مالك يوم الدين أى يوم الجزاء فيقول الله تعالى مجدني عبدي ولما حصل
الحمد والثناء والتمجيد من العبد وهو كمال الادب أطلق لسانه بالسؤال والطلب
وعلمه كيف يسأل وماذا يسأل فقال له قل وإياك نستعين أى اجعلني لا أعبد
إلا إياك ولا أستعين إلا بك فيقول الله تعالى هذا بيني وبين عبدي ولعبدى
ما سأل ثم أمره بعد التفصيل بإجمال السؤال الجامع لأسباب السعادة فقال
له قل اهدنا الصراط المستقيم أى صراطك الموصول إلى رضوانك ودار سعادتك
ثم زاده بيانا بقوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
أى صراط الذين وفقهم إلى طاعتك لأن الله تعالى لم يجعل الصراط المستقيم
إلا لمن أنعم عليهم لا من غضب عليهم الذين إذا دعاهم لطاعته لم يحجبوه
ولا الضالين أى الخائدين . ثم يركع ثم يرفع رأسه من الركوع ويطمئن ثم
يهوى للسجود ثم يجلس بين السجدين فى التشهد الاول ثم فى التشهد الثانى

جنب بقوم فصلاته باطلة بلا خلاف سواء كان عالما ببنائه وقت دخوله فيها أو
ناسيا وعلى أن استقبال القبلة شرط فى صحة الصلاة إلا لعذر كشدة الخوف
فى الحرب والتنقل على الراحة فى السفر الطويل وكالمريض الذى لا يبد من وجهه
إلى القبلة ونحو ذلك فإن كان المصل يحضره الكعبة توجه إلى عينها وإن كان قريبا
منها فباليقين وإن كان غائبا فبالاجتهاد أو الخبر أو التقليد لأهله واففقوا على وجوب
أداء الفرائض الفاتنة .

اتفق الأئمة الأربعة على أن صلاة الجمعة واجبة وعلى أنها تجب على المقيم دون
المسافر إلا فى قول الزهرى والنخعى أنها تجب على المسافر إذا سمع النداء وعلى
أن المسافر إذا مر ببلدة فيها جمعة تخير بين فعل الجمعة والظهر واففقوا على أنها
لا تجب على الأعمى الذى لا يجد قائدا فإن وجد قائدا وجبت عليه إلا عند أبى
حنيفة وعلى أن القيام بين الخطبتين مشروع .

والاخير ثم يخرج من الصلاة بالسلام . والحكمة العقلية في طسارة البدن والوقوف في الصلاة أن من الواجب على من أراد الدخول إلى حضرة الحق أن يظلم ويتزين قبل الدخول عليه ثم يدخل بكامل الادب ويذف قائماً بخضوع ثم يطلب منه حوائجه فيمن الله عليه بقضائها .

والحكمة العقلية في رفع يديه إلى منكببيه كالتألب وإلى محاذاة أذنيه كالتألف أن الرأس محل عظمة الإنسان وكبرياته فرفع يديه إليه مع تكبير المولى عز وجل إشارة إلى أن كبرياء الحق تعالى فوق كبرياته وعظمته .

والحكمة العقلية في الركوع بين يديه إشارة إلى أن ما جناه على نفسه مستوجب خفض رأسه أمام سيده ، والحكمة العقلية في رفع رأسه منه حتى يستوى قائماً مطمئناً للفصل بين الركوع والسجود ،

والحكمة العقلية في السجود ووضع الجبهة والأنف على التراب اظهار كمال الذل والخضوع لله حيث وضع وجهه ، الذي هو أشرف أعضائه وأنفه الذي هو محل أنفته وكبرياته على الأرض التي هي موطنه الاقدام .

والحكمة العقلية في النهوض من السجود معتمداً بيديه على الأرض إظهاراً للضعف والخشية . والحكمة العقلية في الجلوس بين السجدين وفي اتشهاد الاول ليستريح بدنه ويستأنف العمل وهو على كمال الاهمية وحضور القلب بدون فتور ولا ذهول ، والحكمة العقلية في الخروج من الصلاة بالسلام لأن من دخل على حضرة الملك ووقف بين يديه وناجاء لا ينصرف منها إلا بالاستئذان . وفي الصلاة من القيام والركوع والإطمئنان والسجود والرفع منه والنعود فيه كفاية لرياضة البدن وصحته وقوة أعضائه وأما الاجتماع للصلوات الخمس في المسجد فلأن كافة أهل الإيمان اخوان بنص القرآن لا يفضل أحدهم على الآخر إلا بالدين والقوى فقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه اشتكى كله) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص

يشد بعضه بعضاً) وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى بالغداة أقبل إليهم وجهه فقال هل فيكم مريض أعوده فإن قالوا لا قال هل فيكم جنازة اتبعها فإن قالوا لا قال من رأى منكم رؤيا فأيقظها علينا .

والحكمة العقلية ان في الاجتماع للصلاة كل يوم إقامة لشعائر الدين وتأليفاً للقلوب المتنافرة وإن من الواجبات الإنسانية والجامعة الدينية أن يكون للجيران إخواناً كالمائلة الواحدة وأن يكون لهم خلاصواصاً يجتمعون فيه كل أسبوع مرة ليتفقد بعضهم بعضاً فإذا تخلف منهم أحد عن المجيء يسأل عنه فإن كان مريضاً عادوه وإن كان واقفاً في أمر ما أعانوه وساعدوه ولذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجتماع المسلمين في كل يوم وليلة خمس مرات في المساجد لأداء فرائض الصلوات الخمس .

صلاة الجمعة

وصلاة الجمعة لا تصلح إلا في المسجد الجامع الذي تقام فيه الخطبة وقد افترض الله الجمعة على المسلمين بمكة المكرمة ولم يصلها النبي صلى الله عليه وسلم بها لعدم تمكنه من ذلك وأول جمعة أقيمت في الاسلام الجمعة التي أقامها سعد بن زرارة الأنصاري أحد النقباء الاثني عشرية صلاها بالمدينة المنورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه الصلاة والسلام . ويقال أي عبادة فرضها الله تعالى على رسوله فنأخر عن فعلها وفعلها جماعة معه فبطلت صحته وأول جمعة صلاها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في المدينة صلاها في ربيع الأول في واد بني سالم وقد اتخذ ذلك الموضع مسجداً وهي من خصائص هذه الأمة . والحكمة العقلية في كونها جعلت مرة في الأسبوع أنه قد لا يتيسر اجتماعهم في كل يوم اجتماعاً عاماً لذلك ، فنفذ بالاجتماع في كل أسبوع مرة .

الزكاة

واعلم أن ذكر الزكاة عقب الصلاة في حديث (بنى الإسلام على خمس) وفي جوابه صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإسلام اعتناء بها وتعظيماً لشأنها لأن الله تعالى قد كتب الرحمة على المتقين بشرط إيتاء الزكاة فقال (ورحمى وسمعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) ولأن الصلاة تطهر الإنسان من الذنوب فكذلك الزكاة تطهر المال وينمو بها المال أيضاً فالصلاة لا يقبلها الله بغير طهارة والمال لا ينمو بغير زكاة وقد فرضها الله تعالى في السنة الأولى من الهجرة وهي في اللغة النمو والزيادة وشرعا مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص إذا باغ قدرا مخصوصا في وقت مخصوص من صنف مخصوص ومعنى الزكاة والصدقة واحد إلا أن الشرع قسم الصدقة قسمين .. صدقة واجبة وهي الزكاة وصدقة اختيارية وهي صدقة التطوع قال تعالى :

الزكاة

أجمع الائمة على أن الزكاة أحد أركان الاسلام وعلى أن وجوبها في أربعة أصناف: الماشي والا موال وعروض التجارة والمكيل والمدخر من الثمار والزرع بصفات مخصوصة . وعلى أن وجوب الزكاة على المسلم البالغ العاقل وعلى أن الحول شرط في وجوب الزكاة إلا ما حكى عن بن مسعود وبن عباس من قولهما بوجوبها من حين الملك ثم إذا حال الحول وجبت وكان بن مسعود إذا أخذ عطاء ، زكاه في الحال . وأجمعوا على أن اخراج الزكاة لا يصح إلا بنية وقال الأوزاعي لا يفتقر اخراج الزكاة إلى نية وعلى أن من امتنع من اخراج الزكاة بخلا اخذت منه قهرا ويعذر وقد أمرنا الله تعالى باخراجها ووعدنا بالبركة في الرزق والنمو فيه وهو التزكية ومنها اشتق اسم الزكاة ومن معانيها التطهير أيضا .

وقد ورد في الحديث (أن الله تعالى ما وعدنا بالاجر على الزكاة إلا لمن أخرجها مفترحا صدره قارة عينه لأن الله تعالى ما أمرنا باخراجها إلا وهو يريد أن يزيدنا من فضله فاللائق بنا الفرح والسرور عند أدائها .

(واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واقترضوا الله قرضاً حسناً بضاعفه لكم) والقرض هنا صدقة التطوع فورد الأمر بالقرض كما ورد بإعطاء الزكاة والفرق بينهما أن إعطاء الزكاة موقت بالزمان والنصاب محصور في الأصناف التي تدفع لهم والقرض ليس كذلك وسميت الصدقة زكاة لأن الله تعالى يربها كما يرب الزكاة قل تعالى (ويرب الصدقات) وفي الزكاة بركة الأموال وطهارة النفس وتزكيتها قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) وقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة لهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) الآية

والحكمة العقلية في وجوبها عقلاً أن الله تعالى قسم رزق العباد في الأزل وقد جعل رزق بعضهم من بعض وقد جعلت النفوس على الحرص وحب المال وجمعه والتضييق على الفقراء والمساكين والشح بإعطاء الصدقة فإن خرجت من أيديهم بما يرون أنهم متفضلون بها ويتبعها المان والأذى الذي فرض الله سبحانه وتعالى الزكاة على كل من ملك نصيباً وإعطاءها للمستحقين ليسهل إخراجها على أنفسهم لعلمهم بأنها فرض من الله تعالى أوجبها عليهم في أخذها الفقراء والمساكين بلا من ولا أذى وأما تعيين إعطاء زكاة الحبوب عند حصولها لقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده).

ومذهب الإمام مالك وكذا الشافعي رضي الله عنهما وجوب إخراج الزكاة من عين ما وجبت فيه سواء المال والحبوب والماشية في الموضع الذي وجبت فيه الزكاة على المالك ولا يجوز نقلها لموضع آخر إلا عند الإمام مالك على مسافة القصر أو أكثر إلا أن يكون فيه فقراء أشد من فقراء مكان الواجب والأفضل لمن يعطى الزكاة أن ينويها في قلبه ولا يتلفظ بها على لسانه كأن يقول للفقير هذا من الزكاة أو قبلت هذا من الزكاة لأن في ذلك كسر قلب الفقير.

زكاة الفطر

وهي مأخوذة من الفطرة أى الحلقة لتعلمها بها فكأن زكاة الأموال تطهر الأموال وكذلك زكاة الفطر تطهر الأبدان والحكمة العقلية في إعطاء زكاة الفطر يوم العيد جبر خواطر الفقراء وكفهم عن السؤال وقد ورد في الخبر اغنوم عن ذل السؤال في هذا اليوم أى يوم العيد لأنه يوم فرح وسرور لا يوم ذل وسؤال فالفطرة في يوم الفطر والاضحية في يوم عيد الاضحية .

الصَّيَام

شرع الله تعالى الصوم وصلاة العبدین وزكاة الفطر والاضحية في السنة الثانية من الهجرة . والصوم لغة : الامسك عن الشيء ولذا سمي الصمت صوما لأنه امسك عن الكلام ومنه قوله تعالى (إني نذرت للرحمن صوما) أى صمتا والصوم شرعا الامسك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

زكاة الفطر

اتفق الاثمة على أن زكاة الفطر واجبه وانفقوا على أن كل من لزمته زكاة الفطر لزمته زكاة أولاده الصغار ومالكة المسلمين وعلى أن وجوبها على الصغير والكبير . وعن علي عليه السلام أنها لا تجب إلا على من صام وصلى واتفقوا على أنه يجوز تعجيل الفطرة قبل العيدین بيومين وأن رفع الصيام متوقف على إخراجها وأنها لا تسقط بالتأخير بل تصير ديناً يجب أدائه .

الصيام

اجمع الاثمة على أن الصوم في شهر رمضان فرض واجب على المسلمين وأنه أحد أركان الاسلام واتفقوا على أنه يتحتم صومه على كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر على الصوم وعلى أن الحائض والنفساء يحرم عليهما الصوم فلو صامتا لم يصح

والحكمة العقلية في الصوم حفظ الصحة ونقاء الجسد من الفضلات المضرّة .

ويقول الله في حفظ الصحة في شهر الصوم عند عدم القدرة : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، الآية فأباح الفطر للمريض والمسافر طالبا لحفظ صحتهم ولئلا يجتمع على المسافر الصوم ومشقة السفر وقال تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات) أي كتب عليكم الصيام أياما معدودات وقال تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقال الشهر سناني في أولياته أن أول أمة فرض عليها صوم شهر رمضان أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في الحديث القدسي (كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا

وإلهما قضؤه وعلى أنه يباح للحامل والمرضع الفطر إذا خافتا على نفسيهما ولديهما فلو صامتا صح وعلى أن المسافر والمريض الذي يرجى بروه يباح لهما الفطر فإن صامتا صح وإن تضرركه وانفقوا على أن الصبي الذي لا يطبق الصوم والمجنون المطبق جنونه غير ملزم به ولكن يؤمر الصبي لسبع ويضرب عليه لعشر وعلى أن صوم شهر رمضان يجب برؤيه الهلال أو بإكمال شعبان ثلاثين يوما وانفقوا على وجوب النية في صوم رمضان وأنه لا يصح إلا بالنية . وانفقوا على أن الغيبة والكذب مكرهان للصائم كراهه شديدة وأن صبح الصوم في الحكم وقال الاوزاعي يبطل الصوم . وانفقوا على أن من أكل وهو يظن أن الشمس غابت أو أن الفجر لم يطلع ثم بان الأمر بخلاف ذلك أنه يجب عليه القضاء وعلى أن من وطئ وهو صائم في رمضان عامدا كان عاصيا ويبطل صومه ولزمه إمساك ببقية النهار وعليه الكفارة الكبرى وهي عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا وانفقوا على أن من تعمد الاكل والشرب صحيحا مقبلا في يوم من شهر رمضان يجب عليه القضاء وإمساك ببقية النهار وعلى أن من أفسد صوم يوم من شهر رمضان بالاكل عدا يجب عليه قضاء يوم مكاه فقط وانفقوا على صحة صوم من اغشى عليه طول النهار وعلى أنه لو نام بجميع النهار صح صومه والشيوخ المسن الذي لا يمكنه الصوم إلا بمشقة يخشى عليه من حدوثها يجب عليه الاطعام عن كل يوم مسكينا .

اجزى به) وذلك لأن الصوم صفة صمدانية وهى التزه عن التغذى وهى من صفات الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فالفرحة الأولى لروحه الحيوانية والثانية لنفسه الباطنة اللطيفة الربانية) .

والحكمة العقلية فى الصوم صحة البدن وتنوير القوى العقلية وسمو الروح للاطلاع على العلوم الإلهية ولذلك كان من شرط الحلوة الصيام مع الافتصار على قدر ما يقوم به أود الجسم من الطعام ويؤيد ذلك قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين) وقوله ﷺ (ماملأ ابن آدم وعاء قط شر من بطنه) وفى الصوم تذليل النفس وقهر لحدتها وبه تنكسر شهوة البطن والفرج التى ينهمك الإنسان لاجلها على تحصيل الدنيا ولكى يتصور الصائم حالة الفقراء والمساكين وبه يطف عليهم ، وقال بعض الأكابر : الموت ثلاثة أنواع موت أبيض وهو الجوع وموت أحمر وهو مخالفة النفس فى هواها وموت أسود وهو تحمل الأذى وإنما سمي الجوع موتا أبيضاً لأن فيه صفاء النفس المشبهة بالضياء ، ومخالفة النفس موتاً أحمر لأنها شبيهة بحمرة الدم فإن من خالف هواه فقد ذبح نفسه ، وسمى تحمل الأذى موتاً أسوداً لأن فيه غم النفس وظلمتها والظلمة شبيهة بالسواد . وقد أجمع الأطباء المحدثون على وجوب الجوع قطعاً دون تحديد على أن يكون كل أسبوع مرة أو أقل أو أكثر لتخفيف الضغط وتريحص الأمعاء وتنقية الدم من الأحماض المرة السوداء . والصوم للحمية فى الطب أمر مشهور وهذا يذكرنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء) فإذا كان تقدم العلم أدى إلى وجوب الامساك عن الطعام ولو يوماً فى الأسبوع فكيف لا يعتبر الرجل المسلم بذلك ويشكر الله على أن فرض الجوع فرضاً ثلاثين يوماً فى السنة وهذا غاية الحكمة والله بكل شىء عليم . وليتدبر المؤمنون حكمة الخالق فى رعاية الصيانة للأجسام والنفوس التى خلقها وهو عليهم بها .

الحج

قال الله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) أى قدر على الزاد والرحلة . والحج فى اللغة القصد ، والعمرة الزيارة . وهو فى الشرع أقوال وأفعال مخصوصة فى أماكن مخصوصة قال تعالى (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً) أى مشاة (وعلى كل ضامر) أى جمل مهزول من التعب (يأتون من كل فج عميق) أى طريق بعيدة . وأول ما يبدأ به الحاج من أعماله الإحرام من الميقات إذا وصل إليه . والحكمة العقلية فيه أن يشبه المحرم فى أحواله أحوال العبد الآبق من سيده إذا رجع إليه نادماً بأنه يأتية أشعثاً غير كاس متجرداً من ثياب أهل الدنيا أو قل أن الإحرام صنو الحكمن وشبيهه يرجوع الميت إلى ربه عارياً لا يملك إلا الكف من سائر حظام الدنيا ومتاعها فالحاج يقبل على الله كما يقبل العبد المذنب أو الميت الذى يرجو المغفرة ثم يدخل البيت ويطوف بالكعبة ، ويقبل

(الحج)

أجمع الآن أنه على أن الحج أحد أركان الإسلام وأنه فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع فى العمر مرة واحدة . واتفقوا على أن من لزمه الحج فلم يحج ومات قبل التمكن من أدائه سقط عنه الفرض . وأجمعوا على أنه لا يجب على الصبي حج وأن حجه قبل البلوغ لا يسقط عنه فريضه الحج واتفقوا على أن استحباب الحج لمن لم يجد زاداً ولا راحلة ولا كنهه يقدر على المشى ، وعلى صنعة يكتسب منها ما يكفيه للنفقة وعلى جواز النية فى حج الفرض عن الميت وعلى أنه لا يجوز لإدخال الحج على العمرة بعد الطواف وعلى وجوب الدم على المتمتع إن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام وكذلك القارن (وهو الجامع بين الحج والعمرة) وقال داود وطاووس لادم على القارن واتفقوا على كراهة الطيب فى الثياب للمحرم وعلى تحريم لمس الخيط للرجل وأن يكشف رأسه وعلى أن المرأة تلبس الخيط وتستتر رأسها وتكشف وجهها لأن أحرامها فيه .

الحجر الأسود. والحكمة العقلية في تقبيله أن من أراد أن يستجير بملك عظيم ويدخل في حرمة وحماه يبادر لتقبيل يمينه وقد قال صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود يمين الله في أرضه. ثم يذهب إلى عرفة والحكمة العقلية في ذلك أن يكون مقدمه ليوم الحشر بين يدي الله فإن فيه يكون الوقوف والنضرع والتوبة والابتهال والاستقالة من الذنوب وطلب المغفرة. ثم يوم النحر تكون أوفادة والزيارة ولهذا سمي طوافه بطواف الزيارة لأن الحجاج قد طهروا من ذنوبهم يوم عرفة ثم أذن لهم يوم النحر في زيارته والدخول عليه في بيته ولهذا كان فيه ذبح الغرابين وحقن الرأس ورمى الجمار والسمي بين الصفا والمروة وقد سئل على عليه السلام لماذا كان الوقوف بعرفة ولم يكن بالحرم فقال أن السكعة بيت الله وعرفة باب الله فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب يتضرعون. قيل والوقوف بالمشعر والحرام ؟ قال لما أذن لهم بالدخول أوقفهم على الباب الثاني وهو المشعر الحرام يتضرعون ثم أذن لهم بتقريب قرباتهم بمعنى فلما قضوا تمسهن وقربوا قرباتهم تطهروا من الذنوب التي كانت عليهم ، فأذن لهم بالوفادة عليه على طهارة وجعل تقبيل الحجر الأسود أومسه أو الإشارة إليه كالنجية وعلامة للرضا.

وكان الطواف أراه ذلك كالرجاء. والحكمة العقلية في الوقوف بعرفة ليتعارف فيه الحجاج بعضهم ببعض فيحصل التآلف والتراسل والتواصل ويتعارف كل ذنبه فيبرأ إلى الله منه ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم عرفة عيد لأهل الإسلام أي لاجتماعهم وتعارفهم فيه وتخلصهم من سيئاتهم. وإجمالا فإن الحج كماؤتمر العام للمسلمين.

قال سيدي محي الدين بن العربي (إن عبادة الحج شديدة بالناس في أحوالهم يوم القيامة شعنا غبرا متضرعين تاركين للزينة يرمون بالحجارة وكأنهم يرمون ذنوبهم عن كواهلهم لأنهم في عبادة لو علوا ما فيها من الخير لذلت عقولهم وما ثم عبادة هي تعبد محض في أكثر أفعالها إلا الحج . وللعبادات التي بنى عليها الإسلام أحكاما مفصلة في كتب فقه التشريع ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر الناس أن يأخذوا بالأسهل والأهون منها ويقول بمشت بالحنيفية السمحة السهلة ويأخذ هو بالأفضل أي الأشق منها . قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما

نهامكم عنه فانتهاوا) وقال صلى الله عليه وسلم (ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فاعملوه ما استطعتم) فأطاعوا أمر الله وقيدوا بالأمر بالسجدة رحمة بأمنه وشفقة عليهم . وأما الحج ، فهو طاعة مبينة على المشقة فأجده عند الله جامع لأجور الطاعات لا سيما وأنه جامع لصنوف العبادات المتوزنة في الصلاة والصيام والصدقة والصبر والصوم ومشقته .

فوائد الغنى بالله

اعلم وفقى الله وإياك أن مقتضى العلم سبحانه وتعالى أن تكون موقفاً عليه بكل قلبك راجعاً إليه في جميع أمورك فعلاً ما به أمرك متى أردت التعرف إليه والرفقة لديه تاركاً ما نهاك عنه وزجر بك . صاراً ثابتاً تحت سلطان حكمه وبلائته مطعماً إلى الثقة به معتمداً عليه في جميع أمورك . فهو صالح لجميع شئونك ناظراً لما أهدى إليك من آلائه شاكراً له جميع نعماته راضياً عنه في جميع ما قضى وقدر من خير وشر ونفع وضر مراقباً لجلاله ومشاهداً لسريان سلطانه هائم القلب في الاستشراق إلى مشاهد جماله في أفعاله ساجداً في متزهات كماله آنساً بذكره بجائل الفكر في ملكه وملكوته وحينئذ تؤدي بك مقامات السلوك وهي الطريقة إلى أحوال الشهود فتشرق بعد اختراق نطاق حججك الأرضية على سماء الحقيقة فتسكون محباً له من كل وجه وعلى كل حال لأنه هو الذي أنشأك ولم تكن شيئاً وتولى رعايتك بلطفه في جميع أطوارك منذ كنت في أحشاء أمك فهو الموصوف بكمال العلم والقدرة اللذين هما مجمع الكمالات على التحقيق والكمال محبوب الكل ذي طبع سليم . فكل ما ذكرناه من ثمرات العلم بالله تعالى كمال للنفس وللطبع فإذا الفيت من نفسك أنك على غير ما ذكر ولم يكن حفظك من العلم بالله إلا مجرد اعتقاد خال من الثمرة وكنت لا تزال بعيداً عما بيناه لك من الأوصاف المتقدمة التي هي ثمرات العلم بالله تعالى ومعرفته فاعلم يقيناً أن السبب الذي اقتضى بعدك عن مولاك وأنزلك إلى حضيض الغافلين وسجن مظاهر الطبيعة هو إتياعك لشهواتك وميلك لهواك فهو الذي حجبتك عن

مولالك فاعمد إلى معتقدك السليم المتحصل من الشرع الشريف الذكر الصافي
والماينة الدائنة والذكر الكثير والهمة العالية فإذا نظرت إلى ذلك نظر المجزأ
نظرك الصادق في القلب أنواراً عظيماً وإلهاماً قيماً ومشاهدة جلية وأسفاً باغياً على فوات
محبوك فيخرج هذا الحال عندك كثيراً من الدم على ما مضى في غير صحبة الله وصدقة
الصالحين من عباده ، ونزولك إلى ترك كل ما انتضى بعدك عن مولاك الذي
يراك ويدلم مثوك ومآك وعلى موائد بره وكرمه ربك وفعل كل ما يقر بك من
حضرته ، وباطنه في جميع شئوك وتولاك وهو الذي خلقك فسواك فحقيق فيك
حيث سر قوله صلى الله عليه وسلم (التدم توة) لأنه بيعت على حقيقة اتوة إذ كل
مقام من مقامات الدين وكل منزل من منازل السالكين يظلم من علم وحال وعمل
فالعلم يثمر الحال والحال ينتج العلم وأساس كل ذلك التوبة ثم نيلها المراقبة
والجمعة والخشية الخ مما سنده في كتاب الطريقة وذلك ما يسميه أهل الله
بعلم التصوف أو علم السلوك إلى طرق الله تعالى أنس العدو منك هذه الهضة
الصالح والصدقة الراجعة بالتوبة قصدك بخود وحياله وخذعه وإغوائه ليهلك من سبيل
الله لأنه اعتاد انقيادك وسيرك في طاعته وسلوكك في سبيل غرايته وسقط عليك
النفس الامارة بالسوء والهوى وهما صديقاه الخنسان ، فجده بالدم والتوبة
وانتظم في سلك السالكين على صراط الله المستقيم وممك باعث الدين وجند
العقل السليم فيتأزحك جند كلتي الطائفتين لجند العقل يريد خلاصك من الأغيار
والأشرار وباعث الدين بقيمك على طريق الحق ويسير بك إلى رضوان الله
وبعدك عن أسباب البعد والقطيعة ، وهكذا تكون الحرب بينهما سجالاً أعوان
الشيطان وجند الرحمن وكنت أنت مجال المعركة بينهما وهدفها فإذا فطنت لمعرفة
نفسك وأمدك الله تعالى بأنواره وإمداده علمت أن الفلاح في اتباع واثق الدين
وجند العقل ، فتثبت حيثئذ مع باعث الدين تأتمر بأوامر العقل وذلك لب
الاستقامة وحقيقه الصبر . وحيثئذ تفهم قوله صلى الله عليه وسلم (الإيمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر) والصبر لا يكون إلا على الابتلاء بدواعي النفس
والشيطان والهوى ، والشكر لا يكون إلا بحسن طاعة الله . ويقول عمر بن الخطاب
في مثل هذا المقام (والله لو كان الصبر والشكر يعيرين ما باليت أيهما ركبت)

واعلم أن العدو المبين وهو الشيطان مازال يرقبك من طرف خفي وهو يراك من حيث لا تراه ويمر في دمك بحرى السم في عروقك كما علمنا رسول الله . فواجبك حيال ذلك اليقظة والآوریة ثم الاوبة وهي معنى التوبة النصوح . تكون قد رجعت حينئذ إلى مالك أمرك الحققي وهو من يده الملك والمكوت علما بأنه هو الملك لكل ما سواه والقاهر لكل ما عداه فهو الذي لا معقب لحكمه ولا راد لما قضاه فاتخذة وكبلا واركن إليه معتمدا عليه وليطمئن فملك بوكالته لك في رد كيد الشيطان والنفس وكل ما يشغلك عنه ، ذلك حقيقة التوكل قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وتوكلوا على الله إن كنتم مؤمنين .

(وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هوانا سبانا وانصبرن على ما آذ يتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فإذا اطمأن قلبك به تعالى أشرفت أنواره على بصيرتك وانفشت سحب الاغيار عن قلبك وانجلى مرآة بصيرتك فعلمت يقينا أنه هو الذي وجهك إليه ووفقك للعمل الذي يقر بك لديه وثبك لتحمل مشاق السير إليه ومنحك التوكل لأنه هو الكريم المفضل والكبير المعال فهو الذي يعطى ويمنع ويخفض ويرفع ويوصل ويقطع ويهدي ويضل ويعز وبذل ويوفى ويخذل ويقرب ويبعد ويثقي ويسعد ويغني ويفقر لا شريك له في ملكه ؛ فاعطوه فضل ومنعه عدل . فإذا تحققت ذلك كله اتملا قلبك شوقا إليه وتحرك لسالك بذكره والثناء عليه وانسبط أركانك وجميع جوارحك إلى طاعته وخشعت سائر جوارحك في حضرة توهذا مقام الشكر . وفي الخبر عن داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أنه قال (رب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة ملك تحتاج إلى الشكر فقال الله سبحانه وتعالى يا داود الآن قد شكرتني) فسيحان من له الخلق والأمر وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون . إن أشرفت على هذا المقام انشرح قلبك فرحا وسرورا بما أجراه عليك من القبول (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وهذا الفرح والسرور والطمانينة بشائر مقام الرضا فإذا صبح رضاك عنه فقد أوجب ذلك رضاه عنك وفي الحقيقة ما أوجب رضاك عنه إلا رضاه عنك ولا أحببته إلا لحبه لك فسيحان من سبقت قسمته وجود خلقه وسبقت منه أعمال عباده قال تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) ورضاه عنك وحبه لك هما اللذان ارتقيا بك إلى ميدن المعرفة والطاعة

والرضا وقد أباح لك دخول حضرة برفع الحجب الطلانية والنورانية فإذا بك في حضرة القدس على بساط الأنس مح المحاضرة والمكانفة والمشاهدة والمؤاسة متنزها في رياض المسكوت ساجدا في سماء الجبروت جالسا على كرسي القرب متشعرا ثياب الحب مفاض عليك من أنوار عليه ورضاه وإحسانه فتنبى عن نفسك وحتى عن فتنة ذلك بشهود الجلال فإذا شهدت الجمل فنتيت عن فتنة فإذا تحففت بشهود الكمال المطلق لمقدس المنزه تمسكت حينئذ وصرت عبدا محضا حاليا من كل شائبة لسواء شاكر له حقيقة الشكر بالعامعة بساط الأنس (وقيل من عبادى الشكور) قال الله تعالى (الذين إن مكناهم فى الأرض أفاموا الصلاة وأنوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) . فإذا نهضت حينئذ فمن الله وإذا بطشت فبالله وإذا تحركت فله وإذا سكبت فمع الله فأنت فى جميع أطرارك لله وبالله وعن الله وفى الله ومع الله وفهمت حينئذ سر قوله تعالى فى حديثه القدسي (ما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى النوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وكنت بصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها) الحديث . وقوله صلى الله عليه وسلم (ما قولك يا أبا بكر فى اثنين الله ثالثهما) وقوله تعالى (وهو منكم أينما كنتم) وقوله عز وجل (ونحن أقرب إليه منكم) وقوله (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله تعالى (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب) وقوله (ما يكون من مجرى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم يذنبهم بما عملوا يوم القيامة) حينئذ يتحقق معنى القرب والعندبة والمعية وقد زال عنك الارتباب بزوال الحجاب إذ ليس البعد عنه تعالى بعد مسافة محسوسة والقرب والبعد هنا معنويان ، وبالجمله فإن البعد عن الله هو الانبغال على غيره والاشتغال بما سواه والتخلي بسفاسف الأخلاق والعمل بما نهى عنه . والقرب منه تعالى هو التخلي عن كل صفة ذميمة والنحلي بمكارم الأخلاق والانبغال عليه والطاعة له والاعراض عن كل ما سواه وذلك هو معنى طريق الله وما وصفناه من أحوال العبد مع ربه وتجلي الرب على عبده هو أحوال السالكين إليه ومقامات السلوك من التوبة والابابة والمجاهدة والصبر والشكر والرضا وذلك ما سديته إن شاء الله فى كتاب الطريقة .

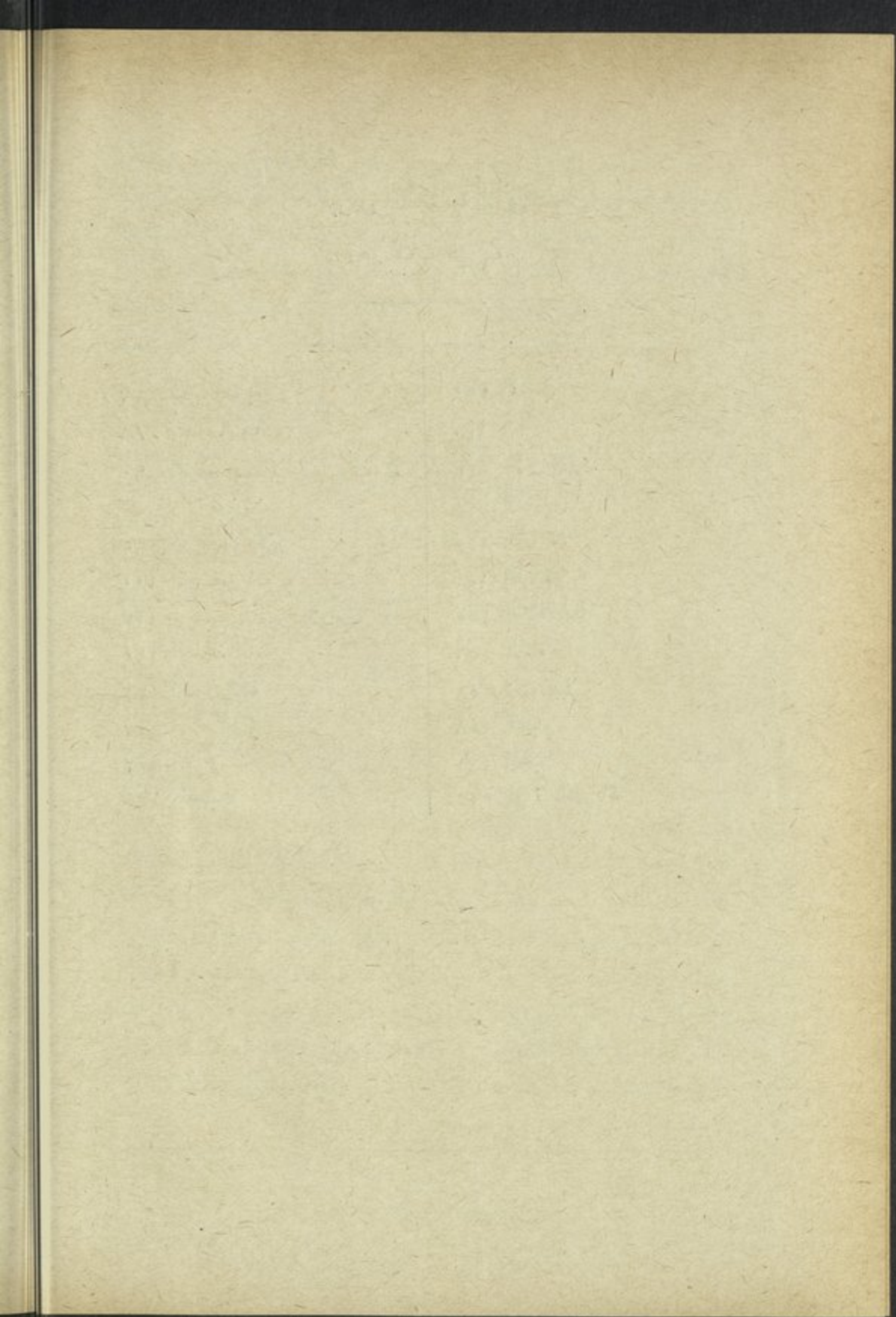
انتهى كتاب الشريعة

وبليه كتاب الطريقة

فهرس الكتاب الثاني

وهو كتاب الشريعة

صفحة	صفحة
١٣٩ الفقه	٧٧ كتاب الشريعة
١٤٠ العلم	٨٨ مقدمة الكتاب
١٤٣ ضلأ العلم	٩٠ الفرق بين الإسلام والإيمان
١٤٤ العبادات	والإحسان
١٤٥ الطهارة	٩٥ شريعة الإسلام
١٥٢ الصلاة	١٠٠ التعرف بالله
١٥٥ صلاة الجمعة	١١٣ توضيح وتبصير بالتوحيد
١٥٦ الزكاة	١٢٤ الرسالة العامة
١٥٨ زكاة الفطر	١٣١ أصول الفقه
١٥٨ الصيام	١٣٢ أنواع الحكم
١٦١ الحج	١٣٢ الشرع
١٦٣ فوائأ العلم باقه	١٣٦ الحديث



کتاب الطریقین

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الطريق إليه طريقاً واحداً فرداً لا يساكنه سوى فرد وكابر خاف كابر وجعل سلوكه مشروطاً بالمداومة والمصاحبة والاحتياج والآلة والمحبة ويسره منهاج الأسرار والأخيار والأولياء والصديقين وبقية أولى الألباب والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأسمى الذي كان أول سالك لطريق الله على بصيرة وبايعه على سلوكه صفوة صحبه من أهل بيعة الرضوان وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين وسائر السالكين إلى حضرة الحق على قدم الاخلاص والصدق .

وبعد فهذا كتاب الطريقة وهو كالمحز الموصل إلى رحاب الحقيقة نسوق الكلام فيه عن آداب السلوك وترتيب المقامات وفضل الشيوخ وآداب المريدين وسلسلة الطريق ، وفتحة الذكر وآداب الذاكرين وترتيب مفاوز العرفان وقطع عقبات النفس ومراقى الوصول لشهود حضرة الحق الخ واقفه الموفق للصواب

وليكن معلوماً للسالكين أن الطريق هو الصراط المستقيم الموصل لحضرة الحق . والصراط في الدنيا خط قويم أرله ملة الاسلام وهي الشريعة ووسطه مقامات الايمان وهي الطريقة وآخره رتبة الاحسان وهي مقام الشهود والعبان . وقد انتهينا من الكلام في الشريعة فأضحى لزوماً علينا أن نتكلم عن منازل السائرين في الطريقة ومقامات اليقين وما يلزم من الزاد للسالكين في تلك الشعاب والمفاوز حتى يصلوا بعناية الله إلى ريعيل الصديقين والأنبياء والصالحين في مقعد صدق عند مليك مقتدر فنقول .

أما وقد تكلمنا عن الدين وعن الفقه فيه أصولاً وفروعاً من جهة الشرع ، أي علم ظاهر الشريعة ، فلنتكلم هنا عما يرتقى إليه ذلك من جهة باطن الشريعة عن طريق اليقين وهو علم الحقيقة ، وبين هذا وذاك يوجد علم السلوك وهو العلم بسلوك الطريق إلى شهود الحقيقة . والعلم الموصل بين المنهجين منهج الظاهر ومنهج الباطن هو علم التصوف .

منشأ التصوف

كانت نسبة الصلاح والصالحين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
لالتصوف ولأعمال الإيمان والإسلام تشبها باختلاء رسول الله في العار . فيقول
مسلم ومؤمن وصحابي ، ثم حدث اسم زاهد ونابذ . ثم نشأ أفوام تعانوا بالزهد
والتعبد وتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا
بها تنسب إلى الزهد ثم ارتقت إلى التصوف ، وأحلافا تخلقوا بها . وقيل أن أول
من انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى قبل الإسلام عند بيته الحرام رجل كان يقال
له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله
سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية . وقال محمد بن ناصر عن أبي إسحق إبراهيم
ابن سعيد الجبال قال . قال أبو محمد عبد الله بن سعيد الحافظ . قل سألت الوليد
ابن القاسم إلى أي شيء ينسب الصوفي ؟ فقال كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة
انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فن تشبه بهم فهم الصوفية ، قال
عبد الغنى فهو لا . المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر .
والإسناد إلى الزبير بن بكار قال . كانت الإجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث
ابن مر من طابخة ثم كانت في ولده ، وكان يقال لهم صوفة . وكان إذا كانت
الإجازة قال العرب . أجز صوفة ، قال الزبير قال أبو عبيدة وصوفة ، وصوفان
يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك
يقال لهم صوفة ، وصوفان . وسمى الغوث بن مر صوفة لأنه ما كان يبش لأمه
ولد فنذرت أمه عاش لتعاين برأسه صوفة ولتجعلته ربيط الكعبة ففعلت فقيل
له صوفة ولولده من بعده .

وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة من أصحاب رسول
الله وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة الصوفية
في الانقطاع إلى الله تعالى وملازمة الفقر . وعن نعيم بن الحجر عن أبيه عن أبي ذر

قال . كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرمنا ، وكان يجالسنا في صفة مسجده . وعن الطوسي يقول سمعت أبا بكر بن المشقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف فقال . الخروج عن كل خلق ردى . والدخول في كل خلق سنى . وعن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد ابن خفيف يقول قال رويم كل الخلق فعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق . وقال : الخلق كلوا أنفسهم بظواهر الشرع والصوفية طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق .

وقد ينسب اسم الصوفية إلى ظاهر اللبسة لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء ، وهو اسم عام يخبر عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق ، والأحوال الشريفة المحودة ، ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فذهبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل (ولما قال الحواريون) الخ الآية وكأوا قوما يبدسون البياض وهو الحرار فذهبهم الله تعالى إلى ذلك ولم يذهبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها متممين فكذلك الصوفية نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها متممون . ونسبهم قوم إلى الصفاء ، وإلى الصف الأول وعندنا أن التصوف علم يعرف به مباح ترقى النفس في مقامات اليقين من التوبة والابانة والرضا وتعرف أيضاً به أحوال النفس من جهة قربها وبعدها من ربها فهو بالصفاء أرلى وقلنا في تعريفه في موضع آخر :

التصوف فناء في الحق ، وإعراض عن الخلق وتحقق باليقين ، وتسليم لظاهر الدين . . . وقلنا أيضاً ، التصوف أنت يغنى حالك عن مقالك وتكبرن مع الله بلا كون في صحنك واعتلاك وأن تدع الخلق ظهرياً جملة وتفصيلاً وأن تعكف على ذكر الله بكرة وأصيلاً .

وسئل رويم بن أحمد عن التصوف فقال . استرسال النفس مع الله على ما يريد . وسئل سمنون عن التصوف فقال . . أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء . (أى لا تدعى فيما تملك بما هو فيه عندك ما بك) . . وسئل عمرو بن عثمان المكي عن التصوف فقال أن يكبرن العبد في كل وقت بما هو أولى في وقته ولذا قالوا (الصوفي

ابن ونة. فإن قيل لك من الصوفية على التحقيق؟ فقل: هم العلماء بالله العالمون بما
عليهم الله.

وقد وصفنا أهل النصف عموماً فقلنا في وصف الصوفية هم لمجموعة على الله
همهم المتعلقة بعظمة أسرارهم وقولهم والدين لا تشهد سوى الله أسرارهم
وليس إلا إليه غديهم ورواحهم.

وقلنا في تعريف آخر الصوفى مر كان غنياً في فقره، وفقيراً في غناه ومن إذا قرب
تأدب وإذا أوصى تحجب. وقلنا (خير العلم ما قربك إلى الله وخير العمل
ما جمعه عليه).

وقال ذو النون المصري رحمه الله: أن الصوفى هو الذى لا يتعبه طلب
ولا يزعبه سلب (ومعناه أن يكون مع الله دائماً فى حالى العطاء والمنع). وقال
أيضاً هم قوم آثروا الله تعالى على كل شىء. وآثرهم الله على كل شىء. وقيل لبعضهم
من أصحاب؟ مال. لأصحاب الصوفية فإن لله مبيع عندكم وجوها من المعاذير وليس
لكثير عمل عندهم موقع فيرفعونك. فتعجب بنهسك. وأجمعوا على قول الجنيد
عن الصوفية من هم؟ فقل ودبمه الله فى خلقه يحفظها إذا أحب ويظهرها إذا أحب

رأى القوم فى التوحيد

قام رجل بين يدي ذى النون رضى الله عنه فقال خبرني عن التوحيد ما هو؟ قال:
(هو أن تلم أن قدرة الله تعالى فى الاشياء بلا زاج وصنعه للأشياء بلا علاج،
وعلة كل شىء صنعه، ولا سلة لصنعه، وليس فى السموات العلى، ولا فى الأرضين
السفلى مدبر غير الله تعالى) وقوله: (قدرة الله بلا زاج أى بلا مخاط يدعو إلى شركة
فى تلك القدرة، وقوله صنعه بلا علاج أى أنه تلافانيا لم يستعن عليه بشىء سواه).

وسئل الجنيد عن التوحيد فقال (معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم
ويكون الله تعالى كما لم يزل). يعنى يحيط علمه بكل علم دون سابق رسم أو حد.
وفى علمه تندرج رسوم الاعيان والوجودية وفيه أيضاً تقنى وبيقى واحداً فى الازل
كما كان واحداً فى الابد.

العلم بالطريق الى الله

يستمد علم التصوف الاسلامي كيانه من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين وقد أدخلوا فيه أصولاً وفروعاً من علم الفقه لم يسس الحاجة إليها في علم التصوف وحرر ذلك الغزالي في أحياه علوم الدين وقسمه إلى أربعة كتب • كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهاركات وكتاب المنجيات • وأما حكم الشارع فيه فقل الغزالي إنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض نفساني سوى الانبياء عليهم السلام وقال الشاذلي رضي الله عنه • من لم يتغافل في علمنا هذا مات مصراً على الكبر وهو لا يشعر • وحيث كان فرض عين يجب السفر إلى من يأخذه عنه من علماء الطريق إلى الله إذا عرف بالترقية واشتهر بصحة السلوك - قال الشيخ السنوسي النفس إذا طفت كالعدو إذا طفئ فيجب مجاهدتها والاستئمانه عليها بمن يردّها إلى الصواب .

وموضوع بحث التصوف هو الحقيقة الإلهية ذاتاً وأسماء وصفاتها وأفعالا . ويبحث عن ذلك إما بالبرهان وأما بالشهود والعيان فالأول للطالبيين والثاني للراسلين . وقيل موضوعه : النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيها وتهذيبها وهو قريب من الأول لأن من عرف نفسه عرف ربه .

وأما مؤسس هذا العلم فهو النبي صلى الله عليه وسلم عليه بالوحي والإلهام فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشرعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فخص بها بعضاً من أصحابه دون بعض وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن والحسين ابناه وأخذ عنه كذلك الحسن البصري وأمه اسمها (خيرة) مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأبوه مولى زيد ابن ثابت وتوفي الحسن عام ١١٠ هجرية ، ثم أخذه حبيب العجمي وأخذه عن حبيب أبو سليمان داود الطائفي وتوفي عام ١٦٥ هجرية وأخذه عن داود السري السقطي وتوفي عام ١٥١ هجرية وأخذه عنه إمام هذه الطريقة ومظهر أعلام الحقيقة أبو هاشم محمد الجنيد وأصله من نهاوند ومنشأه العراق تفقه على

أبي ثور وصاحب الشافعي ثم صاحب خاله السري القطبي وأبا الحارث المحاسبي وغيرهم وتوفي عام ٢٩٧ هجرية وقبره ببغداد ثم انقضى التصوف ولن ينقطع حتى ينقطع الدين والدين لا ينقطع. وأما سلسلة سيدي أبي الحسن الشاذلي فقد أخذ الطريق عن سيدنا علي أول الأقطاب سيدنا الحسن ولده رضى الله عنهما ثم أخذ عنه أبو محمد جابر ثم القطب سعيد الغزواني ثم القطب سعد ثم القطب سعيد ثم سيدي أحمد المرواني ثم إبراهيم البصري ثم زين الدين القزويني ثم القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين ثم القطب غفر الدين ثم القطب تقي الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب سيدي عبد الرحمن المدني ثم القطب الكبير عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي ثم خليفته أبو العباس المرسي ثم العارف بالله الكبير سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري.

فلسفة التصوف

وقد قلنا وكررنا القول إن الصوفية ليست من الفرق الإسلامية المعهودة بنظم مخصوصة ومعتقدات لا يعترفها التغيير ولا يتناولها التطور. وإنما هي فلسفة نظرية وعملية نشأت مبينة على أصول الإسلام عقيدة وديانة وإيمانا وإحسانا. وقد أجمع أهل التصوف على نعمت هذا الطريق (بالسلوك إلى الله) وسموا من عزم على ذلك سالكا والسالك يترقى في مقامات متعددة ليصل إلى شهود الحق. والطوسي في كتاب اللمع - وهو من أقدم المؤلفات الصوفية - يصف هذا السلوك وصفا مدقعا جاءلا المقامات (سبعة) كل مقام منها كالنتيجة لمقام تقدمه وتلك المقامات هي: التوبة. والورع. والزهد. والفقر والصبر. والتوكل. والرضا. وبالمجاهدة يتخطى الصوفي سائر المقامات السالفة الذكر ويتوصل إلى مراقب الأحوال. ويوجد فرق بين الأحوال والمقامات فالقمامات تنأى بالمجاهدة والسلوك وأما الأحوال فحالات روحية لا دخل لاجتهاد الإنسان فيها وهي كالتأمل والقرب والحب والخوف والرجاء والانس والطمأنينة والمشاهدة واليقين بدرجاته الثلاث وهي علم اليقين وعين اليقين وصدق اليقين.

وأول المقامات التوبة . وهي الشعور بالخطيئة والتندم الاكيد على فعلها ، والإقلاع عنها وإذا لم يستطع الصوف إلى ذلك سبيلا عليه أن يتوب مرة ثلثا المرة حتى يتوب الله عليه ، ويروى أن أحدهم كرر عملية التوبة سبعين مرة . ويضاف إلى الشعور بالخطيئة والندم على تركها عدم التفكير فيها . وبعد التوبة يلتحق (الطالب) برشد أو شيخ بطيعة ، ولا يجوز سلوك الطريق إلى الله دون مرشد فيكون مثله كمثل حديفة لا يعتنى بها فلا تثمر ثمراً صالحاً . . . وثاني المقامات ، الورع . وفيه يتحرى السالك الحرام من الحلال ، ويمتنع عن اللذات الشهوانية والعطوفات الدنيوية إلى السأم في الله والتقرب إليه .

ثم مقام الزهد ولم يشترطوا الزهد في المراتب المادية فقط بل والافكار فيها . لكي لا تصرفه عن مطلوبه ثم مقام الأفقار إلى الله وفيه يرى السالك أنه لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء ، ويتلو هذا مقام الصبر ، وفيه يعادى السالك نفسه لأنها عنصر الشرفية والحاجز بينه وبين مولاه ، أو لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) ويكون العبد قد خلاص من رعونته نفسه بدرجاتها الثلاث الامارة واللامامة والملممة . وبلى ذلك مقام التوكل والصبر . وقوامهما الابتعاد عن كل إرادة شخصية وإنما الإنسان آلة في يد الخالق يديرها كيف يشاء وأنى شاء وبذا يتحرر من سائر الافعال البشرية فيرد إلى إرادته المستقيمة فيستعمل الدنيا كما يشاء ويكون زهداً بقلبه وإن ملك الدنيا بيده .

المقام الأخير مقام الرضا وراحة النفس والسلام الروحي . وللوصول إلى ذلك تعقد حلقات الذكر أو يمارسها الشخص على افراد في خلوة . ويظل يكرر لا إله إلا الله أو لفظ (الله . . الله) إلى أن يكمل لسانه فيشعر أنه إنما ينطق بقلبه وللذكر نظام خاص يدور حول سبعة أسماء سنذكرها . وبمقام الرضى يستعد السالك للترقى إلى الأحوال وسنفصل ذلك فيما بعد .

وينقسم التصوف في السلوك إلى مذهبين المذهب الرياضي والمذهب الاشراقي وقد جاء في القرآن الكريم (الله نور السموات والارض . . الخ) بيد أن هذا النور الإلهي أمر لا تدركه العيون المجردة وإنما يدرك بالقلب شهوداً ويتصل

إلى ذلك بالرياضة والمجاهدة ، ونقول في تعريف هذه المشاهدة ما معناه (إدراك القلب لما هو مخبوء خلف ستار الكائنات من أسرار في العالم غير المظفر بواسطة نور اليقين وهذا النور (نور اليقين) منبثق من مصدر النور الإلهي الأزلي ولولاه لاستحالت معرفة الله ، وعمدة السلوك هنا تصفية النفس مع الاحاطة بالعلوم الموصلة لذلك فهو طريق البرهان ؛ وعمدة السير فيه العبادة والمجاهدة إلى أن يشرق نور الحق على القلب ، فالأول طريق الاشراف وشرطه للنظر الفكري والثاني طريق لرياضة وشرطه المجاهدة وكثرة العبادة والذكر مع الفهم .

ويقول في مذهبي الاشراف والبرهان صاحب المباحث الاصلية على هامش

ليقاط الهمم

وفرقه قالت بأن العلم — من خارج بالاكتساب اسمى
وشرطوا العلوم في لاسطلاحه اذ لاغى للباب عن مفتاحه
فليس للطامع فيه مظم — مالم يكن فيه علوم أربع
وهي علوم الذات والصفات والفقه والحديث والحالات
وهذه طريقة البره — وهي لكل حازم ينقظ — ان

وشرط الطرق عموما اصلاح الظاهر أولا . فعلاج قبل علاج الباطن لإن العلم دواء وشفاء للعلل الظاهرة لقوله صلى الله عليه وسلم (العلم لإمام والعمل تابعه) وقال أيضا (تعلموا العلم فتعلمه خشية لله وطلبة عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث فيه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذلك لأهله قربة ؛ لأن في العلم معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة) ومراده العلم بالله وبشرع الله . فشرط السلوك تعليم وتحصيل العلم الظاهر لأنه مفتاح لعلم الباطن حيث إن الشريعة باب والحقيقة بيت ولا مدخل للبيت إلا من بابه وقال تعالى (وأنوا البيوت من أبوابها) فلا يطامع أحد في علم الحقيقة والاطلاع على السر إلا بعد تحصيل أربعة علوم

١ - علم الذات العالية ويسكفيه أن يعتقد فيها لأنها موجودة قديمة باقية منزهة عن النقاش متصفة بصفات الكمال

٢ - علم الصفات ويكفيه أن يمتقد أن الذات العلية متصفة بالقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وأن زاد براهينها من الكتاب والسنة فهو كمال وأن أسعده الله بلقاء شيخ كامل قاده إلى علم الاذواق وصار توحيده إلى آفاق الشهود والعيان

٣ - علم الفقه ويكفيه منه ما يتقن به طاعته : صلاته وصيامه ولما كان له مال تعلم ما يجب عليه فيه ولا يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله فيه

٤ - علم الاحوال والمفامات والمنازلات ومخادع النفوس ومكايدها وما يجري مجرى ذلك من آداب ومعاملات وهذا العلم يختص به أهل القلوب وللناس فيه طريقان

الاول : طريق رؤية الحق من أول قدم والعمل على ذلك بانحياز اليه وهو طريق الشاذليه ومن انحازهم

الثاني : طريق رؤية النفس وإطلاع الحق عليها والعمل على ذلك وهي طريقة الغزالي ومن جرى مجراه وكل منها مستند في قوله على الحديث (أن تبتدأ بالله كالمك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فتمسكت الشاذلية بصدر الحديث والغزالي بآخره

وسميت الطريقة الاولى بالإشراق والثانية بطريقة البرهان فإذا صفت الروح وتطهرت زال عنها الحجاب . ومن تأمل طريق الشاذلية الحقيقة وجدها جمعت بين طريق الإشراق وطريق البرهان لأن أسياسها السكل يدلون أولاً على الشريعة علماً وعملًا ثم الفناء والتجلى وما إلى ذلك وهي بهذا تكون قد جمعت بين طريق البرهان وطريق الشهود والعيان

وضوح الطريق . قال أحمد بن خضرويه البلخي : الطريق واضح والدليل لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى . وسمعت رابعة العدوية صالحة المري يقول : من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له . فقالت له : الباب مفتوح وأنت تفر منه ، فكيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق اليه في أول قدم؟

وقال ابن عطاء الله . لا يخاف عليك أن تلبس الطريق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى . فلا يخاف عليك التباس الهدى وإنما يخاف عليك اتباع الهوى والجهال من الناس وأن تطع أكثر من في الأرض يصلوك عن سبيل الله . فلا يخاف عليك عدم وجود أهل التحقيق وإنما يخاف عليك فطاع الطريق .

من أخلاق أهل النصف

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا ينفى بوضوئكم على بعض) وعن محمد بن جابر اليماني عن سليمان بن عمرو عن أبيه عن حده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت عرفت أو لم تعرف وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالأدنى من المجلس وأن لا تحب المدحمة والتزكية) وورد أيضا عنه صلى الله عليه وسلم (طربى لمن تواضع في غير منفعة وذل في نفسه من غير مسكنة) وسئل الجنيد عن التواضع فقال خضع الجناح ولين الجانب . وقال النوري (خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا : زاهد وفقير صوفي وغى متواضع وفقير شاكرك وشريف سني) .

وقال الحريري صح عند أهل المعرفة أن للدين رأسا خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في اللسان وسخاوة في التملك وتواضع في الأبدان وكب الأذى واحتماله . وأما اللواتي في الباطن فحب لله وجود بالنفس وخوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى معبوده والندم على السبي من فمله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ : التواضع من الفقراء حسن ولكنه من الأغنياء أحسن والنسك من الأغنياء سمج وهو من الفقراء أسمى .

وعن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنته وتكون في الابن ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه

جائعان وأعطاه السائل والمكاتباء على الصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والنذم
للصاحب وإفراء الضيف ورأسهن الحياء ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أكثر ما يدخل الناس الجنة (قال تقوى الله وحسن الخلق) وسئل عن أكثر ما
يدخل الناس النار فقال (الغم والفرح . ويكون هذا العم غما لفوت الحفظوظ
العاجلة لأن ذلك يتضمن اليأس والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم
الرضا بالقضاء ويكون الفرح المشار إليه الفرح بالحفظوظ. العاجلة التي تدعى الله والله
يقول : (لكي لا بأس على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وهو نفسه الفرح لذى قال
عنه الله تعالى (إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب المرحين) لما رأى مفتاحه
تنوء بالعصبة أولى القوة . فأما الفرح الحظوظ. الاخرية فمحمود وينافس فيه
قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) وفسر عبد الله بن المبارك
حسن الحاق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى .

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم معاذاً بوصية جامعة لحاسن الاخلاق
فقال (يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة
 وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وحسن العمل وقصر الأمل
 ولزوم الإيمان والتمقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح
 وإياك أن تسب حليماً أو تكذب صادقاً أو تطمع آثماً أو تصمى إماماً عادلاً أو تفسد راضياً
 أو صيكت بانتقام الله عند كل بحر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر
 بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الاخلاق وإلى
 محاسن الآداب . وروى أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عن معاذ
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وصف الإيمان بمكارم الاخلاق ومحاسن
 الآداب) وعن أبي الدرداء قال سمعت النبي يقول ما من شيء يوضع في الميزان أثقل
 من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليباغ به درجة فوق درجة صاحب
 الصوم والصلاة) .

وباسناد عن أبي موسى قال سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : من ترك
 قراءة القرآن والتعشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى
 وادعى هذا الشأن فهو مبتدع . عن الجيلي يقول : سمعت سرياً يقول من

ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم شرعى فهو مغالط وعن الجنيد أنه قال مذهبا هذا مقيد بالأصول من الكتاب والسنة . وقال أيضاً - لدينا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لم يقتدى به . وعن الحريرى قال : أمرنا هذا كله بمجوع على فصل واحد وهو أن نلزم قلبك المرافة ويكون العلم على ظاهره قائماً . وعن جعفر قال : من لم يزن أدواله وأعماله وأواله بالكتاب والسنة ولم يتم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال .

حقائق الطريق

قال السيوطى : عن جريج عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله) وبسند مسلسل عن طريق احمد بن غسان عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة مرفوعاً (سألت جبريل عن علم الباطن ما هو فقال قال الله تعالى هو سرى بينى وبين أحبائى أودعه فى قلوبهم) وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل آية ظهر وبطن) وقال ابن التقيب فى تفسيره ظهر الآية : ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر ، وباطنها ما تضمنته من الاسرار التى أطلع الله عليها أرباب الحقائق . وقال صاحب التعرف عن نطق بعلوم القوم وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة على بن الحسين بن زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرنى والحسن البصرى وأبو حازم سلمة بن دينار ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وعتبة العلام وابراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وابنه على وداود الطائى وسفيان الثورى وأبو سليمان الداراني وابنه سليمان وأحمد بن أبي الحوارى وذوالنون المصرى وآخرين وذكر غيره أن علياً بن أبي طالب أول من نهج الطريق بعد النبي ﷺ ابنه الحسن .

وأما كلام على فأشهره ما أورده كثير من الصوفية فى كتبهم ، وبما أخرجه

أبو نعيم في الحلية قال أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبانة فلما أصبحنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل ابن زياد (الغلوب أوعية وخيرها أوعاها . احفظ ما أقول لك . الناس ثلاثة : فعالم رباني ومعلم على سبيل نجاة وهمج رعا عاقب كل ناعق . إلى أن قال ان هاهنا وأشار بيده إلى صدره تلماخ وقد قدمنا هذا الحديث كاملاً في الكلام عن العلم .

وأخذ الأستاذ أبو الفاسم القشيري طريق النصوص عن الأستاذ أبي علي الدقاق عن أبي الفاسم النصير أباذي عن الشبلي عن الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن دارود الطائي وداود لقي التابعين .

قال يحيى بن عمار التيمي السجستاني العلم خمسة علم هو حياة الدين وهو علم النوحيد ، وعلم هوفوت الدين وهو علم العظة والذكر ، وعلم هوداه الدين وهو الدقة ، وعلم هوداه الدين وهو اخبار فن السلف وعلم هو ضياع الدين وهو علم الكلام والجدل . وقال الشافعي رضي الله عنه صحبت الصوفية فلم استمد منهم سوى ثلاث كلمات . قولهم الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك ، وقولهم نفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وقولهم قد يكون العدم عصمة .

قال شارح منازل السائرين : حقيقة الشيء عند أهل هذا الشأن وعلاماته الدالة عليه قوله ﷺ حارثه . كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت مؤمناً حقاً فقال عليه الصلاة والسلام ان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال (عزفت نفسي عن الدنيا ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) أخباراً عن صحة ايمانه . ويظهر لي أن أهل هذا الشأن انما سموا علمهم علم الحقيقة أخذاً من لفظ الحقيقة في هذا الحديث وقد ظهر لي أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة المعاني والبيان إلى علم النحو فهو سره الذي يبنى عليه فمن أراد الخوض في علم الحقيقة من غير أن يعلم الشريعة فهو من الجاهلين ولا يحصل على شيء من سرها كما أن من أراد الخوض في أسرار علم المعاني والبيان من غير أن يحكم علم ذلك فهو يخطئ خطئاً عسواً ، وكيف يدرك أحوال الأستاذ والمُسند والمُسند إليه ومعاملات الفعل من لم يعرف المبتدأ من الخبر والفاعل من المفعول ؟ وهذا بين لكل أحد والحقيقة سر الشريعة ولها الخالص كما أن المعاني والبيان سر النحو ولطائفه ، والنصوف فسقه بلا شك

إلا أنه فقه بمعنى الفهم في الدين وهو الفقه بالمعنى الصحيح فإن أكثره تكاليف واجبة
ومندوبة ومنها محرمة ومسكروحة ، وقد نص على أن أبواب التصوف مبنية على
الفقه والنوحيد جماعة كثيرة من أهل الأصول حيث ذكروا حد الفقه ووافقه
ابن السبكي في جمع الجوامع ، وضم إليه مسائل أصول الدين التي يجب اعتقادها
فقال إنها عندى فقه ثم نصوص. واعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها
على الفقهاء بالعبارة التي القوها في علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان وكأوا
أول قائل بها وإنما ينفهم منها إيرادها بعبارات مستغربة واصطلاحات لم يألفوها
وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن قول العلماء في الأحياء لما ذكر
معرفة الله تعالى والعلم به قال والرتبة العليا في ذلك للأنبياء العارفين ثم العلماء الراسخين
ثم الصالحين فقدم الأولياء على العلماء وفضاهم عليهم وقال الأستاذ القشيري في
أول رسالته: أما بعد فقد جعل الله سبحانه هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضاهم على
الكافة بعد رسله وأتبيائه وعاق عليه الشيخ عز الدين بقوله: أما تفضيل العارفين
بالله على العارفين بأحكام الشرع فتقول الأستاذ القشيري وأبو حامد الغزالي وهو متفق
عليه ولا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال وتعرف نعوت الكمال
وبما يستحيل عليه من العيب والبقيان أفضل من العارفين بمجرد أحكام الشرع بل العارفين
بالله أفضل من أهل الفروع والأصول جميعاً لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وبشرايته
فالعلم بالله وبصفاته أشرف من العلم بكل معلوم من جهة أن متعلقه أشرف المعلومات
وأكملها ولأن ثماره أفضل الثمرات، إن معرفة كل صفة من الصفات توجب حالاً لعارفها
وينشأ عن تلك الحال ملازمة أخلاق سنية وبجانبية أخرى دنية. فمن عرف سعة
الرحمة أثمرت معرفته سعة رجاء ومن عرف شدة النعمة أثمرت معرفته شدة
الخوف وأثمر خوفه الكف عن الأثم والعصيان والفسوق ثم الورع وحسن
الانقياد والاذعان للشرع ومن عرف أن جميع النعمة منه أحبه وأثمرت المحبة
آثارها المعروفة في قلبه وقاله وكذلك من عرف تفرد النفع والضر لم يعتمد
إلا عليه ولم يفوض إلا إليه، ومن عرفه بالنظمة والجلال هابه وعامله معاملة
المهابتين من الانقياد والتذلل لعزته وغير ذلك. فهذه بعض ثمار معرفة الصفات
الالهية ولا شك أن معرفة الأحكام فقط لا تورث شيئاً من هذه الأحوال .

وكيف يساوى بين العارفين والعقهاء ، والعارفون فقهائهم ثم عارفون ثم متقون .
فهم أفضل الخلق وانقاهم الله والله سبحانه وتعالى يقول (ان أكرمكم عند الله اتقاكم)
وقد مدحهم في كتابه المبين أكرم مدحة للعلماء ، في قوله تعالى (انما يخشى الله من
عباده العلماء) انما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه ،
فلا يجوز حمل ذلك على علماء الأحكام .

وقال صاحب التعرف إلى أهل التصوف في خطبته مشيراً إلى هذه الطائفة :
جعل الله فيهم صفوة وأخياراً ونجباء وأبراراً ، سبقت لهم منه الحسنى ، وألهمهم
كلمة التقوى ، وعرف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فالوالمعلوم الدراسة
وخلصت عليها معاملاتهم فتحوا علوم الوراثة ، ووفقت أسرارهم للحق فأكرموا
بصدق الفراسة ، ثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم وأنارت أعلامهم ، وقد فهموا
عن الله وساروا إلى الله وأعرضوا عما سواه ، خرقت الحجب أنوارهم وجلت عند
ذى العرش أخطارهم وعميت عما دون الله أبصارهم . أجسامهم تحمل روحانيين
في الأرض وسماريين مع الخلق .

وكان الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بن علي القسطلاني أحد أئمة الشافعية
وأحد أئمة النصوص ، أخذ عن السهروردي واجتمع بالشاذلي وترجمه الأسنوي
في الطبقات فقال : كان ممن جمع العلم والهيبة والورع والكرم ، وطلب من مكة
وفرضت له مشيخة دار الحديث الكأمية بالقاهرة إلى أن مات بها عام ٦٨٦
هجرية . وقد قال في كتاب له في النصوص سماه اقتداء الغافل بالعاقل ما ملخصه :
إن الله بحكمته ونعمته أقام في كل عصر من جعل له لساناً معبراً عن عوارف المعارف
الالهية مخبراً عن لطائف العواطف الربانية يصل الله به ما انقطع من علوم الأنبياء
ومعارف الأولياء .

الدعاة إلى الله

الدعاة أربعة : داعٍ بالله إلى الله وداعٍ بالله إلى شريعة الله ، وداعٍ بالله إلى
حكمة الله ، وداعٍ إلى حظوظ نفسه في طريق الله . والداعى إلى الله هو المقرب
الملحوظ المفارق للحظوظ ، يدعو إلى الصدق في العمل والاخلاص ويهتدى من ضل
إلى طريق المعرفة بالله وسبيل الخواص من الناس . والداعى إلى شريعة الله ، وهى
العلم بالأحكام من الحلال والحرام مبصر للسالكين بطريق المهتدين السابقين .
والداعى إلى حكمة الله هو الداعى إلى العلم بأحكام الظاهر والباطن من تلمى
الشريعة والحقيقة على سواء وذلك ببيان علم الخواطر وعملها ، وصفات النفوس
وأفهامها وإظهار طرق البحث عن دساتنها . والداعى إلى الله أقلهم تابعاً لعظم مادعا
إليه ، والداعى إلى شريعة الله تابعه كثير لرغبة النفس وممازجة أفعالها فيما تأتى
به من طلب الأتعاض على الأعمال . والداعى إلى حكمة الله أقل تابعاً وأعلى مطالباً
لعزة الوصول إلى ما يدعو إليه من طهارة النفس وتزكيتها ، وأما الرابع وهو
الداعى لحظوظ نفسه بطريق ربه فباطنه مهلول بالآفات النفسية وسره مشحون
بالجهالات الصعبة . ثم إن الدعاة في مناهجها على وجوه أحدها داعٍ إلى الفنى بالله
من حيث استغناؤه بالإيجاد له من الله ابتداء كما قال تعالى وقد خلقناك من قبل ولم
تلك شيئاً وثانيها داعٍ بالانتقار إلى الله فإن ذلك وظيفة العبودية ، وثالثها داعٍ
بالأخلاق الرحيمه كما قيل تخلقوا بأخلاق الله أى من الرحمة والحلم والجلود والعفو
ونحو ذلك ، وهذه هى أجل الدعوات إلى الله ثم إن طريق القوم لما اندرس رسمه
وبقى اسمه اعتكف رجاله وصاروا آحاداً في البلاد وتفردوا بالجد والاجتهاد
صبراً في الله واكتفاء به . فهم خاصة الله من خلقه وخلاصته من عباده المختارين
في أرضه ، طهر أسرارهم ونور أفكارهم فهم الداعون إلى بابه حقاً ، المعروفون
بعرفانه تحقيقاً الواقفون الدالون على ما أشكل من علم الطريق على أربابه وقد
حرس الله هذه الطائفة من الزينج بما أقام لها من الهداة العالمين بها يذبون عنها

طفیان الطاعین و جهل الجاهلین فیميزون بین المنقطع عن الله والواصل ويعرفون مسالك الطريق ویهیثون طالبه الیها ووقفون علی الصواب من لم یهتد إلی مذاهبها لا یبالون باعتراض جاهل أو عالم ولا تأخذهم فی الله لومة لائم .

فعلی قدر تمکن الخشیة من القلب یمکن العلم بالله تعالی كما قال رسول الله صلی الله علیه وسلم (والله إنی لأعرفکم بالله وأشدکم خوفا منه) ولا تكون الخشیة إلا للعالم بالله ، فالخشیة باعثة علی الجد فی العمل قاطعة لما اتصل من الأمل موجبة لما یحصل فی القلب من الوجل وقال سهل (الدنیا کلها جهل إلا ما کان منها علما والعلم کله حجة علی صاحبه إلا ما کان منه عملا والعمل موقوف إلا ما کان منه إخلاصا والإخلاص کله مردود إلا ما کان منه بالکتاب واللسنة) وأعلم أن علم الباطن یدور علی أصاین علم بالله وتصاریفه اشئون مخلوقاتہ وعلم بالنفوس ومرافقها وکما لارفعها ومحاسنها ومعایبها ، دلالة علی أن الحق کامن فی أنفسهم وعالمهم ان یتعرفوا إلیه یتعرفهم إلی أنفسهم فیتعرفون إلی الله ، وتعلم بالنفوس ومراتبها وکما لها ونقصها ومحاسنها ومعایبها فی الاصل الاول یقول الله تعالی (والذین جاهدوا فینا لنهذینهم سبلنا وإن الله لمع المحسنین) تصریح من الله بان له قوما اکرمهم بالاهتداء إلیه وجعلهم أدلاء علی طریقہ بعد ان سلمهم فهم یمدون إلی سبیل الله وطرائقه من جهلها وفی الاصل الثاني یقول الله تعالی (و أنفسمک أفلا تبصرون)

وأعلم أن علاج النفوس منحصر فی وصفین الاول ازالة النقص عنها مثل بجانبة الحسد والكبر والغضب والغل والغش والطمع والحقد والعجز والبخل والشح والریاء والخداع والحرص والمکر والفحہ والخيانة والقسوة والغلظة والعنلة والعجلة والحدة والفخر والخیلاء والمباہاة والمنافسة واستفار الخلق وسوء الأدب وحب الثناء والرغبة فی الشکر والتصنع للخلق واتباع الهوى والتعجب وطول الأمل والأشر والبطر والبغی والظلم والعناد والغیبة والتنبیه وطالب المعاليه بالباطل وذكر معایب الخلق وخلو القلب من الحزن والفرح بالعاجل والحزن علی الغائب والاعتراض علی تدبیر الله وما ضامی تلك الخصال الذمیمة والأفعال القبیحة فحق علی کل مسلم یرید القرب من الله أن یتفقد نفسه وینقیها من هذه الصفات وینزهها عنها فإیها داعية إلی الهلکات ورفض الأعمال الصالحات . الثاني

تحصيل السكال والقوى والورع والزهد والشكر والصبر والقناعة والرضا واليقين والنوكل والتمويض والتسليم والصدق والإخلاص والنية ثم رؤية المنة لله والاحتساب في الأعمال والسخاء والشفقة على عباد الله وسلامه الصدر والمبادرة للأمر والخشوع والتواضع والمراقبة والمحاسبة وحسن الظن بالله وحسن الطاعة له وحسن الخلق وحسن المعاشرة للخلق وحسن المعرفة بالله والحب له والانس به والاشوق إليه ثم شهود وعظمتته في ملكه وملكوته وغير ذلك من صفات السكال ، فإذا نقى السالك نفسه من المذموم وأثبت الحمود من هذه الصفات والحلال وضح الطريق وقرب التحقيق واجمالاً فإن الأمر لا يعدوا وتخليه النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل وفي هذا المعنى يقول صاحب المباحث الأصلية :

واعلم بأن النفس كالمرآة ينطبع الماضي بها والآتي
وأما يعوقها أشياء ترك المحاذاة أو الصدام

ويقصد بالصدام الاحلاق المذمومة وبعدم المحاذات الانصراف عن التوجه إلى الله بالحلال المحمودة وبده الطريق التوبة من خصال النفس الامارة والترقى عنها إلى اللوامة ثم الماهمة ثم المطمئنة وذلك بمحاسبة النفس على الخفوات ثم المراقبة لما يصدر من الخطرات ثم الفكرة فيما يتعلق بالله من صفات الفعل وصفات الذات ثم هذه الصفات يتخاق من الرحمة باسمه الرحيم ومن الاحسان باسمه المحسن ومن نفع العباد باسمه الدافع وهكذا في باقى الاسماء فيتخاق بكل اسم منها فيما هو به لائق فإذا حصل من النفس التخاق المذكور ترقى حاله فيحصل بها التأثير في الموجودات والحظوة بسر حكمه الله في الاراضين والسموات فتترقى النفس بذلك كله إلى شهود الذات الصادر عنها أنواع المبدعات ، ومن طريق القوم أن لهم في كل عمل نية لتسكون فلوهم حاضرة فيما يعانون من لأفعال والأقوال حتى يبقى ذلك عادة لهم فتتمرن النفس على ذلك فلا يطغى السالك لطريق الله ولا يغفل ولا يسهو . ثم اعلم أن كل طائفة إذا اشتغلت بعلم لا بد لها من مصطلح في ذلك العلم حتى يتميزوا به ويقع به التخطيب بينهم كما وقع لأرباب الصنائع كالنجارة والحياكة وغير ذلك فافترقت هذه الطائفة إلى مصطلح يعبرون به عن معلوماتهم ومقاصدهم حتى يقع الفرق بين من انتهى إلى طريق القوم وتخاق بأخلاقها وتأدب بطريقةها

ومارس علومها وبين من كان خالي الذهن منها ومعرضا عنها وآخذا في غير منهاجها أو معاشرًا لاهلها قد تزييا بزيتها ولم تسم همته إلى طلب علومها وفهم مصطلحها فظن من رآه أنه من علمائها، ومع ذلك فإن العبارة والاشارة لا يدلان إلا على وجود النفس الأماره وذلك لمن اهانه الله فاختار البطالة . وقال بعض المنكبين لابن عطاء الله ما بالسك أيها الصوفيه اشفقتم الفاظ ومعاني وجملا أغربتم بها على المفهوم العام وبلبأتم أذهان المسلمين؟ فقال ما فعلنا ذلك إلا لنعيرتنا على علومنا لعزتها علينا وقيمتها عند الله حتى لا يتدخل في علومنا غير طائفتنا من اصناف الجهال وأهل البطالة من لا يتسبون إلينا وليسوا من طائفتنا . ومن ألفاظ أهل الطريق إلى اصطلاحوا عليها: الوقت والمقام والحال والخاطر والوارد والشاهد والسر والنفس والغلبه والقبض والبسط والجمع والفرق والفناء والبقاء وألفاظ أخر سببها إن شاء في الكتاب الرابع تحت عنوان مصطلحات أهل التصرف .

ويقول الإمام الغزالي في الاحياء في باب الغرور وبيان اصناف المعتزين: الصنف الثالث المتصوفة وليسوا من أهل التصوف ، والمعتزون منهم فرق ففرقة منهم متصوفة أهل الزمان (الامن عصمه الله وأيده) يتظاهرون بالزى والهيئة مع فراغ الباطن فيشاركون الصادقين من الصوفية في زيهم وهدبهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة بمجرد الاجتماع والرقص وتصنع الطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطرق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتمسك وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشماثل والهيئات ، فلما تكلوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم يكونون بذلك صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام السيئه الخفية والجلية . ومنهم من ظن أن التصوف مجرد قراءة الكتب المؤلفة فيه والبحث فيها وهذا غلط كبير لأنما التصوف هو السعى العملي في إصلاح القلب وتطهيره من الامراض الخبيثة وتهذيب النفس وتفقد عيوبها ؛ وما رأيت أحدا قط ممن يقرأون الكتب يأتي أهل التصوف الحقيقي فيذكر شيئا من أمراض قلبه ويسألهم عن دوائها .

رأى القوم في حقيقة الطريق

قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذى الحكيم : الناس صنفان فصنف منهم يعبدون الله على حرف وهم متوجهون إلى رؤية أنفسهم وإقبال الزمان مع طالب النفوذ والدولة والصولة فهم يعمرّون دنياهم ويخربون أحرارهم يتخريب أنفسهم من العلم والعمل . وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على وفاء التوحيد مع كشف الغطاء وإزالة الحجب وقطع الأسباب المانعة فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره ولا يضرهم إدباره إذا أدبروا ذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ (إن لله عبداً يغذوهم برحمته ويميتهم في عافية وتمرهم الدين كقطع الليل النظم فلا تضرهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (يكون في أمتي نين لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم) قال الترمذى يعنى العلم بالله فيما نرى . وقال أيضاً من ادعى الولاية فيقال له صف لنا منازل الأولياء واذكر لنا مسائلهم وذلك معيار لمن ادعى الولاية . ومن رأى المأوفاً أنه يمكن الادعاء من زكى لقرن في كل العلوم حتى الطب وربما يؤمهم بعض الناس فيصدقون ما ادعى إلا العلم بالله وإلا الولاية الحقيقية ومضاهاة الولي الحقيقي .

وقال شيخنا سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه : الطريق إلى الله تعالى وهو بأربعة أشياء من جاوزهم فهو من الصديقين ومن جاوزهم من ثلاثا فهو من أولياء الله المقربين ومن جاوزهم من اثنين فهو من الشهداء الموقنين ومن جاوزهم من واحد فهو من عباد الله الصالحين .

وأولها الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته النور . والثاني التمسك وبساطه العبادة وثمرته العلم . والثالث لاقتدار إلى الله وبساطه الشكر وثمرته المزيد . والرابع الحب وبساطه بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصلة بالمحبوب .

وقال في مكان آخر : طريق التصوف تدريب النفس على العبودية ووردها إلى أحكام الربوبية

وقال حاكيا عن شيخه سيدى عبد السلام بن مشيش أنه قال أخلاق الصديقين عشرون . كلوا واشربوا ، والبسوا ، وانكحوا ، واسكنوا ، وضعوا كل شيء .

حيث أمركم الله ، ولا تسرفوا ، واعبدوا الله ولا تشركوا به واشكروه ، وعليكم
بكمب الأذى وبذل الندى فإنها نصف العقل والنصف الثاني أداء الفرائض واجتناب
المحرم والرضا بالقضاء . ومن عبادة الله ادمان الفكر في أمر الله والفقه في دين الله
وعين العبادة الزهد في الدنيا ورأسها التوكل على الله فهذه عبادة الأصحاء المؤمنين
وإن كنتم مرضى فاستشفوا واقتدروا بالعلماء بالله واحترأوا منهم الهداة الأنقياء
الموكلين على الله .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المئين أن رفع الهمة عن الخاف
شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق ولقد سئل الجيد أين في العارف فقال وكان
أمر الله قدرامقدورا وعمري لو سئل أيطمع العارف في غير الله لعل لا وإنما مراد
الحق سبحانه أن يفرد عباده عن كل شيء بالحب والثقة والتوكل والخوف والرجاء
وذلك هو الذي تستحقه فردانيته وتوحيده وعظمته ، ورفع الهمة إنما ينشأ عن صدق
الثقة بالله على سبيل المعاينة فيجب لهم إيمانهم الاستبزاز بالله . قال الله تعالى (والله
العزة ورسوله والمؤمنين) وطلب النصر من عند الله يقول تعالى (وكان حقا
علينا نصر المؤمنين) والنجاة من من العوارض قال تعالى :

(وكذلك ننجي المؤمنين) وشعار أهل الإرادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع
الهمة عما سوى الله وصيانة ملابس الإيمان من أن تدنس بالميل إلى الأغيار من
الأكوان والطمع في غير الملك الديان . والذي يوجب عليك رفع الهمة عما سوى الله
تعالى علمك بأنه لم يخرجك إلى مملكته إلا وهو عالم أنه سيكفيك ويمنحك ويعطيك
فلم يبق لك حاجة عند غيره ، وإذا كان سلوك الطريق قد اقتضى لاهله الفهم عن
الله وأن يكتفوا بعلمه عن مسأله فكيف لا يوجب لهم هذا المهم الاكتفاء بعلمه
عن غيره من خليقته وكل من فاتحه الحق تعالى بشيء مما فأنح به أجاب ، فقد اقتضى
هذا العطاء والاجتهاد منه رفع همته إليه (ورزقكم في السماء وما توعدون فو رب السماء
والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) . ومن تحقق بالعبودية لله لم يطلب ظهوراً
أو خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له ، ومن أجل مواهب الله لأوليائه
وجود العبارة (الفتوح بالتعبير عن اعلا المقاصد) . قال وسمعت شيخنا أبا العباس
يقول يسكن الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف ، والحقائق لديه مشهودة حتى إذا

أعطى العبارة كان كالآذن من الله له في الكلام . وقال من أذن له في التعبير حسنت في مسامع الخلق عباراته وجلبت لديهم اشاراته . وقال سمعت شيخنا أبا العباس يقول : كلام المأذون له من الله يخرج وعليه كسوة وطلاوة من نور قلبه وكلام الذي لم يؤذن له مكسوف الأنوار حتى أن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر . قال واعلم أن من أراد الله به أن يكون داعياً إليه من أوليائه فلا بد من إظهاره إلى العباد ولو لخاصتهم إذ لا تكون الدعوة إلى الله إلا كذلك ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوتي الإفصاح والبهاء ثم يكسوه الهيبة لتعظمه العباد فيقفون معه على حدودهم ويضع له في قلوبهم الحب ليكون إذا أمر ونهى مسموعاً أمره ونهيه وكل هذا من تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالدعوة إليه . قال تمالى : (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وذلك من إظهار اعزاز الحق لعباده المؤمنين . قال تمالى (والله العزة والرسله وللمؤمنين) . ألم تسمع إلى قوله صلى الله عليه وسلم (ونصرت بالرعب مسيرة شهر) وقد ألبسهم الحق ملابس هيئته وأظهر عليهم اجلال عظمتهم كلما نزلوا إلى العبودية رفعهم إلى سما. الخصوصية فهم الملوك وإن لم تخفق عليهم البنود والاعزاء وأن لم تسر أمامهم الجنود . ووصف الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن ، طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أول الأقطاب .

وأما الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم فكانت لهم الخلافات الظاهرة والباطنة معا ولم تجتمعا لأحد بعدهم إلا أن يكون عمر بن عبد العزيز . وكان من مذهب الشيخ أبي العباس أنه لا يلزم أن يكون القطب شريفا حسنيا أو حسينيا بل قد يكون من غير هذا القبيل . فإذا عرفت ما أوردناه من كلام الأئمة المتقدم ذكرهم علمت أن التصوف في نفسه علم شريف وحسبه أن يكون العلم بالله وأن مداره على اتباع الكتاب والسنة وترك الابتداع والبدع والتبرئ من النفس وعوائدها وحفظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليم لله والرضى به وبقضائه

وطلب محبته واحتقار ما سواه ويقول الغزالي : النصف تجريد القلب لله واحتقار ما سواه . وهذا هو المراد من قولهم الوصول إلى الله . والسبيل في العبد أن ينفى بالكلية عن نفسه ونزعاتها السيئة .

وقال أيضا في باب المحبة من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله والكرن أثر من آثار قدرته والأكون تابعة لأثيره فلا وجود لها في الحقيقة دونه وإنما الوجود للراحد الفهار الحق الذي بيده وجود الأفعال كلها ومن كان هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيها الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الله فلا يكون نظره مجاوزا إلى غير الله كمن نظر في منظوم إنسان أو في خطه أو في تصنيفه رأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أن فعله أثره لا من حيث أنه أمر مغاير للشاعر والخطاط والمصنف إنما كلها ظروف عرضيه في الحقيقة . فنظر إلى الكون على أنه فعل الله تعالى وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله فلم يكن ناظرا إلا إلى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله .

وقال السيوطي . أن شهود الحق أمر قلبي معنوي لا حسي وأن المراد به إسقاط السوى عن درجة الاعتبار والأصالة أنه في حيز الملائكة وعدم القرار ، وأن المراد برؤية الله في كل شيء أنه يسبق إلى قلبه ذكر ربه عند رؤيته كل شيء . وانظر كيف صرح الغزالي في موضعين بتضليل من قال بالحلول والاتحاد ما لم يكن ذلك مجازيا ومن هو الغزالي فقيه أصولي متكلم صوفي محقق .

وقال القطب القسطلاني . المحبة مبتدأ دخول أودية القرب وأغلاها محبة الله لهم وحبه لهم بلا علة ومدار ذلك على أفراد الأمر لله وحده وإسقاط ما سواه عن درجة الاعتبار ألا له الخلق والأمر وعلى ترك الإرادات والاختيارات وترك منازعة القدرة وترك حفاظ النفس والقيام بالأوامر والنواهي لله وحده لا لجلب ثواب ولا لدفع عقاب ومن عبد الله لطلب الثواب وخوف العقاب فأثما عبده لحظ نفسه وإن عد محبة أيضا لكنه في درجة الأبرار وتلك درجة

المقرين الذين يعيشون مع الله وواقه وقه مع عدم الركون ببواطنهم إلى سواه
فهم يستملكون الأسباب والأشياء لا من حيث ذواتها ولكن من حيث أنها عوار
اقتضتها قدرة الله وتدبير الله الذي له الخلق والأمر في السموات والأرض (وهذا
رأى المؤلف) وأحجج ابن أبي حاتم عن موسى بن الصباح قال إذا كان يوم القيامة يؤتى
بأهل ولاية الله فيقومون بين يديه ثلاثة أصناف فيؤتى برجل من الصنف الأول
فيقول يا رب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ، ونعيمها
وما أعددت لأهل طاعتك فيها فسهرت ليلي وأطمأت نهاري شوقا إليك فيقول سبحانه
لأنما عملت الجنة فادخلها ومن فضلى عليك أن اعتنتك من النار فيدخلها هو ومن
معه . ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني فيقول عبدي لماذا عملت فيقول يا رب خلقت
النار وخلقت أغلالها وسعيرها وسعومها ويحمومها وما أعددت لأعدائك ولأهل
معصيتك فيها فأسهرت ليلي وأطمأت نهاري خوفا منها فيقول عبدي إنما عملت
خوفا من النار فإن قد أعفيتك منها ومن فضلى عليك أدخلك جنتي فيدخل هو
ومن معه الجنة ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول عبدي لماذا عملت فيقول
ربي حبا لك وشوقا إليك وعزتك أسهرت ليلي وأطمأت نهاري شوقا إليك وحبا
لك فيقول الله تعالى « عبدي إنما عملت حبا لي وشوقا إلى فيء جلي له الرب فيقول ما أنا
أنظر إلي ثم يقول من فضلى عليك أن اعتنتك من النار وأبجنتك جنتي وأزيدك
الرؤية لوجهي فيدخل هو ومن معه الكثير وهو أعلا درجات الجنة . وقال
شارح منازل السائرين إلى الله في بيان عجز العقول في الدنيا عن إدراك الذات
المقدسة وترك الفكرة في ذلك : يعرف العبد أن عقله عاجز عن إدراك كل
الموجودات من المخلوقات فضلا عن خالقها وقد عجزت العقول عن إدراك
الخاصية التي يجذب بها المغناطيس الحديد والسقمونيا الأخطاط الصفراوية إلى
غير ذلك مع القطع بوجود هذه الأشياء ونحن نزيد على هذا القول عجز العقول
عن سر الطاقة الذرية وإشعاعاتها المتعددة وسر الجاذبية وعدم رؤية دورة الأرض
حول الشمس وحول نفسها الخ . . فإذا عرف العبد عجز العقل عن درك السر
والوقوف عن غايه مطلبه حل ذلك العبد على التمسك بمحمل التعظيم لله والاجلال له

وسلم بذلك من الوقوع في سبل الضلال وجهد العبد في الوصول أن يعرف الله باسمه، وصفاته وأفعاله لاستتاع الوصول عن كنه ذاته.

وقال في شرحه في الخاصة وإنما ترجحت هذه الطائفة من حيث ارتفاع معانيها لأن من يحقق عنده العلم بانفراد الله سبحانه بالفعل والصفة والذات وقيام سائر الموجودات بما يعلمه لهم وفهم من الصفات والحياة فاده ذلك إلى جمع الهممة عليه وسكونها لديه وتصور هذه المعرفة في ميدان الفناء عن ذكر غيره ورؤية سواه، وإذا فنى العبد عن الاغتيار كملت معرفته لبقائه مع الحق وقلت غلاته عنه وهو علم البقاء وإذا وصل من المعرفة إلى هذا الحد من التمكن شارف عين الجمع أي حقيقته وصار الجمع له حالاً فغير الجمع بخلاف علم الجمع الخاص بذلك (والجمع هنا جمع معنوي خالص لجمع الروح على خالقها وناشئاً بكون حلول أو اتحاد كما يحدث في المحسات وهي الحلول).

وهذا المعنى هو معنى طائفة الصوفية وكل ما صنفوه ودونوه وأروا به ونهوا عنه من أفعال وأفعل وأحوال إنما هي وسائل إلى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشانهم إنما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظهم بالكلية وتعلقهم برب البرية وليس هذا التجريد هو المقصود لهم بالذات وإنما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من تفراده تعالى بالوجود الحق لا يشاركونه في شيء منه البته إذ بذلك يستحق المزمع مقام العبودية لله ذلك المقام الذي لا مقام للعبد أشرف منه (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) وإن كان لا يلفهم ذلك لأنفسهم تعلقاً برسم ويقول ابن الفارض في مثل هذا المقام وقد انتهالت عليه الكرامات:

أن كان منزلي في الحب عنكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

ويريد أني ما طلبت تلك الكرامات لأنها اغتيار لك وإنما طلبتك أنت.

ويكون طمى لغيرك تضييعاً لأيامى ولذا يهربون من الكرامات ويعتبرونها ذنباً عظيماً فادحة في صدق العبودية والاحلاص للربوبية.

ويقول ابن عباد في شرح الحكم: الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه فن رأى الكون ولم يشهد الحق فيه أو معه أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار.

الالهية وكل هذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لأن الزمان والمكان من جملة الأكوان . فلا يتوهم من قرا مثل ذلك من أحوال الصوفية حلول الحق في الخلق لأن الحلول من صفات المحضات فإن ذكرت في مثل هذا المقام فالواجب حملها على المجاز لا على الحقيقة . فإن رأيت في كلام كثير من نسب إلى السداد والاستقامة ما يشعر بذلك كإبن الفارض وإبن العربي وسيدى محمد وفا وولده سيدى على فيجب التأويل لأن حسن الظن بآحاد المسلمين واجب فضلا عن تواردت الاسنة بالشهادة له بالولاية فإن ثمة الناس بذلك شاهد صدق كما هو عليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا تنهين كلمة خرجت من أخيك سوما وأنت تجد لها من الخير محملا . وقد كان إبن الفارض في زمن الشيخ زكى الدين عبد العظيم المنذرى وكان شيخا للإسلام إذ ذاك واجتمع به واستمع من شره وذكره في معجمه ولم يصفه بسوء عقيدة ، وقد أثنى عليه الشيخ عفيف الدين البيهقي أحد الأولياء الكبار في كتابه كفاية المعتمد والشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المئين وهما شاهدا عدل مقبولان في تركية مثل هذا فهما فقهاء صوفيان . ومن نقل كلام إبن العربي وإبن الفارض في تأليفه الشيخ علاء الدين القونوى أحد أئمة الشافعية وهو شارح الحاوى فقه أصولى صوفى متكلم علامة محقق . وقال إبن سريج لما استفتى في الحلاج : هذا رجل خفى عنى حاله فلا أقول فيه شيئا .

وقال الامام غفر الدين ان العلم لا يحد لانه بلا آخر ولا سيما العلم بالله . وقال امام الحرمين ان علمهم نظرى عسر الحذ فيطرا للعارف منهم معنى قائما بقلبه فيريد التعبير عنه فلا يتمكن . وقال صاحب التعرف : مشاهدات القلوب ومشاهدات الاسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال واستوعبها قلبه . وزاد القونوى في شرحه : ونظير ذلك حال المسرور والمهموم ومن اتصف بالسرور والههم قد يضيق لسانه ونفذه عما

انطوى عليه قلبه . وقد يجد الانسان في نفسه أمورا يتحققها تضيق عنها عباراته
وتفصر عن تعريفها اشاراته . ولهذا قال سيدي علي وفا في قصيدة له :

يظنون في حلول واتحــادا وقلبي من سوى التوحيد خــال
قال أبوحنيف الحداد وهو من شيوخ الصوفية : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل
وقت بالكتاب والسنة ولم يهتم بخواطره فلا تعده في دوان الرجال . وقال الجنيد :
الطريق مسدود على الخلق إلا على من افتق آثار الرسول صلى الله عليه وسلم قلوا
هذا لأنه قد وقع في عبارة بعض المحققين العاظم تروم الاتحاد اشارة مهم إلى
حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو العلو في التوحيد والتوحيد معرفه الواحد
الأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم اشاراتهم فحملوه على غير محله فغلطوا في ذلك .
والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله أن الاتحاد بين شخصيتين لرجلين محال فإن أحدهما
لا يصير عين الآخر لتمامهما في الذات والصفات كما هو معلوم ، فالباين بين العبد
والرب تعالى أعظم فإذا حصل الاتحاد بينهم باطل ، وحيث يتلاق الاتحاد في كلامهم
لا يراد به الحقيقة وإنما يكرن بطريق التوسع والمجاز كقول الشاعر أنا من
أهوى ومن أهوى أنا . فالشاعر لا يعني أنه هو تحقيقا بل كأنه هو ومحبوبه واحد
لشدة الحب ، وذلك تشبيه مجزى وليس إنحادا حقيقيا فإذا عرف الواحد الأحـد
وانتفت عنه السكرة فهذا المقام سمى عندهم بلسان المجاز اتحاد ولسان الحقيقة
توحيداً وبيان ذلك أن المؤمن يحمل في قلبه نورا هو سر الله تعالى في خلقه يطلب
العبد به الله تعالى ويذكره وبه يريد الوصول إليه رجاء أن يعرف ربه ويرحده
ويحبه ويشاهده بعين البصيرة ولولا ذلك النور من الله تعالى في قلب العبد ما طلبه
ولا سعى إليه ليعرفه ولا أراده ولا ذكره ولا أحبه . فمن رفع الله تعالى الحجاب
عنه وأشرق على قلبه النور الرباني واستنار بذلك النور فخرج من ظلمة وجوده
الطيني الأرضي صار الحكم في مسلكه للنور الغالب عليه والله غالب على أمره فعند ذلك
تضؤل آثار بشريته لغلبة ما تأثر به من النور الرباني . وربما قال عن طريق المجاز .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا .

والدليل على بطلان الحلول . قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(إن الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن

المقول كما احتجب عن الأبصار، وأنه ما حل في شيء وما غاب عن شيء، وأن الله
الاعلى ليطالبون الله كما تطلبونه أنتم) وقوله ما حل في شيء لأن الحلول من
خصائص الجواهر الطبيعية. وقوله ما غاب عن شيء إنما قال ذلك كيلا يشبهه
على السامع فيظن أنه إذا لم يكن حالا في الأجسام كان بعيدا عن عوالم الأجسام
والحقيقة أنه قريب بعله وقدرته من كل شيء. وإن كان لا يخاطبه أو يمازجه شيء.
وحال في حقه تعالى الحلول الاتحاد بمعنى الخاطبة أو الاتحاد، وقد عرفنا ذلك
بالقرآن والحديث وإجماع الانبياء والأولياء عليهم السلام، وعلم أن الحلول
إنما حدث في الإسلام من شطحات الجهلة من المنتهين إلى النصف وما يسمونه
حلولاً هو تعبير عن وجدان القرب قرب العبد المختص من الله وقرب الله
من العبد.

منهج التصوف

ومنهج "تصوف الحق منقول معلوم عن ما هو مشهور من أحوال النبي صلى الله
عليه وسلم وحركاته وسكناته وتبذله واختلاطه في انتهاء أمره وانتهائه، ومن أحوال الصحابة
النجباء وأصفياء العلماء والحكماء أرباب البصائر واليقين. وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قبل نزول الوحي وبعده يختل في غار حراء ثم صار مع الحماق ولا فرق عنده
بين الخلوة والخلوة وكذا أصحاب الصفة وقد صار جماعة منهم بعد التكميل أروا
وقوادا بعد أن تمكنوا في الإيمان بالله والمعرفة به والاخلاص له فلم تؤثر الخلطة
بالحق فيهم ولا في أحوالهم ومقاماتهم، ألم ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر
إلى المصلى وهو يعبد بالحيرة فقال (لو شمع قلب هذا لحشمت جوارحه) قال
الله تعالى: (إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أو تلك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى. لهم مغفرة وأجر عظيم).

في اتباع الكتاب والسنة :

قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: "الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة،

والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، ومع أولياء
الله بالاقتسام والخدمة ومع الأهل بحسن الخلق ومع الإخوان بدوام البشر ما لم
يسكن اثماً ومع الجهال بالدعاء لهم والرحمة بهم وزاد غيره (ومع الوالدين باكرامهما
وباحترامهما ومع علمائهما بما يحمدانك عليه ومع النفس بالخلق ومع الشيطان بالعداوة
وقال النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولاً وفلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى
على نفسه قولاً وفلاً نطق بالبدعة وقال محمد بن الفضل الباجي وهو من مشايخ القوم
الكبار رحمه الله : ذهاب الاسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون ويعلمون بما
لا يجوز لهم أن يعلموه ولا يعملون ما يجب عليهم أن يعملوه ولا يقبلون الارشاد والتعليم .
وقال أبو حمزة البغدادي وهو من أكابر الشيعة : كان أحمد بن حنبل يقول له في
في المسائل ما تقول يا صوفي : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه ولا دليل
للطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأقواله
وأفعاله : وقال أبو القاسم النضر باذي شيخ خراساني في وقته : أصول التصوف ملازمة
الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم أقوال المشايخ ورؤية الاعتذار
للخلق والمداومة على الأوراء وترك ارتكاب الرخص والآثام . وقال أبو
بكر السجستاني من كبار شيوخ الطائفة : الطريق واضح والكتاب والسنة قائمان
بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لصحبته وسبقهم إلى الهجرة فمن صاحب
الكتاب والسنة وتمرب عن نفسه وعن الخلق وهاجر قلبه إلى الله فهو السالك الصادق
المصيب وقال أبو عمرو بن نجيد : كل حال لا يكون نتيجة عن علم فإن ضرره على
صاحبه أكثر من نفعه .

إخفاء الأحوال والمقامات

واعلم أن إظهار الحال أو المقام للناس عند الصادقين حق وعجز وملك
حفظ لفسد الشيطان، وأهل الصدق والعزم أثرت أستر على الأحوال والمقامات
حتى أن منهم من يظهر أصدادها نفيًا لظهورها واستراها وهم لملامية ولهم في ذلك طريقة
معروفة. وكان شيخ هذه الطائفة عبد الله بن منار. وانفقت هذه الطائفة على أن
من أطلع الناس على حاله مع الله فقد دنس طريقته إلا لحجة أو حاجة أو ضرورة
وذلك كان أهل القنوة وقدوة سيدنا علي بن أبي طالب وعترته كانوا يفعلون
مثل ذلك ويؤثرون على أنفسهم ولا يرون لأنفسهم في فصائلهم أي فضل.

الواردات

والواردات ما يرد على القلب من خالص إلهي أو ملكي أو شيطاني، فيكل
وارد يبقى الإنسان بعد انفصاله شيطانيًا مسرورًا نشوانًا فيه وارد ملكي وكل وارد
يبقى بعد انفصاله خبيث النفس كسلان ثقيل الاعضاء والروح ينجح إلى فتور
فهو وارد شيطاني.

وكل وارد أعقب في القلب معرفة بالله ومحبة له وأناة وطمانينة بذكره
وسكونًا إليه فهو وارد إلهي. ومن علاماته أنه يدعو إلى التقدم في طريق الله
تعالى والدار الآخرة وأن كل وارد كان سببه النصيحة في امتثال الأمر والاختلاص
والصدق فهو نبوي شرعي وكل وارد يستير به القلب ويشرح له الصدر ويقوى
به الحال وارد إلهي أو ملكي وإلا فهو شيطاني وعلى العموم فكل وارد جمعك
على الله فهو منه وكل وارد فركك عنه وأحذك منه فله الشيطان والوارد النفساني
يحدث ضيقًا وترددًا.

أوائل الصوفية

يقول الله تعالى فيهم (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومعنى هذا الجهاد أنهم سبّروا على مشاق السير إلى الله مكادوا وحشّه الطريق وصبروا على وعثاء السفر حتى وصلوا إلى مقصودهم وظفروا بالقرب من معبودهم فهم الذين لبوا نداء الله عندما سمعوا أمره بالفرار إليه حيث قال الله تعالى (ففرّوا إلى الله أنى لكم منه نذير مبين) وهؤلاء هم عباد الصحابة وزهادهم من أهل الصفة وغيرهم ومن التابعين وتابعيهم، مثل أبي الدرداء وأبي ذر وسكّانة ومن التّاهين مثل علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرني وابن حزم رسله بن دينار والحسن البصري وعائقه والاسود بن زيد وإبراهيم النخعي ومالك بن دينار ومحمد بن سيرين وغيرهم، ما لا يحصى عددهم وهم يزيدون على ألف ولى ومن تابعيهم وهم مثل عبد الواحد بن زيد وعتيبة العلام والنضيل ابن عياض وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وسفيان الثوري وأبي سليمان الداراني وابنه سليمان وذو النون الأختيمي المصري وأخيه ذي الكفّل وبشر بن الحرث والسري السقطي والحرث المحاسبي وأبي القاسم الجنيد وإبراهيم الخواص وغيرهم من لا يحصى عددهم ومن أراد أن يطلع على أكثر مما ذكرنا فعليه بكتاب حليّة الأولياء لأبي نعيم وكتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من العلم كهيئة المسكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله) إنما أرباب العلم الظاهر تصرفوا في هذا اللفظ بالتخصيص والقصر مع قوله تعالى (لينفذهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) وما به الانذار والتخويف ويتعاقب باصلاح القلب واستقامته، هو الفقه الذي به تزكية النفس وتطهيرها وذلك غير تعريفات السلم والاجارة والعلاق والمعان فإن ذلك لا يحصل به اندار وتخويف ولا ينجى النفس من مهلكها.

وقال الأئمة : أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبه فالعلم يكشف
عن المراد والعمل يعين على المطلوب والموهبه تبلغ غايه الأمل . وأهله على ثلاث
طبقات : طبقة مريد طالب ومتوسط سالك ومنتهى وأصل ، فالمريد صاحب وقت
والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب سر ؟

وكان كلام الحسن البصري وهو من السابقين أشبه الناس بكلام الأنبياء عليهم
السلام وأمرهم من هدى الصحابة وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب ومفسدات
الأعمال ووساوس النفس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس فقيـل له
يا أبا سعيد تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك مثلاً . فمن أين أخذه ؟ قال من حذيفه
بن اليمان وقيل لحذيفه من أين أخذه ؟ قال خصني به النبي ﷺ ، كان الناس
يسألونه عن الخير وأنا أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير
لا يسبقني ، وكنت أقول يا رسول الله ما يفسدكدا وكذا ؟ فلما رأي أسأل عن آفات
الأعمال خصني بهذا العلم . وكان حذيفة قد خص بالعلم الذي يعرف به دقائق النفس
كالنفاق ومداخله وأسبابه ودقائق اليقين ، وخصه النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة
اليقين وكان يسمى صاحب السر والعناية بمقامات القلب وأحواله وذلك هو أدب علماء
الآخرة من أهل طريق التصوف .

محاسبة النفس

في الأحبار انه صلى الله عليه وسلم قال : الكبس من دان نفسه وفل لما بعد
الموت والماجر من اتبع نفسه هواها وتدفع إلى الله الأمان . وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وحاسبوا أعمالكم قبل أن توزن
عليكم) وقال ميمون بن مهران (لا يكون الرجل تقياً حتى يسكون لنفسه أشد
من الشريك لشره) . وأجمع العلماء على وجوب حقوق الله تعالى وأن يحاسب
المرء نفسه على الأعمال فينظر في جميع أعماله المتعلقة بالقلب والعوارح الظاهرة
ويعتبرها من جهة للعمل ، فما كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فانه من
أكمل نعم الله عليه ، وما كان منها بخلاً للشرع تداركه بالدوبة والاستغفار وكذلك
كان يفعل عمر رضي الله تعالى عنه وغيره من الصحابة فالرسول الله ﷺ (لي مع
الله وقت لا يسبقني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) .

صفة الصوفية :

سئل أبو الحسين النورى عن أرل فرض أفترضه الله تعالى على عباده ما هو ؟ فقال المعرفة بالله لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال ابن عباس رضى الله عنه . وسئ بعضهم ما المعرفة ؟ فقال تحقق القلب باثبات وحدانيته وكمال صفاته وأسمائه فانه المنفرد بالعزة والقدرة والسلطان والعظمة وهو الحى الدائم شئ الذى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير . وذلك بلا كيف ولا شبيهه ولا مثل بنى الأعداد والانداد والأسباب عن القلوب .

الموافقة لكتاب الله :

قال النبى صلى الله عليه وسلم (القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد ، من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن حكم به عدل ومن اعتصم به هدى .) وقيل عز وجل . أن هذا القرآن يهدى للقى هى أقوم ، يعنى يدل على الذى هو أصوب من القول والعمل فعلم أهل الفهم من العلماء بالطريق أن لا سبيل إلى التعرف للأصوب مما يؤخذ وما يترك إلا بالتدبر والتفكير والتبليغ والذكر لما يهدى إليه القرآن بشرط حضور القلب عند تلاوته واستمدوا ذلك من قوله تعالى . كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب . ثم استفاد أهل طريق الله من هذه الآية أيضاً أن التدبر والتفكير والتذكر أمور لا وصول إليها إلا بحضور القلب لقوله تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وشهيد يعنى حاضر القلب وهذه صفات السالكين لطريق الله .

فى تخصيص الهداية :

قال الله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) وهذا يدل على أن الدعوة عامة والهداية خاصة لفضلها لأن الله رداً لمشيئة فى الهداية إليه وجعل الذين اختارهم وأحبهم واصطفاهم مصطفين بمن دعاهم ، وقد ذكر الله تعالى الاصطفاء فى مواضع من كتابه فقل فى موضع (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) الله خير أما يشركون) فأشار بالسلم على عباده قد

اصطفاهم واجتباهم واصفاهم من خلقه لحضرته وقال في آية أخرى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقصد ومنهم ساق بالخيرات) فالظالم لنفسه المسلم العاسق والمقصد المسلم العامل بالظاهر والساق بالخيرات المسلم العامل بالباطن والظاهر وهو الصوفي الحق (قال أوسعيد رحمه الله : أرل المهم لكتاب الله عز وجل العمل به لأن فيه العلم والمهم والاستنباط وفي المهم القاء السمع والمشاهدة لقوله عز وجل : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، (وقال تعالى) الذين يسمعون القول فية هون أحسنه ، والفرأ كل حسن ومعنى اتباع الاحسن ما يكشف عن عجائب القلوب عند الاستماع والقاء السمع من طريق المهم والاعتبار وقال تعالى (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي) .

عقيدة الصوفية

وعقيدة أهل التصوف كعقيدة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وأصحابه من حيث أن طريقهم مبنى على الكتاب والسنة أصولا وفروعا وقد أجمعوا على أن الله واحد فرد صمد قديم أزلي باق أبدي وأن ما سواه فهو من صنعه ومن خلقه لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه له وهو موصوف بكل ما وصف به نفسه من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وهو مسبح بكل ما سمى به نفسه، وهو سبحانه وتعالى لا يكيفه العقل ولا نملة الفكر ولا تلحقه العبارات ولا تعينه الاشارات ولا تحيط به الافكار ولا تدركه الابصار، العقول محجوبة عن درك حقيقته إذ العقول قد خصت بالعبودية لا للبحث في كنه الربوبية. وقالوا في الاستواء ما قاله مالك بن أنس رحمه الله حين سئل عن ذلك فقال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والایمان به واجب والدوال عنه فتنة . وكذلك مذهبهم في الزول وأجمعوا على أن كلام الله تعالى قديم غير محدث وجواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة بالإبصار وإنما نفي الله تعالى النظر بالإبصار

في الدنيا لأن ذلك يوجب كينية وإحاطة وليست كذلك الرؤية في الآخرة .
وأجمعوا على الاقرار والايان بجملة ما ورد في الكتاب العزيز وما جات به
الروايات الصحيحة من السنة كاعادة الأرواح إلى الأبدان وبهنا لحساب والمجازاة
والجنة والنار واللوح والظلم والحوض والصراط والشفاعة والميزان والصور
وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وإخراج قوم من النار بالشفاعة وأن أهلها
فيها يخلدون غير أهل الكبائر من المؤمنين فيهم لا يخلدون في النار وأجمعوا
على أن الله خالق لأفعال العباد وأن الخلق كلهم يموتون بأجلهم وأن المقتول
يموت بأجله وأن الشرك والمعاصي بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لأحد
من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة ولا يرضى لعباده الكفر والمعاصي ، والرضا
عن الأعمال وعدمه غير الإرادة والتقدير . ويرون الصلاة خلف كل بار وفاجر
ولا يقولون باستحقاق العبد للثواب على الطاعة على ولا العقاب على الكبيرة بل الكل راجع
في ذلك إلى المشيئة الالهية إن شاء عفا وأنا وبإن شاء عاقب عذب . ويرون أن الأفعال
الشاذة للمعتزلة والقدرية والجهمية والمشبهة والمعلقة والخوارج والروافض وسائر
أهل البدع ، ولا يرون خروج على الولاية وإن كانوا ظلمة . ويرون أن محمدا أفضل الأنبياء
وأن الله ختم به النبوة وأجمعوا على تفضيل الرسل على الملائكة وإن بين الملائكة تفاضلا
كما بين الأنبياء . وأجمعوا على أن الإيمان : قول وعمل واعتقاد وأن من ترك الاقرار
باللسان فهو كافر ومن ترك التصديق بالقلب فهو منافق ومن ترك العمل بالجوارح
فهو فاسق ، وإن الإيمان يزيد وينقص بالعمل والترك وأن التصديق بالقلب لا ينفع
ما لم يكن مقرونا بالنطق بكلمات الشهادة إلا أن يكون له عذر يشبهه بالشع ، ويرون
الاستثناء في الشهادة حقا لإيماننا ونفيا من غير شك أو تردد (ومعنى الاستثناء :
اقتران لإلا الله لا إله في قرارك : لا إله إلا الله) وأجمعوا على أن أفعال العباد
متعلقة بسبب السعادة والشقاوة لقوله صلى الله عليه وسلم (السعيد من سعد في
بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه) إيمان العقاب والثواب ليسا من جهة
الاستحقاق بل من جهة الفضل والعدل والمشيئة ، وإن الخوف ولرجاء حصنان
للعبد من سوء الأدب ومن سوء الخاتمة ، وأن كل قاب خلا منهما فهو خرب وأن

الصفات الذميمة تنفي عن العارفين لحفظ الله لهم ومفروضة في حق المرئيين
ليجاءدوا أنفسهم . وعندهم أن العبد يتدرج في الأحوال والمقامات حتى يصير
إلى نعم الربانيين فتظهر عليه السكرات وإن الحب في الله والبغض في الله من
أوثق عرا الإيمان والدين . وأوجبوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن
نبوة الأنبياء لا يشترط فيها المعجزة وهي المرسل حين ارسل الله تعالى لإياهم
ووحيه لإيهم ، ولإنبات الحجاة على المسكرين . وأمر الأولياء بكتان السكرات
لدفع الفتنة ، وكرهوا المراء في الدين ومنعوا من المناظرة والجدل ويرون أن
العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم) واختاروا
من المذهب في أحكام الفروع مذهب فقهاء أصحاب الحديث ويرون اختلاف
الفقهاء في الفروع رحمة بالامة مصداقا للحديث اوارد في ذلك ، وأوجبوا طلب
الحديث بمد حفظ القرآن وسماعه أو حفظه وروايته وكتابته . وعظموا المحدثين
لأنهم أساس التشريع وحراس السنة الداؤون عنها ، وعظموا الفقهاء والمتكلمين
والمفسرين لقيامهم بتوضيح علوم الدين وتقريرهم الأحكام بالأدلة
وردهم على المبتدعين والمخالفين ، خصوصا الشيخ أبي الحسن الأشعري حتى قالوا
طريقة أبي الحسن الأشعري في الأخذ من الكتاب والسنة هي باب الفتح .
وقالوا (لا تنال حالة سنية إلا بطريقة سنية) وعنوا بها طريقة أبي الحسن الأشعري .

معنى الطريق ومعنى التصوف

الطريق هو طريق السير إلى الله والتصوف هو العلم الخاص بمعرفة الله فلا خلاف جوهرى بين الطريق والتصوف إلا فى تخصيص المعنى الذى ينصب عليه الاسم فاسم الطريق منصب على الوسيلة راسم التصوف منصب على العلم الذى يدل على الغاية المطبوعة فى الطريق. إن كان لتصوف من ناحية أخرى اسمها عاما ينصب على روحية كل ديانة فيصح أن يكون للمسيحية تصوفها وللإسلام دية تصوفها كما أن للهندوكية تصوفها والبوذية تصوفها كذلك وأما عن التصوف الإلهامى بالذات فقد قدمنا أن مستمدته كتاب الله والسنة لمحبة وأخلاق إلى وأحواله الخاصة فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب فالهقية قد أخذ بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والعايد أخذ بأفعاله والصوفى أخذ بأقواله وأفعاله وزاد على ذلك الأخذ بأحواله صلى الله عليه وسلم ومواجيده الباطنة وأما طريقة الكلام التى تصدت إلى شرح العقائد الدينية وإيضاحها مبرهنة على صحتها من طريق النظر فإنها تصل - برغم تطور الحياة العقلية العربية - إلى المرتبة التى تطعن إليها قلوب جميع المسلمين . ومن أجل هذا نزعنا نفوس كثيرة إلى التعرف بالخالق والاتصال به مباشرة وليس من طريق النظر العقلى فقط بل وبواسطة المشاهدة الروحية أيضا ، فعمدت إلى المجاهدة وإزالة الحجب عن النفس فى سبيل الوصول إلى تلك الغاية العظمى وذلك بمحو كل ما يحول دون ذلك التعرف إلى الله من العوائق المادية وإختراق الحجب القائمة بين عالمى الملك والمسلوك . والتصوف يتخلص بقلبه تدريجيا من عالم الحس شيئا فشيئا ، ذلك العالم الذى يعده من العوائق الكلية عن الوصول إلى السعادة والغبطة فى مقام الشهود . وسيله فى هذا دوام المجاهدة الروحية والرياضة النفسية ، ولهذا وذاك يتمنى المتصوف

لو أن حواسه الخمس تقل عدا خروفاً من طغيان الحواس ، على خلاف ما عليه
 جماهير الناس من مبنى الزيادة في قوة تلك الحواس وتعددتها ليشهدوا بها الجمل
 الظاهري للكائنات معتقدين أن ذلك يزيدهم متعة وهو حجاب في الحقيقة عن
 الكثير من متع الروح وبتزايد هذا الاستغراق الروحي عند السالك كلما أعمق في الذكر
 والنفكير من وقت إلى آخر ومن درجة إلى درجة مع ملازمته طرق الرياضة
 وأعمال العبادة حتى يصير ذلك شهوداً ومعانة . وهنا تصل نفس السالك لطرق
 الصوف إلى الدرجة القصوى والاستعداد للأدراك الكلّي فيتلقى عندئذ الموهب
 الربانية والعلوم اللدنية والفتوحات الغيبية وينكشف له كثير من حقائق الوجود
 التي لا تدرك بالحس ولا بالنظر العقلي ، ويكون معتمد الصوت في ذلك بعد النظر
 الحسي والعقلي على نظر البصيرة ونور القلب ؛ لم تر إلى قوله تعالى (فتكون لهم
 قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها . فإياها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
 القلوب التي في الصدور) وهنا يصير السالك الناظر إلى الحقائق بعين البصيرة
 واصلاً فينتجلى له أمر المستقبل والحال وما بين المستقبل والحال بما يعليه الله إياه
 نتيجة لتفواه وجهاده في سبيله ، وبذلك يمكنه أن ينصرف بهمة وقوى نفسه
 في الموجودات السفلية والعلوية (وما فعلته عن أمري) و (سلماء من لدنا علينا)
 والعظماء من الواصلين لا يعتبرون هذا الكشف ولا يخبرون بشيء عنه ولم
 يؤمروا بالكلم فيه لأنه قد يكون من قبيل المحنة والابتلاء لهم وهم لذلك أيضاً
 لا يعتدون بالكرامة ولا يقصدون لإظهارها من تلقاء أنفسهم إلا أن يحريها الله
 على أيديهم تكريماً لهم . وقد لا يشعرون بطوره الكرامات لأنهم لا يتعمدون بها
 وشهودهم العرفاني يقضى في معتقدهم الشهودي بأن الوجود كله صادر عن صفة
 الوجدانية التي هي مظهر الأحديّة وهما معا صادران عن الذات الكريمة الإلهية
 وهي عين الوحدة وليس غير . ويسمون هذا الصدور بالتجلي الرحمان . ويرى
 شهاب الدين السهروردي أن العالم الروحاني صادر عن الملائ النوراني عن الذات
 الأندس . وهذا العالم النوراني مقدم على المادة ويعرف هذا المبدأ بحكمته
 الإشرافي .

أصول الطريق

وأصول طريق أهل التصوف أو أساسه الذى يقوم عليه بناءه يتكون من أربع دعائم: ارادة السلوك ومريده يسمى بالمريد فن يابح شيخا من الواصلين إلى الله على السلوك وسلك طريق الله سعى سالكا، ثم المسلك وهو الشيخ، والذكر والفكر. وقد علمت بهذا أن الإرادة هى ارادة السير إلى الله ومنبهاها على اليقظة والابادة والمحاسبة ثم التوبة. والوابة هى أول مقامات اليقين، والمقامات هى المراحل التى يقطعها السالك فى طريقه إلى ربه وهى سبع سيأتيك بيانها. ثم تقضى المقامات إلى الأحوال، والأحوال مواجيد روحية ونمات وهبية يذبحها سلوك المقامات العلية التى يتدرج فيها السالك مجاهدا لنفسه الامارة بالسوء حتى يصل إلى درجة النفس المرضية فيبدأ فى الأحوال بعد أن يرضى عن الله ويرضى الله عنه. فالمقامات مكاسب والأحوال مواهب وهى سبع أيضا ستذكر بعد المقامات وستبينها كلها مقاما مقاما وحالا بعد حال؛ فهذا وما يتبعه من ذكر وفكر يسمى سلوكا للطريق وأما المسلك فهو الشيخ الواصل الذى جاب الطريق وعرف مدخله ومخارجه وسهله ووعره. وللشيخ واجبات وفيه شروط لا يكون شيخا إلا إذا توفرت فيه والمراد بالذكر ان يكرن باللسان فإذا اندمج فيه الذاكر نقل الذكر من لسانه إلى قلبه فإذا استوعب الذكر قلبه نقل إلى سره فيكون ذاكرا بروحه وهذا هو مراد السميع العليم فى كتابه الكريم بقوله (ان فى خالق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار) ففى قول الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم دلالة على أن هذا الذكر فى كل حال بحسب حالات الإنسان من القيام والقعود وحتى ان وضعوا جنوبهم ليناموا فالمراد عموم الحالات وليس التوكيد أو الأوضاع بمقتضود الحق. وفى قوله ويتفكرون فى

خلق السماوات والأرض تعقيباً على قوله ان في خالق السموات والأرض إلى قوله
آيات لآدلى الآلاب يريد به أيضاً استمرار الفكرة فيما صنع الله من خلق
السموات والأرض وما في ذلك من دقيق الحكمة وعظيم القدرة والفكر مرحلتان
مرحلة التفكير بالعقل ثم استغراق الروح في شهود صنع الله اليقين وهو التفكير
بسريرة الروح . والذكر والتفكير استمرار حياة القلب وذلك هو الورد
على الحقيقة وهذا هو الطرب (مر لا ورده إلا وارده) أى من ليس له ورد في الله
ليس له وارد جديد من فروع الله ولا من أسرار الله ولا من تعاليم الله —
(الغاية من الورد استمرار ذكر الله كما أمر القرآن) — وسبب
ذلك راجع إلى أن الله هو الموجد إلى حضرة وهو الدال به عليه فهو الهادي ومنه
الهداية . ثم في حالة التفكير بالعقل لا يتم التفكير لأنسان في ذات الله فإن هذا يمنع
على العقل وأما التفكير في صفات الله وفي أفعال الله وفي دلائل القدرة
في مصنوعات الله وهي الأكوان الطبيعية من أرضية وسماوية . وقد كتبنا لك هذه
النبتة لنعلم منها موجز الخطوط لرئيسه للسلوك إلى الله وبمض معالم الطريق إلى الله .
ولذلك مراتب النفس في سلوكها إلى ربها متدرجة في مدارج الطريق .

مراتب النفس :

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ذكر النفس في قرآنه الكريم بسمع صفات : —

- ١ — أمانة فقال (إن النفس لأمانة بالسوء) . وسماها ٢ — لؤامة قال
تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللؤامة) . وسماها أيضاً
- ٣ — ملهمة في قوله (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) . وكذلك سماها
- ٤ — الطمأنينة . قال تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة) وسماها ٥ — راضية . وسماها
- ٦ — مرضية . وسماها ٧ — كالة . وهي نفس واحدة إنما لها صفات متغيرة فإذا أملاً القلب
سكنية خلعت على النفس رداء الطمأنينة لأن السكنية مزيد من الإيمان وفيها ارتقاء القلب إلى
مقام الروح لما منح من حظ اليقين . وعند توجه القلب إلى محل الروح تتوجه النفس إلى محل
القلب وفي ذلك طمأنينة وإذا انزعجت عن طبيعتها وكثافة جبلتها آسأت إلى مقامات
وأحوال عظيمة لا يدرك مقدارها العاطلون والغافلون لأن حالهم كما يقول الشاعر

دع المكارم لا ترحل لبنيتها وأعد فانك أنت الطاعم الكاسي
ولذا إذا بقيت النفس على حالها البدائي لا يشأها نور العلم والمعرفة فهي على ظلماتها
أمارة بالسوء ، والنفس والروح يتطاردان نسبيا ومجازيا ، فتارة يملك القلب دواعي
الروح وتارة تملكه دواعي النفس . وعن أبي حمزة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية (قد أفحش من زكاه) وقف
فهم قال : اللهم آت نفسي تقوا ما أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكها .
لمة الملك ولمة الشيطان :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن للشيطان لمة بقلب ابن آدم وللملك لمة . فاما لمة الشيطان فإبعاد الشر
وتكذيب للحق وأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم
أنه من الله تعالى ليحمد الله عليه ومن وجد الأخرى فلينعز بالله من الشيطان (
ثم قرأ) (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . . .) ويتطلع لمعرفة اللذتين
وتمييز الخواطر كل طالب مرید يتشوف إلى ذلك تشوف العطشان إلى الماء لما
يعلم من وقع ذلك وخطره ومعنى أللة ما يلم بالنفس من خاطر شيطاني أو ملكي
أو إلهام الهی . فمن الخواطر ما يكون هائفا من الله تعالى إلى العبد كما قال بعضهم
(لي قلب ان عصيته عصيت الله) وهذا يكون حاله بعد ان يستقيم قلبه
واستقامة القلب تصحبها طأنيته النفس وفي طمأنينة النفس رد للشيطان ورضا
للرحمن لان النفس كلما تحركت نزعاتها ونزعات الشيطان فيها تسكدر صفو القلب
وإذا تسكدر القلب طمع الشيطان في تقلبيه وقربه . منه وأما صفاء القلب فيكون
مخوف بالتذكر والرعاية ، ولذا ذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا النار . وقد
ورد في الخبر أن الشيطان جائم على قلب بن آدم فإذا ذكر الله تعالى تولى وخفس وإذا
غفل النقم قلبه خذله ومناه . وقال تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين) . وقال أيضا (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون) .

فكما ان النبوة معصومة من القاء الشيطان كذلك محل المكالمة والمحادثة وهو

القلب من السالك لطريق الحق فهو محفوظ من الفناء النفس وفتنتها ومن وسوسة الشيطان إذا اعتصم بالذكر والفكر فيسكرون حيدئد معتمدا بحبل الله الوثيق فهو محفوظ بالحق عز وجل ، وهنا تحصل السكينة .

وكان الشيخ أبو محمد بن عبد الله البصري يقول أن الخواطر أربعة : خاطر من النفس ، وخاطر من الحق ، وخاطر من الشيطان وخاطر من الملك . فأما الذى من النفس فيحس به من أسفل القلب ، والذى من الحق من فوق القلب والذى من الملك عن يمين القلب ، والذى من الشيطان عن يسار القلب . . وقرر الشيوخ أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة ولا يميز بين الخواطر الصالحة والطالحة وقد فرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطاب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها ، والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم تستجب له النفس يوسوس لها بأخرى إذا لا غرض له فى التخصيص بشئ بل مراده الاغواء كيما أمكنه . وتكلم الشيوخ فى الحاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيد : الخاطر الأول لأنه إذا بقى أرجع صاحبه إلى السال . وهذا شرط العلم .

وقالوا الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تنوع فتكون تارة وارد سرور أو وارد حزن أو وارد بطريقيل بنور التوحيد يقبل القلب الخاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الإيمان ينهى النفس وبنور الاسلام يرد العدو الخناس . وقال صاحب هوارف المعارف : وعندى والله أعلم ، أن الدين (لمة الشيطان ولمة الملك) يتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك ، وأما حركة لمة الشيطان فبإتخاذها مع النفس الأمانة تكون الهمة الدنية وهى من شؤم لمة الشيطان . فإذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وتقلب القلب إلى الحال الحسن أو الحال السيئ . وظهر بين ذلك معنى العطاء والابتلاء من المعطى والسالك الفطن المتيقظ يفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار فى ذاته فيميز بينها ولذا قال الله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد

أفلاح من زكاهما وقد خاب من دسأما) فيبقى السالك المجرد متفقدا حاله مطالعا آثار
اللمتين في نفسه . ولما الشيطان إذا حركت النفس هوت بجملها إلى مركزها من الغريزة
والطبع وذلك هو الهوى المتع وقانا الله شره ، وأما خاطر اليقين والعقل أو له الملك
فانها تأتي بينة مشرقه لكل ذي قلب سليم وعلامتها رفع الهمة وانباع الصراط
المستقيم والشوق إلى رضوان الله عز وجل جعلك الله من أولئك .

وبما أننا أردنا بتقديم هذا التمهيد إليك أن يكون خطوطا لمعنى الطريق ، بحارة
النفس والدرج في المقامات وآخرها الرضائيم الأحوال وآخرها انشاهدة أحبينا
أن نسوق إليك منظومة في السلوك للسهروردي الكبير لتتفقه بمعانيها في الطريق
وهي جامعة لأكثر معاني الطريق وآدابه والشروط التي يجب أن تتوافر في
المريدن والشيوخ فقرأها بوعي وحضور قلب يفدك الله منها بنوره أسرار
الطريق .

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعرض أرواحا وجادها في كل طرفة عين لا يساويه
فقطرة منه تكفي الخاق لو ظنوا فيشطحون على الأكوام بالتيه
وذوا الصباية لو يسقى على عدد الـ بأنفاس والسكر كأس ليس يرويه
يروى ويظما لا يملك شارب به يصحو ويسكر والمحجوب يسقيه
في ربه ظما والصحو يسكره والوجد يظهره طورا ويخفيه
يبدوله السر من آفاق وجهته وليس إلا له ما كان يديه
له الشهادة غيب والغيوب له شهادة والقناء المحض يبقيه
له لدى الجمع فرق يستضيء به كالجمع في فرقه ما زال يبقيه
يدنو وبعلو ويرنو وهو مصطلم في الحائنين بتمييز وتولييه
له الوجودات أضحت طوع قدرته وما يشاء من الاوطار يقضيه
للقوم سر مع المحبوب ليس له حد وليس سوى المحبوب يحصيه
به تصرفهم في السكائنات فما يشاء شاؤا وما شاؤوه يقضيه

إن كنت تعجب من هذا فلا عجب لله في الكون أسرار ترى فيه
 لاشئ في الكون الا وهو ذو أثر فما المؤثر غير الله قاضيه
 ليس التضاد مناعا لقدرته من حيث قدرته تأتي تعالیه
 وللفقير وجوه ليس يحصرها عدوكل وجود فهو واديه
 لو كنت تدري وجود العبد كنت ترى فيه الكمال كما التقصان بنفسه
 والعبد هذا هو الحر الذي حصلت له الخلافة جل الله ممطيه
 أوصافه ظهرت من وصف مبدعه وكل المظاهر تبدو في تجليه
 إذا روى ذكر المولى برؤيته وفاز بالسعد والتغريب رائيته
 عبد عليه سمات العز لا تحفه وخلفه العز والحكم عاليه
 إن كنت تقصد أن تحظى بصحبته فاسلك على سيد طاعات مساعيه
 أحاص وداك صدقا في محبته والزم ثرى بابيه واعكف بناديه
 واستغرق العمر في آداب صحبته وحصل الدر والياقوت من فيه
 وابذل قواك وبادر في أوامره ترى الوفاق وبالع في مراضيه
 واحذر بجهدك أن تأتي ولو غلطا ما لا يحب وباعد عن مناهيه
 وكن محب محبيه وناصرهم والزم عداة من أضحى بعاديه
 واعلم يقينا بأن الله ناصره إن لم تكن ناصرا فالله يكفيه
 وأنزل الشيخ أعلا منازل وأجعله قبله تعظيم وتنزيه
 ولست تفعل هذا إن ظننت به نقصا ولا خلا فيما يعانیه
 وترك مرادك واستسلم له أبدا وكن كيت مخلى في أياديه
 اعدم وجودك لا يشهد له أثرا ودعه يهده طورا ويبيذه
 متى رأيته شيئا كنت محتبيا برؤية الشيء عما أنت ناويه
 ولا ترى أبدا عنه غما ومتى رأيت غنى يخش تناسيه
 إن اعتقادك إن لم تأت غايته به فيوشك أن تخفى مباديه
 وغايه الامر فيه أن تراه على نهج الكمال وأن الله هاديه
 ومن علامة هذا أن تقول ما عليك أشكل لإظهارا لخفايه

والمرء إن يعتقد شيئا وليس كما يظنه لم يخب الله يعطيه
 وليس ينفع نطب الوقت ذا حال في الاعتقاد ولا من لا يواليه
 إلا إذا سبقت للعبد سابقة يعود من بعد هذا من مواليه
 فنظرة منه إن صحت إليه على سبيل ود إن الله تغنيه
 والناس عبدان مجذوب وسالك ما دعى إليه بتعليم وتبنيه
 والجذب أحد عبيد بغنة بيدي عناية نحو أمر ليس ينويه
 هو المراد ومخطوب العناية لا يحس كلمة تكليف تلافيه
 طوراً يرد عليه الحسن نكالة له فينصده ما قد كان ناويه
 تراه عبيدا لا يأوى على شغل سوى العبادة تستهوى تفانيه
 وقد يغيب عن الإحساس مخطف وذو العناية حنظ الحق يحميه
 ترى الحقائق تبدو منه في فسق مع الكشوف لأن الله يلقيه
 وذو السلوك تراه في إرادته يجاهد النفس مراعى لباقيه
 من ليس يخاص في مبدأ إرادته يهوى به الخلف في أهوى مهاربه
 يمشى على نهج أهل الصدق ملتزماً شروطهم خائفا فيما برحبه
 كم من مرید قضى ما نال بغيته حق القضاء عليه في تفاضيه
 كم من مرید دنا من بعد عزته أن عزمه ذلك ما صحت مباديه
 أما المرید الذي صحت إرادته فما مراد له حدد يوافق
 والجذب أن كان من بعد السلوك له فضل على الجذب كان السعى تاليه
 وفي الحقيقة لولا الجذب ما سلكت طريق حق ولا رثيت مرأيه
 لولا العناية والتخصيص قد سبقا في دعوة الحق ما قامت دواعيه
 أن المرید مراد والمحب هو الـ محبوب فاستعملان ذا من معانيه
 أن كان برصاك عبدأت تعبدته وإن دعاك مع التمكن تمنأيه
 ويفتح الباب إكراما على عجل ويرفع الحجب كشفا عن تدابره
 وثم تعرف ما قد كنت تجهله بما عن الحصر قد جلت معانيه
 وترتوى من شراب الأنس صافية يأسعد من بات بموفا بصافيه
 وصل يارب ما غنت مطوفة على النبي صلاة منك ترضيه

وها أنت ترى وفك الله إلى مرضيه وجنبك مباغضه أن الإمام السهروردي رضي الله عنه قد بين في هذا القصيد المفيد كيف أن من عرف طريق القوم وسار فيه نال السعادتين وحصل على اللذتين سعادة الدنيا والآخرة ولذتي الطاسة والمشاهدة ولذا بدأ قصيده بقوله :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه
ثم يبين آداب المريدين مع الشيوخ وآداب الشيوخ مع المريدين وصفات الشيخ القدوة الموصل . ثم تكلم عن مقامات السلوك وأحواله وخلص من ذلك كله بأن السالكين صنفان صنف هو الطالب للحق والصنف الآخر هو المطلوب للحق ، أو قل سائر إلى الله ومساربه مشيئة من الله لأنه قبل خلقه أحبه واجتباها ثم ربه بأن أنعم عليه وابتلاه ؛ وهذا مقام رسول الله ﷺ فكل محبوب مقتدى في الطريق به وكل سالك مطلوب سائر على دربه فهو وارث للفهم المحمدي ، وقد بين ذلك المقام أحد العارفين من أهل التصوف فقال :

رب شخص تسوقه الأقدار للذلي وما لذاك اختيار
غافل والسعادة احتضنته وهو منها مستوحش نفار
حكم حارت البرية فيها وحقق بها أنها تحتمل

وقد سمي السهروردي المحبوب مجزوبا ؛ وليس المجزوب على الحقيقة ذلك الرجل الأشعث الأغبر أو ذلك الذي يتظاهر بالخليل والهبل فذاك إما متصنع أو مسلوب العقل أو ضعيف وإنما المجزوب الحق من أخذته هوائف الحق من الصغر وربته يد العناية حتى الكبر كما يقول الله تعالى (وكذلك لصنع على عيني) وكما يقول الرسول ﷺ (أدنى ربي فأحسن تأديبي) ذلك هو المحبوب وأما المحب فهو رجل أطع الله وعبدته وآمن به وأحبه حتى أحبه الله واجتباها فيلقين في رحاب الحقيقة الطالب والمطلوب والمحب والمحبوب والسالك والمجذوب ولذلك يقول السهروردي :

إن المريد والمحب هوال محبوب فاستقم من ذا من معانيه
إن كان يرضاك عبدا أنت تمبده وإن دعاك مع التمكن تأتيه

ففي قوله (إن رضاك عبداً) ههنا أن تعبدته وتحامد نفسك في سبيله إن رضيك
لذلك فمح عليك باب عبادته لندخل من باب محبته فتسكرون محبا وأما قوله (وإن
دعاك مع التمكن تأنيه) فههنا أن الدعوة من الله سبقت للعبد فيكون ممن
سبقت لهم الحسنى وهذا هو المحبوب الذي اصطفاه الله من قبل خلقه
وأرزه إلى الوجود بيد عنايته ورعايته . ولذا كان هذا المقام هو المقام
المحمدي مقام المحبوبين فشكل من لمسته العناية السابقة سار على القدم المحمدي .
وخلص السهروردي من هذا إلى قوله :

وبفتح الباب إكراما على عجل ويرفع الحجب كشفا عن تدانيه
وتم تعرف ما قد كنت تجهله بما عن الحصر قد جلست معانيه
جعلنا الله وإياكم من أهل محبته ورضوانه .

الحال والمقام الفرق بينهما

لقد كثر الاشتباه من السالكين بين الحال والمقام وكذلك احتلقت اشارات
الشيخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما وتداخلهما فما يراه بعضهم حالا
يراه البعض مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ووجهات النظر فيها ولا بد
من ذكر ضابط يفرق بينهما . وفي الواقع ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق .
فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالا
ثم يصير مقاما مثل ان يذبح من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية فلهذا صفات
النفس ثم تعود ثم تزول . فلا يزال العبد بحال المحاسبة يتعاهده الحال ثم يحول الحال
بظهور صفات النفس إلى ان تتداركه المعونة من الله تعالى . ويلب حال المحاسبة فتصير
المحاسبة مقاما وتنقهر النفس وتنضبط وتنملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره .
ومقامه فيصير في مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة وهذا في ابتداء المقامات
وهو غير الأحوال القلبية الثابتة التي تلي المقامات كالشرق والحب وغير ذلك

وهنا ينزله حال المراقبة . فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال
ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهو والعقلة في باطن العبد إلى أن ينقشع
ضباب السهو والعقلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد أن
كانت حالا . ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال المراقبة . ولا يستقر
مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة .

وهكذا فإذا فوجيء العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت
مقامه . ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالانجلي ثم يصير
مقاما . ثم فوق المراقبة أحوال وزيادات وترقيات من أحوال إلى أخرى أعلى
منها كالنحقيق بالعلماء والخلص إلى البقاء والرقى من عين اليقين إلى حق اليقين وهو
فوري يخاطب شغاف القلب وذئب إلى فروع المشاهدة . وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي) وقال بعضهم الحال هو
الذكر الخفي .

وشيوخ العراق يقولون ، الحال ما كان من الله مباشرة . وأما كل ما كان من
طريق الاكتساب والأعمال فيقولون هذا مقام ناشئ عن جهاد العبد . فإذا لاح
للريد شيء من المواهب والمواجيد قالوا هذا إلهام من الله وسموه حالا . إشارة
منهم إلى أن الحال موهبة بخلاف المقام فإنه مكتسبه .

وقال بعض مشايخ خراسان : الأحوال موارث الأعمال . وقال بعضهم :
الأحوال كالبروق فهي مواهب إذ المكتسب مخنوفة بالمواهب والمواهب مخنوفة
بالمكتسب . فالأحوال مواجيد والمقامات طرق المجاهدات وفي المقامات ظهر
الكسب وبطنت المواهب فالأحوال مواهب علوية سماوية ، والمقامات مسالك
أرضية .

وكان قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : سلوني عن طرق السموات فإني
أعرف بهم طرق الأرض إشارة إلى المقامات والأحوال . وذهب بعضهم إلى أن الأحوال
لا تكون إلا إلهامات فإن لم تندم فهي لوائح وطوالع وبوادر . وهي مقدمات الأحوال

ولست بأحوال . واختلاف المشايخ في أن هل يجوز للعبد أن ينتقل إلى مقامه الذي هو فيه قبل إحكام حكم مقامه . قال بعضهم : لا ينبغي أن ينتقل عن الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه ، وقال آخرون : لا يكمل المقام الذي هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى ما دونه من المقامات فيحكم بأمر مقامه ، والأولى أن يقال والله أعلم : إن الشخص في مقامه يعطى حالا من مقامه الأعلى منه الذي سوف يرتقى إليه فيجد أن بذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذي هو فيه .

ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه فلا يزال العبد يرقى إلى المقامات بزوائد الأحوال . فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والأحوال ، ففي الزهد حال ومقام ، وفي التوكل حال ومقام ، وفي الرضا حال ومقام هكذا .

وطرود حال التوبة يكون بزجر من النفس للنفس أولا فينازل النائب حال الزجر وهو موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة ومثل ذلك أن تنبيه الروح مثلاً لقول الله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فيحصل الخشوع وتعبقه التوبة والتوبة فقام بل هي أول مقامات السلوك وقد صاحبها هاتف أو حال مینظ من الحق تعقبه التوبة فعلا .

وهكذا في الزهد لا يزال العبد يتزهد بمازلة حال تربيته لئلا يشغل بهجوم الدنيا وتفتيح له لاقبال عليها فمحو أثر حله بسبب شره النفس وحرصها على الآجلة وتفضيها على الآيلة ، وبطل كذا في تردد حتى تتداركه المعونة من الله فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه . ولا تزال نازلة حال التوكل تفرع باب قلبه حتى يتوكل فيصير مقاما . وهكذا حال الرضا وبصير ذلك مقامه .

وهذا نفسه لا يمنع أن تكون هناك أحوال ثابتة غير النوازل والواعم البارقة في الغالب من هوائف الحق ، وهذه بواعث وأحوال حادثة لا تمنع أن تعقب الترقى في المقامات أحوال ثابتة هي مواهب تعقب المكاسب والمجاهدات كاشوق والأنس والحب وغير ذلك .

سلوك الطريق

سلوك الطريق معناه التحقق بمقامات اليقين وأحوال القرب من الله عز وجل بالعلم والعمل والمقام والحال . سلوكا على يد شيخ عارف بعلوم الطريق ومفاوذه فيدخل السالك على السبيل الأقرب إلى الله بما يرشده إليه من أنواع الرياضة والذكر والخلوة وغير ذلك والمقامات التي يريد قطعها تمرسا بالعلم والعمل إلى الله سبحانه وتعالى وهي : التوبة والورع والزهد والصبر والفقر والشكر والتوكل والرضا ، وضم الفقر إلى الزهد لأن نتيجة الزهد الانقصار إلى الله ، فتكون المقامات سبعة : والأحوال التي يمن الله بها على عبده فيتحقق بمضمونها حالا بعد حالا هي القرب والانس والحب والشوق والحياء والقبض والبسط والفناء والبقاء . وقد بينا أن المقام معناه ما يقوم فيه العبد لله بجاهدة ومكافحة وباعثه الايمان ورائده عزيمة الوصول ، وعوامل المقام الموصلة ما فيه من رياضات للنفس تثبت العبد على الطريق وتكشف له الحجب (وما منا الا له مقام معلوم) والأحوال ما يربط إلى القلوب من أنوار الحق ومواهبه ونجليات تأتي بوارق ثم شوارق ثم تثبت أحوالا وكانت قبل السلوك في المقامات تبرق إلى النفوس والقلوب كوميضات البرق ثم تحول .

وعلى العموم فقد قدمنا قول شيوخ الطريق بأن المقامات في معظمها مكاسب والأحوال في جماعتها مواهب ولنا في قطع المقامات والأحوال إلى الله قاعدة من شأنها التقريب يسير عليها رجال الطريقة الفيضانية وهي : طريقتنا إرادة ، رياضة ، مجاهد ، تجلادة ، فتشبه ، فانطباع ، فعادة . وإليك تبسيطها وشرح معناها بمنزلة بالمقامات والأحوال وقد آن لما أن نتكلم عن قطع المقامات مقاما مقاما من التوبة والتمهيد إلى مقام الرضا وأما الأحوال والمسايلات بين العبد وربّه فنذكرها في الكتاب الرابع كتاب الحقيقة وإليك هنا الشرح والبيان للقاعدة التي أولها الإرادة . والارادة معناها ارادتك للنوّه أي حبك له فإذا اشتد هذا الحب أصبح رغبة ملحّة .

الارادة

الحب والرغبة لا يتيلان المقصود إلا إذا وافقتهما العزيمة ومعنى قولنا لإرادة يتضمن ١ - الحب ٢ - الرغبة ٣ - العزيمة الثابتة والمثابرة المتواصلة وبها يتم المقصود .

ويقول صاحب منازل السائرين . الارادة عند القوم هي اسم لأول منازل القاصدين إلى الله تعالى والمريد هو الذي خرج من وطن طبعه ونفسه وأخذ في السفر إلى الله وهو القاصد .

والطلب والارادة عند أرباب السلوك هي التجرد عن الارادة فلا تصح عندهم الارادة إلا لمن لا ارادة له ولا تفل أن هذا تناقض بل هو محض الحق ويريد صاحب منازل السائرين فناء رغبة النفس في مراد الحق تدرجاً وعملاً حتى تخلص إرادته من الشوائب فيتحلى بمكارم الأخلاق لتحصل النحلية ولا تكون النحلية قبل النحلية وانفقت كلمة القوم على أن الارادة مخالفة العادة ومعنى هذا أن عادة الناس غالباً التعريج على أوطان المفلة واجابة داعي الشهوة والاخلاد إلى أرض الطبيعة والمريد مفسلخ عن ذلك إلى اصلاح نفسه فصار خروجه عن نفسه دلالة على صحة الارادة فسمى انسلخه وتركه . ارادة وقيل هيام القلب بطلب الحق ويقول محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة .

إرادة الاستعداد للساوك

وقد نكلمنا عن ذلك في موضع آخر فقلنا يا بني إن كنت من الباحثين عن السعادة ، الراغبين في الحكمة ، الطامعين في رضا الحق فاصغ لاسألك .

هل أنت على الهمة وثاب العزيمة ؟

هل أنت صادق العول والعمل ؟

هل أنت مستقيم الطبع سليم النظرة ؟

هل تريد أن تحب الله فوق كل شيء ؟

فإن لم تكن هكذا فكن وغير ذلك لن توفق إلى معرفة سر حياتك ولا حقيقة لانسانيتك ولا تشتم ربح السعادة الكاملة والحرية والحكمة .

يا بني طهر جميع ميولك وأفكارك ونواياك من أسباب الريب والشك والضعف والنك واجعل فؤادك في جميع أوقانك طاهرا نقياً مستعداً لاشراق نور الحق فيسمو فكرك ويصفو قلبك وتستقيم حياتك ظاهراً وباطناً (وأما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله أنه هو السميع العليم) . لما أوجدك في الدنيا ليتعرف إليك فتعرف إليه لئلا كل من رزقه وتجدد هوجبات شكره فإنه أقبل إحسانه عليك لقبول قلبك عليه فيسكون منه مبتدأك وإليه مرجعك . فإذا كنت من المتفكرين فكن من المعبرين وإذا كنت من المعبرين فكن من الموقفين وإذا كنت من الموقفين فكن من العاملين وإذا كنت من العاملين فكن من المخلصين وإذا كنت من المخلصين فأنت المقصود بالقرب من الحق . فمن أراد الله هدايته وإرشاده مد له جبلاً من عنايته موصولاً بحضرته وجعل له مهمناً من باطنه ومذكراً من عقله حتى إذا أعوج اعتدل راغباً أو راغماً لأنه حينئذ يكون بعين الله مصحوباً بعنايته ومسوقاً إليه برعايته .

فوالله ما قربك إلى حضرته إلا سابق عنايته وما أوقفك ببابه سوى ما انطويت عليه من معنى اختصاصه لأحبابه .

واعلم أن أحباب الله غرباء في خلقه فإذا كنت في الناس غريب النفس والمطلب فاطلب سبيل الصادقين تجد فيهم أهلاً ووطناً .

فإذا احنارك الله لحضرة وقادتك الأقدار للعالمى فاعلم أن الحق مؤدك وكل شيء بحرك حتى يتصهر جوهرك فيصفو وتضيء بصيرتك فتستد وتسمع وتملو وحينئذ تشرق على فؤادك الأنوار الإلهية وتزول السعادة الأبدية فأحجب ما فيه خلاص نفسك وليكن حبك حبا بغير حد وعلنى عليه كل أمل ثم أصدق في الطلب وأخلص في العمل فمن غير شك تصل إلى مقام المقربين والصدق عين اليقين .

واعلم أن شهودك لفضل الله في الطاعة وحياتك منه في المعصية وحنينك إليه في الغلة دليل على قربك منه وغيرة عليك .

وفي الرسالة الفشيرية يقول صاحبها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله) فقيل له كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال (يرفقه لعمل صالح قبل الموت) .

وفي منازل السائرين : الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيتها وهي الاستجابة للدواعي الحقيقة طواعية .

ويقول الفشيري : الإرادة بدء طريق السالكين وهي اسم لأول منزل من منازل الفاصدين إلى الله تعالى وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله ولم يفعل له وإن ثمرته ولما كان هذا الابتداء أول الأمور لمن سلك طريق الله عز وجل سمي إرادة لتعيين القصد الذي هو مقدم عليه .

وفي منازل السائرين الإرادة على ثلاث درجات :

- ١ - ذهاب عن العادات بصحبة العلم والتعلق بأنفس السالكين مع صدق القصد وخلع كل شاغل من الإخوان والأوطان (يعنى بذلك أن الأرضيات موطن الجسد)
- ٢ - إرادة تقطع بصحة الحال وترويح الانس والسير بين القبض والبسط .
- ٣ - صحو مع صحة الاستقامة وملازمة رعاية الأدب .

وفي جامع الأصول : وصورة الارادة في البدايات ترك العادات ولزوم العبادات :

وفي الاواب : اعتناق الرغبة في الحق والانقطاع عن شواغل الخلق .

وفي الاخلاق : البلوغ إلى كمال الفتوة والنلق ببواعث لمرة .

وفي الادوية : علو الهمة وتوحيد الوجهة .

وفي الاحوال : طلب الترقى إلى ذروة العشق لنبل حلالة النذوق .

وفي الولايات : ارادة محر الارادة أى ونسيان أنه كان مریدا)

وفي الحقائق : الخالص من البقية بطمس الاثنية .

وفي المشاهدات : التحقق بمشيئة الله قال تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)

وأصول الارادة على مذهب كبار الصوفية أربعة :

١ - الصدق في العبودية .

٢ - ترك الاختيار مع الربوبية . ٣ - الاخذ بالعلم في كل شىء .

٤ - إثارة الله بالمحبة على كل شىء .

وقال الشاذلى رضى الله عنه . . من لم تصح ارادته لم يزد مرور

الايام الا اذبارا .

وفي الكلام عن الارادة والمريد كتب صاحب شرح المباحث يقول . معنى

الارادة هو طلب السلوك إلى ملك الملوك أو تقول هي صدق الوجهة إلى الله

بافراد القصد إليه . لأنه لما حصر ارادته في ارادة واحدة ولم يبق له مراد إلا

حبة مولاه سمي مریدا فالمرید عند القوم هو المبتدىء والمراد هو المجتنبى من حيث

(أنه قد سبق له من الله الحسنى) . وسئل الجنيد عن المرید فقل المرید تتولاه

سياسة العلم والمراد تتولاه رعاية الحق لأن المرید يسير والمراد يساربه

وأما حدود المرید فثلاثة : مجاهدة ثم مكابدة ثم مشاهدة . والاولى في تقدم

الظاهر والمكابدة في تقدم الباطن والاخيرة ثمرة المكابدة . وأما حدود الارادة

فهى : قطع العلائق وخرق العوائد واكتساب الفوائد . وذلك لا يتم إلا بإرشاد

شيخ عارف بأمراض القلوب وكيفية تطهيرها وبذلك يتم للمرید لاكتساب

المعارف الربانية التي يهتدى بها قلبه ويطمئن خاطره إذ يشعر شعورا باطنيا أنه قريب من حضرة مولاه . ومنازل المريد التي ينزلها ويرتحل عنها ثلاث

١ - منزل للإسلام وهو محل تطهير الجوارح الظاهرة من الذنوب وتجنبها بطاعة علام الغيوب ٢ - منزل الايمان وهو محل تطهير القلوب من المساوى والعيوب ٣ - منزل الاحسان وهو محل الشهود والعيان . وقواعد المريد التي يرجع اليها ثلاثة : الاولى آدابه مع الله ورسوله . فاما الآداب مع الله فباعتبارين اعتبار العوام وهو الامتثال لامره تعالى واجتناب نهيه ، واعتبار الخواص وهو الاكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيثار محبته وحفظ الحدود والوفاء بالعهود والرضا بالموجود . واما آداب مع الرسول فباعتبارين أيضا : اعتبار العوام وهو اتباع السنة ومجابة أهل البدعة واعتبار الخواص وهو إيثار محبته والاهتمام بهديه والتخلق بأخلافه واعتبار ثالث هو اعتبار خواص الخواص ، وهم الواصلون فهم مع الله بالنواضع له في كل شيء والتعظيم له عند كل شيء ودوام معرفته في تجليات الجلال والجمال . ومع الرسول صلى الله عليه وسلم في التحقق بحبه وتعظيم امته وشهود سنته . فهذه جملة آداب المريدين والسائرين والواصلين مع الله ورسوله

وآداب المريد مع الشيخ مرجعها إلى سبعة أمور . أربعة ظاهرة وثلاثة باطنة أما الظاهرة .

فالأولى منها : الامتثال لامره وأن ظهر له خلافه واجتناب نهيه وأن كان فيه حظه .

والثاني : السكينة والوقار في الجلوس بين يديه

والثالث : المبادرة إلى خدمته بقدر الامكان بنفسه أو بماله أو بقوله بخدمة الرجال سبب الوصال .

والرابع : دوام حضور مجلسه فدد الشيخ جار كالمسافة فإذا حصلت الغفلة انقطع المدد وكذلك تكرار المواصلة يذل على شدة المحبة .

وأما الآداب الباطنة فأولها : اعتقاد كماله وأنه أهل للقُدرة والترية لجمعه بين الشريعة والحقيقة وبين السلوك والمعرفة . وثانيها : تمظيمه وحفظ حرمة غائبه وحاضره وتربية محبته في القلب وهي دليل الصدق وبقدر التصديق والصدق يكون الحقيق فمن لا صدق له لا سير له ولو بقى مع الشيخ ألف سنة . وثالثها يتجرد من رؤية علمه وعمله قبل اوصول إلى الشيخ لئيل الشراب الصافي من بحر مدده الوافي .

آدابه مع الاخوان (في ايقاظ الهمم) أربعة :

- ١ - حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين فلا يفتاب أحدا ولا ينتقص أحدا .
- ٢ - نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشاد ضلّهم وتقوية ضعیفهم ولو بالسفر لالهم .

٣ - التواضع لهم والاستنصاف من نفسك معهم وخدمتهم بقدر الامكان قال تعالى : (وتعارفوا على البر والتقوى) .

٤ - شهيد الصفاء والكمال فيهم فلا يفتقص أحدا منهم ولو رأى ما يوجب النقص في الظاهر فالؤمن ملتزم بالمعاذير . وقال صاحب المباحث الأصلية :

والآداب الظاهر للعيان دلالة الباطن في الإنسان وهو أيضا للفقير سند وللغني زينة وسؤدد وقيل من يحرم ذوق الآداب فهو بعيد مادنا واقرب فالقوم بالآداب حقا سادوا منه استفاد النعم ما استفادوا

الرياضة

ونقصد بالرياضة حسن الاستعداد والتبؤ للأمر المراد والتدريب عليه والمزاولة له . وبما أن المراد هنا هو الوصول إلى الله تعالى فتضمن الرياضة أنواعا من الخلال الخاصة المؤهلة والصفات المؤهلة ، وأولها نية التجرد من العيوب والنفائس وعزيمة التوجه والملازمة لمكارم الأخلاق والفضائل وهذا ما تصح معه التوبة الخاصة الصادقة ، ثم محاربة النفس في غرائزها ومطالها الشادة عن حد الاعتدال ومخالفة الهوى ، والهوى هو النزعات الغريزية التي لا يكون مبعثها إلا الميل الغريزي للصفات المذمومة . وكذلك الانعطاف الحي إلى من غير ما تبصر في العواقب ولا في قوافين السلوك ولذا يجب التقيد بقواعد كريمة وعمليات فاضلة تنبثق في النفس الثبات والعزيمة وتنافي الأحوال والصفات التي كانت تتصف بها هذه النفس قبل التوبة والإرادة والدخول في الرياضة . والأخلاق والصفات المطلوبة هي الأخلاق الإسلامية التي كان قدوتها وأمامنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي مدحه الله بها في قوله تعالى (ولما إلى خلق عظيم) وكذلك العبادات الشرعية التي تساعد على الخلق بتلك الأخلاق الكريمة مثل الصوم والصلاة التي تصل الروح بمدتها الاعلا . ثم إلزام الجوارح بعمليات مخصوصة منظمة في أوقات وحدود معينة والنفكير مع التدريب الأفكار السلبية إلى أفكار إيجابية وتنوير البصيرة بنور الله وبواسطه الذكر لتبعث على التحرر من قيود النزعات الخاسرة ، وإجمالا تغيير الخلق تغييرا تدريجيا للحصانة والمناعة من أفعال الشر والأشرار . فالرياضة إذن تتضمن نية التغيير على أن تكون نية صادقة مؤدية إلى التوبة ويحقق التوبة بإبدال المعصية بالطاعة ومحاربة النفس ومخالفة الهوى لئلا تتلبس الجوارح بالعمل الفعلي بالطاعات والقرابات والاستمرار في ذلك مضافا إليه حسن العبودية مع الله وحسن المعاشرة مع الناس ، وبذا يتم تحويل الأخلاق من النقص إلى الكمال .

وتأتي اليقظة بعد ذلك وهي الانتباه من الغفلة . ويقول صاحب منازل السائرين مبتدئا بقول الله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى)

والقومة إلى الله تعالى بقظة واليقظة أول منزل من منازل الطريق إلى الله تعالى ونورها أول نور يستنير به القلب والعقل . ومر أيقظة الله تعالى بهم .

واليقظة تكون بسبب وبغير سبب . فالتى تكون من نفس العبد لما ينظر واستدلال أو تجرى على فؤده بعد أن كان غافلا كما جرى لحفظة العابدة حينما غنت يوما وهي تضرب على العود .

خطي الحق من جناني فكان وعظي على لساني
قربى منه بعد بعد وخصني الله واصطفاني
أحببت لما دعيت طوعا ملييا الذي دعاني
وخفت مما جنيت قدما فوقع الحق بالأماني

فذهبت وكان ذلك سبب توتها . وقد تجرى العبرة واليقظة على لسان الغير فاما أن تكون من كتاب الله كحضور مجلس وعظ ، ولما من العدو كما حدث لشقة ق البايخي عندما سافر للتجارة ودخل في بيت الأصنام فوجد صيدا الأسنام فقال له : أن لك إلها صانعا قادرا مريدا فلم لا تعبدده وترك هذه الأوثان التي لا تفضر ولا تنفع ؟ فقال له الصبي المشرک : إذا كان الأمر على ما تقول فلأى شيء تعبت واشغلت بالتجارة والسفر إلى ههنا وإلهك قادر أن يرزقك ببلدك ؟ فقال له شقيق : صدقت . فتنبه وتيقظ وترك التجارة وتعبد وكان من كبار المتروكين وأنشد في هذا المعنى يقول :

جزى الله من عاديت خيرا فأنى سأحمده من حيث لا يحمد الحل

والمراد من عبارة شقيق البايخي أن الغلام أيقظه لشدة التوكل مع العمل وليس للبطالة والتعطل فإن شقيقا كان من المجتهدين في سائر حالاته .

ونور اليقين أول نور الإيمان والعلم . ويقول صاحب منازل السائرين اليقظة هي ثلاثة أشياء : لحظ القلب للنعمة مع اليأس من عدها والوقوف على حدها ، والتفرغ إلى معرفة المنة بها ، مطالعة الجناية والوقوف على خطرها والشمور لتداركها والتخلص من رقتها وطلب النجاة بتمحيصها . والانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الآبام

والانفصال عن تضيقها والنظر إلى القصد بها لدارك فهمها وتتميم باقيها . وأما صفاء القلب فبنور العقل ، شيم برفق المنة والاعتبار بأهل البلاء . وأما صحة السلوك فتعظيم الحق ومعرفة النفس وتصديق لوعده وأما حكمة التصرف فاستقامة النفس بثلاثة أشياء : سماع أمرها واجابة دواعي الخدمة ومحبة الصالحين . وكل ذلك مع خلع العادات وترك العذلات .

ومن جامع الأصول البقعة في البدايات هي النفس عن سنة الغفلات والعموم لله تعالى ، في الوسط المتمركز من دواعي الشيطان والمحتفظ من الخلال الموحدة للخلاص .

ويقول صاحب المنازل أن البقعة هي الفهم عن الله تعالى وزواجره . وبدائيتها أن يفهم ما يحتاج إليه من الرضا قضاء الله تعالى ، وأوسطها الأداء للطاعة مع معرفة آدابها . ونهايتها الخروج عن العادة والقيام بمرامم العبادة .

التجريد

قال الله تعالى : فاعلم نعتيك ، والتجريد انخلاص عن شهود السوى وهو على ثلاث درجات كما جاء في كتاب منازل السائرين الأولى : تجريد عين الكشف عن الوهم ، والثانية تجريد عين الجمع عن رؤية البفرقة والثالثة : تجريد النفس عن شهود التجريد .

فالتجريد من حظوظ النفس والتفريد للحق يكشف عن القلب حجابيه ويحول عنه ظلامه ويطلع فيه بحر التوحيد وتبرز فيه شمس اليقين وتستنار له الطريقة الفراء والحجة البيضاء التي ليلاها كنهارها .

التوبة

والتوبة هي أول أركان الرياضة لأنها محولة لاستقامة مع الله والى سلوك في مقامات الايمان المؤدية إلى أحوال الاحسان ، وفي هذا يقول سيدي أبي الحسن الشاذلي طريق التصوف تدرب النفس على العمودية وردها للاحكام الروية وأول مراتب الرياضة هي نفسها أول مقامات اليقين وهي التوبة . وحده التوبة نسيان الذنب وابتغاء القرب .

والتوبة في اللغة هي الرجوع عن الذنب وكذلك لتوب قال تعالى (غفر الذنب وقابل التوب) وقيل التوب جمع توبة وفي الشرع هي الرجوع عن الأفعال والأفعال المذمومة إلى ما هو محمود منها وهي واجبة على العور عند عامة العلماء أما الوجوب فاقوله تعالى (فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون) رأما الاستماع لها فذلك لما في تأخيرها من أضرار عظيم . واعبر صاحب حياة القلوب وصاحب قوت القلوب أن من مقدمات التوبة التفكير وهو النظر في لطائف الصنعة ووجوه الحكمة . والتذكر وهو أعلى من التفكير ومنه اليقظة والانتباه من الغفلة . وفي جامع الأصول أن التوبة قسمان ، توبة العوام وتوبة الخواص . فتوبة العوام على ثلاث مراتب وتوبة العوام هي توبتهم عن الكبائر بالندم على الماضي وترك الذنوب في الحال والعزم على أن لا يعود ، ورد المطالم وإعادة المرائض التي فئت وتربية النفس على الطاعة . وتوبة الخواص عن الصغائر التي وردت بسوء وغلة وجهل ونسيان كما قال تعالى : (نما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة مما يتوبون من قريب أنك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً) .

والتوبة على ضربين : أنابة ، واستجابة . فالأنابة أن تخاف الله لقدرته عليك والاستجابة أن تستحي من الله لقربه منك أما الأنابة فهي قربه من التوبة لغة وشرعاً .

ويقال التوبة صفه المؤمنين قال تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون)

والآياته صفه الأولياء والمقرئين قال تعالى (وجاء بقاب منيب) والآية صفه الأنبياء والمرسلين قال تعالى : (نعم العبد أنه أواب) .

وفي قوت القلوب إن جملة ما يجب على العبد في التوبة وما تعاقبها عشر
أحوال : أن لا يعصى الله ، وإن ابتلى بمصيبة لا يصرعها ، والتوبة إلى الله منها ،
والندم على ما فرط منه ، وعقد لاسقامته على الطاعة ، وخوف العقوبة ، ورجاء
المغفرة ، والاعتراف بالذنب ، واعتقاد أن الله قدر ذلك عليه ولمه عدل منه ،
ثم اتباعها بالعمل الصالح لقوله صلى الله عليه وسلم (وأتبع السيئة الحسنة تمحها)
وقال بعضهم أنا من أن أحرم التوبة أحوف من أن أحرم المغفرة . وقال سري
السلطى : من شروط التوبة أنه ينبغي للتائب التائب أن يبدأ بمجانبة أهل المعصية
ثم بنفسه ثم الاعتزام على أن لا يعود إلى معصية أبدا ومحاسبة النفس في كل طرفه
وترك الفضول وهي سنة : فضول الكلام ، وفضول النظر وفضول المشي ،
وفضول الطعام ، وفضول الشراب ، وفضول اللباس .

وسئل سهل بن عبد الله ترى عن التوبة فقل أن لا تفتى ذنبك . وسئل
ذو النون عن التوبة فقل : توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة
والإكثار من ذكر الله .

وقال عبد الله التميمي : شتان ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب
من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات .

وقال الواسطي . التوبة النصوح لا تنقي على صاحبها أثرا من المعصية سرا
ولا جهرا ومن كانت توبته نصوحا لا يبالي كيف أمسى وأصبح .

وسئل البوشنجي عن التوبة فقل إذا ذكرت الذنب ولم تجد حلوة . عند
ذكره فهو التوبة النصوح .

وقال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون
لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله (وصاقت
عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا)
وقال ذو النون أيضا الاستغفار من غير إفلاح توبة الكذابين . وقال رجل

لرابعة العدوية . إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت هل يتوب علي ؟
فقلت : لا بل لو تاب عليك لبت .

وقال بن عطاء الله : التوبة توبتان . توبة الإنابة وتوبة الاستجابة فتوبة
الإنابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته ، وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من
حضرته

وقال الشاذلي : إني أنفستك علي باب الرضا وانخاع عن عزائمك وإرادتك
حتى تنقذ التوبة استجابة من الله لك قال تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) وقال :
قلت يوما اللهم إني تبت إليك فأعني وأيدني وقوني وانصرني وثبتني واعصمني
واسترني بين خلفك ولا تفضحنني عند رسواك . فقيل لي إن هذا شرك . قلت
كيف ؟ فقيل لي لك خفت من الفضيحة عند الحق وإنما التوبة أن يكرن قلبك
متعلقا بالله لا بالناس وأن توفن أن أحدا منهم لا ينفعك ولا يضررك فما دام قلبك
متعلقا بملك وقدرتك وجدك واجتهادك فليست راج حتى تأس من الكمل متعلقا
بالرجاء في الله في كل نفس فتجد الروح والمدد من الله .

وقالوا : الاستغفار احسن الحصون من الذنوب قال تعالى : (وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون) . وقال صلى الله عليه وسلم : (الاستغفار ممحاة
للذنوب) .

وفي منازل السائرين عن الإنابة ذكر قول الله تعالى : (وأنيبوا إلى ركم)
وقال الإنابة ثلاثه أشياء . الرجوع إلى الحق اصلاحا كما رجع إليه اغذارا .
والرجوع إليه وفاء كما رجع إليه عهدا . والرجوع إليه حالا كما رجع إليه استجابة
ولما يستقيم الرجوع إليه اصلاحا بثلاثة أشياء . الخروج من القبات والنواعم
للغرات . واستدراك لغات . ويستقيم الرجوع إليه وفاء بثلاثة أشياء : الخاوص
من لذة الذنب وترك الاستهاه بالغلظة مع الرجاء في العفو ، والمحافظة علي الامامه
في الطاعة ولما يستقيم الرجوع إليه حالا بثلاثة أشياء :

بالاياس من عملك ، وبمعاينه اضطرارك ، وبشيم ريق لطفه بك

ما يجب على التائب من الوظائف حقبة التوبة : يجب على من أخذ في سلوك طريق الله بعد التوبة الاستعانة في طريق هذا السفر وذلك بالمحافظة على الطاعة واجتناب المعصية . ويجب عليه تعلم الأحكام من علم الشريعة . ومحاسبة نفسه على الأعمال فينظر في جميع أعماله المتعلقة بالقلب والجوارح الظاهرة ويسترها عما لا كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فإنه من أكل نعم الله وما كان منها مخالفاً تاركاً بالتوبة والاعتذار . وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب . والذنوب صغائرهم وكبائرهم كما جاء في الأحياء حيث قال الغزالي : والذنوب عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل . والذنوب تنقسم إلى قسمين ما يتعلق فيما بين العبد وبين الله وما يتعلق بما بينه وبين العباد ، فما يتعلق بالعبد خاصة فيما بينه وبين الله كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بمقوق الناس ومظالمهم . ومن سراج القلوب حكى أنه تاب بعض الدائنين عن الذنب ثم وقع في المعصية ثم ندم ، وخطر بباله أنه لو رجع إلى التوبة كيف يكون حاله ؟ فتهتم به هاتف من الحق : اطعنا فشكرناك ثم تركنا فأمرهناك فإن عدت إلينا قبلناك وإن أمهلتنا حجبتناك فأنشد :

يارب قد تبنت فأغفر ذلتي كرماً وأرحم بعفوك من أخطا ومن ندما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله عمرى نضاً يدي يا خير من رحما
هذا مقام ظالوم خائف وحل لم يظلم الناس لكن نفسه ظلمها
فاصفح بعفوك عن جناه معتذراً واغفر ذنوب مسيء طال ما اجتريما

المجهر

يا نبي حـ . سبحانه واستمع برك واسع اكسر قيدك واركن جواد الهمة
واعمل ركاب الإرادة واحترم العزم وخذ بالجام الحزم وسر على بركة الله في طريق
الخير قاصدا مدينه الكمال ، واعلم ان السبيل لها محبط بأنواع المجاهدات مخوف
بصنوف الموانع والعقبات . والكمال واسع بالانهاية والناس فيه درجات وكل واحد
من السائرين إلى الله واصل إلى رتبته على قدر استعدادة وفطرته وجهاده ومحبته
واخلاسه ومحبته . فمن جاهد نفسه فهو المجاهد ، ومن أعرض عن الزم من المتاع
فهو الزاهد ، والمواظب على أراغ العبادات باحلاص فهو العابد والمنصرف بصره
عن عالم الحس إلى حجاب القدس فهو عارف . ولجذوب من جذبته شوارق الجلال
وايقظته بوارق الحلال . والحكيم من وقف بين ذلك في مركز الكمال
ولم يصرفه عن المطلوب (وهو الله) حال من الاحوال ولم تخرجه عن الصفاء
كوارث الابتلاء ولا سواغ العناء لاستواء المنع عنده والطاء ، فلا يحجبه كون
عن كون ولا يشغله شأن عن شأن لأنه يحول من ربه فطلب الحق لذاته لا لشيء
سواه وعنده لوجهه لا لامر غيره . وللقيضين مبادئ يذكرونها صباحا ومساء
نثبها لك ههنا لملك تذفع بمضمونها أو تحتذى حذوها وهي : الله غايقتنا
والاحلاص مبدؤنا والاصلاح سبيلنا والمحبة شعارنا . نعماد الله على الصدق
والاحلاص واليقين والتوكل واما الغاية واما المنية في النهاية .

ومكذا كل من سلك مثل هذا المسلك كملت نفسه وسعد أكل السعادة وعرف
ربه ونفسه حق المعرفة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)
وهما يباين المتعرف إلى الله أحوالا سامية مبهمة عن شوائب الاغراض القانية
(وقبل للذين اتقوا ما أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار
الآخرة خير وأجمع دار المقين) (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب
الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)

الورع

أول درجات الجهاد : وهو من صميم المجاهدة سيما وأن الورع ثاني مقامات اليقين والسلوك إلى حضرة رب العالمين . والخاصة بقول قيمه المرفه فيها طالبه . وذلك رأس الفتوة حيث أن من أول شرائعها الهمة ثم الورع عن كل محرم أو ما يخل بالمرودة . وإذا أردت أن تعرف مراتب لهم فأنظر إلى همة ربيعة بن كعب الأسلمي وقد قال له رسول الله ﷺ (سأل) فقال أسألك مرافقتك في الجنة وكان ذلك لعلهم . لأنه يترتب عليه المجاهدات وفعل الطاعات الموصلة للجنة . يسأل ربيعة الرسول ﷺ ذلك بينما يسأله غيره ما يلا بطنه ويوارى لده . ونظر إلى همة رسول الله ﷺ حين عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى . وهو لم يلم أنه لو أخذها لأمهها في طاعة ربه تعالى فأبى له تلك الهمة العلية أن يتعلق منها بشيء مما سوى الله ومحبه .

فاعلم يقينا يا بني أن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية والمحبة الصادقة والارادة الخالصة فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة . وأخسر الناس حياة أحسنهم همة ، وأضعفهم محبة يحيون حياة البهائم بل حياة تلك خير ولا شك من حياتهم كما قيل . شمرا .

نهارك يامغرور سهو وغفلة وملك نوم والردى لك لازم
وتكسح فيما سوف تذكره غبه كذلك في الدنيا تديش البهائم
تسر بما يغنى وتفرح بالملئ كما سر بالذات في اليوم حالم
وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله .

رأيت الذنوب تبيت القلوب وقد يورث الذل ادمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وحير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
فباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تعمل في البيع أنماهم
لقد رتع القوم في جيفة ترعج ذي اللب ألوانها

واعلم أن الله تعالى كما جعل حياة البدن بالطعام والشراب جعل حياة القلب في دوام الذكر والابابة إلى الله وترك الذنوب والتملة الجائمة على القلب . والتعلق بالرزائل والشهوات الفانية يقينا تطمس البصائر ويقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لو أن الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيا رجل واحد ثم جاء الموت لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء . وقيل

وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط انتفع

ولذا يلزم للسالك همه عالية قبل سلوكه الطريق وورعا يكفه عن المعاصي التي تطمس بصيرته . وقد قيل (ليس اسهل من ورع أن رابك شيء فدعه) فإن السالك إلى ربه لا يزال عاكفا على أمرين لينم سلوكه : استقراغ القلب بصدق الحب وبمجاهدة النفس بامثال الأمر فلا يزال كذلك حتى تبدو على مره شواهد معرفة . وآثار صفات الله وأسمائه على قلبه ولكن يتوازي عنه ذلك أحيانا ويبدو أحيانا ، يبدو من عين الجود ويتوارى إذا حدثت الفتنة ، ولقد تراءت أمر لازم للعبد فكل عامل له شرة (والشره الحدة) ولكل شرة فترة فأسلاها فترة الوحي وهي للانبياء وفترة الحال الخاص للعارفين وفترة الهمة للمريد وفترة العمل للعابدين . وفي هذه الفترات أنواع من الحكمة والرحمة والتعريفات الالهية ، وتعريف قدر النعمة وتجديد الشوق إليها واثرة التواجد بها وغير ذلك .

والمجاهدة في اللغة المحاربة . وفي الشرع محاربه أعداء الله وفي اصطلاح أهل الطريق محاربه النفس الامارة بالسوء ونحمتها ما شق عابها عما هو مطلوب شرعا . وقال بعضهم : المجاهدة بخلافه النفس . وقال آخر منع النفس عن المؤلفات للهوى وهو الورع . والمجاهدة على قسمين مجاهدة العوام وهي ترفيق الأعمال . ومجاهدة الخواص وهي تصفيه الأحوال . فإن مقاساة الجوع والسهل يسير بالنسبة إلى تبديل الاخلاق المذمومة بأخرى محمودة ، والمجاهدة في الله من أعظم أسباب الوصول إلى الله وأولها بعد التوبة الورع . وأما الهمة فلازمه في جميع المقامات .

مخالف النفس

يقول صاحب الرسالة القشيرية قال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وقال صلى الله عليه وسلم : (أخوف ما أحاف على امتي اندفاع الهوى وطول الأمل) . فأما اتباع الهوى فهو أن يصد صاحبه عن الحق . وأما طول الأمل فهو أن ينسى صاحبه الآخرة . ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة . وقال ذو النون (مفتاح العبادة المسكرة وعلامه الصواب في السلوك مخالفة النفس والهوى ونحو لفتها ترك شهواتها . وقال ابن عطاء : (النفس مجرولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجري بطبيعتها في ميدان المخالفة والعبد يرددها بجهد عن سوء المخالفة فن أطلق غناها فهو شريكها في فسادها وردها يتم بالمجاهدة والورع .

(وفي جامع الأصول) أن مراكز النفس اثنان :

١ - مركز في الشهوة للمخالفات .

٢ - ومركز في العجز عن أداء المفروضات .

وعلاج ذلك أربعة أمور :

١ - طح النفس على الله طرحا لا يصحبه الحول والقوة من العبد .

٢ - التلذذ بالله تسليما لا يصحبه الاختيار مع الله . وهذان العلاجان باطنيان .

أما في الظاهر ٣ - فنع الحوارح عن المخالفات والقيام بحقوق الواجبات .

٤ - ثم يقعد على بساط الذكر بالانقطاع إلى الله بالقلب عن كل شيء سواه .

(واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) .

الجلادة

الجلادة معناها تعويد النفس على الصبر من الفضائل والشاق من الطاعات والصبر على الحق لداته ثم الخوشن والرجولة في الجسد والنفس والعادات لتثبيت العزيمة في الشخص وتدعيم إرادته (وذلك من عزم الأور) . وليس المراد بالخوشن التجريد المحض والكشف البحت أو تحريم زينه الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق كما يحدث من بعض أدياء النصوص إذ (لا رهبانية في الإسلام) ولا زهد منكشف في التصوف لأن زهد الصوفي في قلبه وإن ملك الدنيا يداه (وسفين ذلك في باب الزهد أن شاء الله) فالجلادة تتضمن .

تعويد النفس على الجلد وتحمل الصعب من الفضائل والشاق من الطاعات حتى تدب لذللك . ثم الصبر على الحق لداته بغير تحيز لرأى شخص أو هوى صارف . وهذا أساس الرجولة في المعيشة كالخوشن في العادات والاقتصاد في أسباب الترف التي تلين الأخلاق أو تضعف من قوتها وتزويد الإرادة بسائر أسباب القوة والمناخه فالورع ثم الزهد ثم الفقر ومعناه الافتقار إلى الله وليس الظهور بظهور من يشكوا ربه إلى عباده وسفين ذلك في موضعه ثم الصبر وهو عصب الجلادة .

التشبيه

وأما التشبيه فالمراد به أن يتشبه الإنسان في سلوكه بأحوال أهل الكمال وأن يسلك حمة في سلك أصحاب الهمم العاليه وأهل العزائم وفي أعماله بكبار الرجال من الأحيار والفضلاء وكبار الصالحين (والأولياء والأنبياء) . فإذا ما بلغ ذلك أو قارب أمكنه حينئذ أن يتشبه بصفت الله عز وجل . فإذا تشبه بصفات الله تجلى الله سبحانه وتعالى بصماته عليه ، لأن الله تعالى وأن كان متجليا بصفاته على الوجود عمر ما فهو متجل على الإنسان خصوصاً لأن نفس الإنسان هي المرآة الكاملة التي صقلت خصيصا لتجلى الحق تجليا شاملا لو لم تحجبها الحجب المانع . فإذا استجابت النفس بعد أن تخلصت عن الرذائل وتحملت بالمضائق وتمرست بالرياضة وتحملت موجبات الجلادة تهيات بالغسبة إلى الانطباع وظهرت عليها صفات الحق وهذا ما نعينه بالانطباع وتعقبه السعادة . فالتشبيه يتضمن : الاتصاف العملي والسكري بصفات عظماء البشرية من الرسل والأنبياء والعديسين والتشبه في الأحوال والنوايا والأغراض بمستقيمي السلوك من الناس ثم التشبه بصفات الله عز وجل مثل الحلم ، والكرم والرحمة . الخ . فيصير التشبيه كأنما ربانيا وعبداً صمدانيا (تشبهوا بأخلاق الله) . والتشبه والسعادة إذا صاحبهما الانطباع والثبات فيه كانا الصق بالأحوال فهما بالمقامات فهما خاصان بأحوال أهل الكمال من العارفين بالله كما أن الإرادة والجهاد والرياضة والجلادة تحوى سائر مقامات اليقين التي تكاملنا عنها وأولها التوبة وآخرها الرضا .

والانطباع يحتاج إلى شيء قليل من التوضيح . فاعلم أن النفس البشرية خلقت على طراز يجعلها قابلة للاتصاف بجميع صور الخلق الأعلى وتفهم سائر صور الوجود وحقائقه العليا لأن مبادئ تلك الصفات الكريمة مغروسة في النفس من النشأة الأولى لأنها كالمرآة لها فإذا تجلت على تلك الصفات الإلهية تقوت بها صفاته القطرية شيئاً فشيئاً واضمحلت صفاته الأرضية التي كانت مجرد وميض

لصفات الله وكانت النفس تدعوه إلى مطاردة غرائزه كالامارة أو
المراة وفي حالة التشبه والاطباع تكون قد ثبتت في مرآة نفسه صفات الحق
ثموت تجل ومحت ارادته بارادة الحق وأفع له بأفعال الحق . فلا يطباع يتضمن :
أولاً : انطباع النفس على الصور العليا للخبرات والقصص .
ثانياً : انطباع القلب على صفات الحق سبحانه وتعالى (كنت سمعه وبصره
ويده وإسائه) .

مقام الورع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الاثم ما حاك في الصدر والورع عند
الوقوف عما حاك في صدر الانسان) - وحك بمعنى تحرك - . وحكى عن الحارث
المحسى أنه كان لا يمد يده إلى طعام فيه شبهة - مثل سهل بن عبد الله عن الحلال الصافي فقال
الحلال مطلقاً هو الذي لا يعصى الله فيه من الرزق والرزق الحلال الصافي الذي لا ينسى
الله فيه . فالورع عن كل ما ينسى الله هو الورع الحقيقي . وممناه أن يراقب
العبدربه فيما يأخذ وفيما يعطى . وقد سئل عنه الشبلي رحمه الله فقيل له : يا أبا بكر
ما الورع ؟ فقال : أن تتورع عن أن يتشتت قلبك عن الله عز وجل طرفة عين
بأى شيء .

فالاول ورع العموم والثاني ورع الخصوص . قال الله تعالى : (يا أيها الرسل
كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) . وقال : (وثيابك فطهر)
وقال قتادة ومجاهد . نفسك فطهر من الذنب . فكفى عن النفس بالثوب ، وهذا
قول إبراهيم والضحاك والشعمي والزهرى والمحققين من أهل التفسير . وقال ابن
عباس : لا تلبسها على معصيه ولا غدر . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمى الثقفي .
وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدره اتقنع
والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء : طاهر الثياب . وتقول
للغادر والفاجر : دنس الثياب . والمقصود أن الورع يظهر دنس القلب ونجاسته

وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم الورع كله في كلمة واحدة فقال : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وقال سلمان الزوري ما رأيت اسئل من الورع ، ما حاك في فبك فركه . وقال الحسن البصري : ذرة من زرع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة . وقال أوهريرة . جلساء الله غدا يوم القيامة أهل الزرع والرهدة . وقال أبو سفيان الدراوي . الزرع أول لرهدة . كما أن الغنائة طرف من الرضا . وقال النبي ﷺ (لو ابصرت فمك وأن أفتك والمؤمن) .

مقام الزهد

الزهد مقام شريف وهو أساس وهو أول قدم للقاصدين إلى الله تعالى . والزهد في فضول الحلال الموجود . وأما الحرام والشبهة فتركه واجب . والزهد على ثلاث طبقات فمنهم المبتدئون وهم الذين خلت أيديهم من الآمال وخلت قلوبهم بما خلت منه أيديهم . وسئل الجنيد رضي الله عنه عن هذا الزهد فقال تحلى الأيدي عن الآمال وتحلى القلوب عن الطمع . وشرح عنه السري السقطي رضي الله عنه فقال . أن يخلو قلب الزاهد بما خلت منه يده . والزهد فرق ، مهم المتحققون في الزهد ووصفهم ما أجاب به رويم بن أحمد رحمه الله حين سئل عن الزهد فقال ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا . وأما الفرقة الثانية منهم الذين إذا قدمت عليهم الدنيا بخدا فبرها ما ابتغوا منها شيئاً .

وقد سمي الله تعالى الزاهدين علماء في قصة قارون فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم وبإيمانكم ثواب الله خير) .

وعند الغزالي في إحيائه أن الزهد مقام من مقامات السالكين . وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن شيء إلى ما هو خير منه . ويستدعى حال الزهد مرغوباً عنه ومرغوباً فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زاهداً . وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خير من المرغوب فمن رغب في

الآخرة زهد في الدنيا ومن رغب في الله زهد في حظوظه من الدنيا والآخرة
اعتناء بالله تعالى وعنايته منه سبحانه .

هل يتنافى الزهد وضرورات الحياة ؟

اعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل اقله عليه
ذكر أو فكرا ولا يتصور ذلك إلا مع إثباته على الدنيا ، ولا يتصور ترك ضرورات
الجسد من الرزق إلخ ، وهذا ما لا يزهد فيه ، وإن كان لاخذ أسباب الدنيا الاستمالة
على طاعة الله بأك زاهد لأن ما لا يتوصل إلى النوم إلا به فهو منه . وإن كان
سميك في الدنيا على نفسك وعلى عيالك وعلى مصلحتك الفقراء فهو طاعة لله وتكون
أنت زاهدا . فامشغل بعنف الباقية وبسقمها في الطرقي إلى الحج ليس بخارج عن
شروط الحج وكذلك جسدك وهو دالك ألا يساوى في نظرك من يهف ففته
في طريق الحج ؟ الأمر الذي لا يخرجك عن مقصده وهو الحج .

فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة نفسك عن الجوع والعطش والعري ، أدمت لا
تقص الدنيا نفسها ، كما أن من ليس عنده من الدنيا شيء لا يسمى زاهدا وإلا
ففيما ذا يكون زاهدا ياترى ؟ أي الحرام الذي تركه واجب أم زاهدا فيما أحله الله
وفيما لا وزر عليه في الأخذ به ؟ إنما الزهد يكون في الفضول الملبدة عن الله وفوق
هذا وذلك فإن زهد الصوفي في قلبه والراهد متخفف إلى ربه والصوفي لا يسع
قلبه غير الله . وكان يوجد إخوان في الله رجل غنى جدا والآخر فقير جدا وكل منهما في
بلد غير البلد التي فيها صاحبه ، فأراد الصوفي الفقير أن يكلف أحد التجار الذهابين
إلى بلد أخيه الغنى وقال له إذا وصلت بسلامة الله فاسأل عن فلان فهو رجل
مشهور وسوف لا تتعب في الوصول إليه فإذا دخلت إليه فاسأله لي الدعاء
والنصيحة . ولما وصل التاجر وسأل عن الرجل دلوه عليه ولما واجهه قال له
فلانا يسألك الدعاء والنصيحة فقال له بعد أن أكرمه قل لأخي فلان أما النصيحة
فهي أن تزهد في الدنيا وأما الدعاء فهو يسأل الله أن يكفيك شر نفسك فدهش
التاجر لأن الناصح هو الغنى والمنصوح هو الفقير وما إن عاد إلى بلده إلى فيها الأخ
الفقير حتى قال له منكم إن أخاك الغنى يرى يقول لك ازهد في الدنيا وأنت
(١٦)

فقير هكذا لا تملك شيئا ويقول لك إنه سيسأل الله أن يكفيك شر نفسك وقد نسي هو نفسه ، فقال الفقير يا أخى إنك لم تعدل في القضية وهو صادق فيما يقول لأنه أقرب منى إلى الله وإن كانت الدنيا في يده فهي يقيما ليست في قلبه وأما أنا فليست الدنيا في يدي وهذا صحيح ولكن حبها كامن في قلبى من منا عندك الذى يجب عليه أن يزهد في الدنيا أيا أم هو ؟ فقال الناجر حقيقة أنت الذى يجب أن تزهد في الدنيا فقال له أما أن يكفينى الله شر نفسى فاعلم أن النفس هى الحجاب الوحيد بين العبد وربّه فقال الناجر آمنت بالله وبأن لله فى عباده أسراراً وشؤوناً .
علامات الزهد . وعلامات الزهد ثلاث :

الأولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .

الثانية أن يستترى عنده الغم والمدح ، فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه .

الثالثة أن يكون الله تعالى والغالب على قلبه حلوة الطاعة إذ لا يخلو القلب من حلوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره .

فعلمة الزهد إذ ذل استواء الفقر والغنى والعز والمنع والعطاء وذلك لفلبة الأنس بالله ويقول الله تعالى (بقية الله خير لكم إن كنتم تعلمون) وسئل صوفى أزهده أنس ؟ قال نعم قالوا فيم قال في الزهد وفي عدم الزهد ، قيل له وكيف ؟ فقال اشتغالا بالله عن كل ما سواه .

وأما مقام الاقتدار إلى الله في كل حال المنعوت عندهم بالفقر فقد أضفناه إلى مقام الزهد وهو زهد الصوفية من شهود افتقارهم إلى الله وليس إلى شيء . سواء من الدنيا أو الآخرة . وهذا المقام قد عده غيرنا نتيجة لمقام الزهد الحقيقي .

والفقر هنا ليس معناه مجرد الفقر والحاجة وإنما معناه الافتقار إلى الله وإن كنت في مجبوحه من العيش وإن كنت متمتعاً بكافة الطيبات على شريطة الاقتصاد والعزوف عن الفضول الزائدة الذى يشغل عن الله ، حينئذ يستوى عندك أن تملك

الدنيا جميعا أو أن تتركها جميعا ويتضح من هنا أن المراد من هذا تحقيق العبودية بالافتقار إلى الله في كل حال ولو كانت حالة الغنى والثراء وهذا المعنى أحسن من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولها وأن سمي فقرا اصطلاحا وهذا لا نافية الجدة ولا الإهلاك فقد كان رسول الله وسائر الأنبياء في ذروته مع تمكهم من الملوك العظام كما حدث لإبراهيم الخليل عليه السلام ولأيوب ويوسف وكما حدث لداود وسليمان عليهما السلام وكذلك كان نبينا ﷺ فقد كان كما قال تعالى : (ووجدك عائلا فأغنى) وعرض عليه الأخشيان وهما جبلان أن يكون أحدهما ذهباً والثاني فضة ولكنه أبى فقال لا يارب أشبع يوما فأشرك وأجوع يوما فأسألك ويقول البوصيرى رضى الله عنه في هذا المعنى شعرا يعنى به النبي صلى الله عليه وسلم .

ورأودته الجبال لشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

فكان الأنبياء والأولياء أغنياء في فقرهم وفقراء في غناهم . فالنقد المفصود ليس العدم وإنما هو دوام الافتقار إلى الله تعالى . وقبل أن أركبه أربعة : علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنس . وقال الشبلي حقيقة المقر أن لا يستغنى بشئ عن الله . وقال محمد بن عبد الله المرغاني رحمه الله . إذا صح الافتقار إلى الله تعالى فقد صح الاستغناء بالله وإذا صح الاستغناء بالله كمل الغنى به . أما النبي صلى الله عليه وسلم نبي الشريعة الإسلامية فقد قال (إن لنفسك عليك حقا ولربك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولضيفك عليك حقا فاعط لكل ذى حق حقه) ويشرح الناس الحديث القائل (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) بالعمل للدنيا كأنهم مخلدون فيها وهذا يتعارض مع قول الله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) لجعل الآخرة هي الغرض الأول وجعل الدنيا هي الغرض الثاني وبناء على هذا يفسر الحديث بأن تعمل للدنيا كأنك تعيش أبدا أى ما فأنك اليوم منها قد لا يفوتك غدا وأما الآخرة فاعمل لها كأنك تموت غدا لأن العمل للآخرة موقوف بأزمانه وأما كنهه فما فأنك فيه اليوم لا تدره غدا ويكون من باب الافتقار إلى الله إشارته الآخرة على الدنيا وإن ما سكتها

مقام الصبر

والصبر مقام جليل ، وقد مدح الله تعالى الصابرين ، وذكرهم في كتابه فقال :
 (إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب) ، وسئل الجنيد عن الصبر فقال :
 حمل المؤمن لله تعالى حتى تنجلي الكرب . وقال الخواص : قد هرب أكثر الخلق
 من حمل أنقال الصبر ، واعتمدوا على الأسباب كأنها لهم أرباب . وجاء رجل إلى
 الشبلي رضى الله عنه فقال : أى صبر أشد على الصابرين ؟ .. فقال الشبلي : هو
 الصبر فى الله . فقال : لا .. قال أهو الصبر لله . فقال الرجل : لا .. فقال أهو
 الصبر مع الله ؟ قال الرجل : لا .. فغضب الشبلي وقال : ويحك .. أى صبر هو ؟
 فقال الرجل : الصبر عن الله ، فصاح الشبلي : ويحك كيف غاب عنى هذا ! . والصبر فى
 اللغة الحبس والكف . ومنه : قتل فلان صبراً أى إذا أمسك وحبس . ومنه قوله
 تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالعدوة والعشى يريدون وجهه)
 أى احبس نفسك على صحبتهم . وهو ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر
 عن معصية الله ، وصبر على امتحان الله (فلاولان) صبر على ما يتعلق بالكسب
 والناك صبر على ما لا كسب للعبد فيه . وقيل فى قوله تعالى : (اصبروا وصابروا
 ورابطوا) قيل . اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله . فالصبر مع
 نفسك والمصاهرة بينك وبين عدوك والمراعاة الثبات وإعداد القوة والعدة . وقيل
 تجرع الصبر فإن قنلك فتك شهيداً ، وإن أحيأك أحيأك عزيزاً . والصبر فى كل
 طلب عنوان الضفر ، وهو فى المحن عنوان الفرج .

وإذا عرّتك بلمية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
 وإذا شكوت إلى بن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم
 وقال السهروردى : وأضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العالة وفوقه الصبر بالله ،
 وهو صبر المريدين وفوقه الصبر مع الله ، وهو صبر العارفين ، وقد ذكر تعالى

الصبر كثيراً في كتابه فقال : (وجعلنا منكم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) وقال
(وانجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال تعالى وعدا
للسابرين بأنه معهم (واصبروا إن الله مع الصابرين) .

وقال أبو الدرداء : ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر .

وقال ذو النون : الصبر : الباعد عن المخفات .

وأشد المحارص :

صبرت على بعض الأذى خوف كذا ورفعت عن نفسي لنفسي فعمرت
وجرعتها المكروه حتى تدرت ولو لم أجرعها إذا لاشأزت
ألا رب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتدال عزت
إذا ما مددت الكف أنفسي الغنى إلى غير من قال أسألوني فشلت
سأصبر جهدي إن في الصبر عزة وارضى بدينياي وإن هي فلت

مقام الشكر

ومعنى الشكر في اللغة هو الكشف والاعتراف يقال شكر إذا كشف عن ثمره
وأظهره . فذكر النعم وتعدادها باللسان من الشكر . وباطل الشكر أن تستعين بالنعم
على الطاعة ولا تستعين بها على المعصية . فذاك شكر النعمة وانشدوا لبعضهم .

أوليتي نعماً أبوه بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها

فلا تشكرنك ما حيت وإن أمت فلتشكرنك أعظمي في قبرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول من يدعى يوم القيامة إلى الجنة
الذين يحمدون الله في السراء والضراء) وقال (من ابتلى فصبر وأعطى فشكر
وعظم فغفر وظلم فاستغفر) قيل فما باله ؟ قال (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)
وقال الجنيد : فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان . ويقول صاحب
كتاب قوت القلوب : أن الله تعالى قال في محكم كتابه الكريم (ما يفعل الله

بعدا بكم أن شكرتم وآمنتم) فترن الشكر بالايان ورفع بوجودها العذاب . وقال تعالى : (وسنجزى الشاكرين) وقد أمر الله تعالى بالشكر وقرنه بالذكر في قوله تعالى : (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وقد تظم الذكر بقوله : (ولذكر الله أكبر) فصار الشكر كذلك عظاما لا يقرانه بالذكر . ورضا الله تعالى على الشاكر مجازاة لعباده على شكره لأن قوله تعالى : (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وفاء بوفاء لتحقيق الامر . ووعد الله تعالى بالمزيد على الشكر دون استثناء . وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وختم تمنهم في قوله تعالى : (اخذ الله صدقنا وعده) وقال تعالى : (وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين) فأول الشكر معرفة النعم وأنها من المولى القادر الذي لا شريك له قال تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله) (ثم إذا منكم الضر فإليه تجأزون) وقال في جملة النعم بعد اضافتها إليه تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا) وقال (واسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) .

وفي الخبر أن النبي ﷺ قال لرجل (كيف أصبحت ؟) فقال بخير فأعاد علي الثالثة (كيف أنت ؟) قال بخير أحد الله واشكره . فقال (هذا الذي أردت منك) أما ظاهر النعم فهي عوائق الاجساد ووجرد الكفايات من الاموال كما أن ظاهر الاثم أعمال الجوارح من معاني حظوظ النفس . وباطن النعم معافاة القلوب وسلامة العقود كما أن باطن الاثم من المقاصد السيئة كسوء الظن والشك وغيره .

ثم ينظر إلى من هو فوقه . قال ﷺ (من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب الله صابرا شاكرا . ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه ونظر في الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا) . وللشاكرين طريقتان . أولها . شكر الراجين - وهم من دفعتم النعم إلى الزيادة في الطاعة ، وأعلها شكر الخائفين . وهم من كان خوفهم دليلا على اغتباطهم بموهبة الايمان وكان اغتباطهم يدل على عظيم قدر الاسلام في المومنين فعمظت النعمة به عليهم فمعرفةهم بذلك هو شكر منهم . فاذا جهل العبد نعمة لم يقدرها . واذا لم

يقدرها لم يشكر عليها وإذا لم يشكر عليها انقطع مزيده من الله ومن انقطع عنه المزيد فهو في نقصان.

وقد قال تعالى (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) قيل لا يغير نعمة عليهم حتى يغيروها بتضييعهم للشكر . .

وأقسام الشكر : شكر باللسان : وهو اعتراقه بالنعمة بلسانه . وشكر باليدين والالكان وهو اتصاف بالوفاق على الخدمة والعبادة . وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط شهود المعهم وهذا مستوجب لإدامة حفظ النعمة ويقول الشبلي : الشكر رقية المنعم لارؤية النعمة .

واعلم أن الحمد يوضح معنى الشكر ، غير أن الحمد أعم من الشكر لأن الشكر هو الثناء على المنعم بما أعطاك من النعمة ، والحمد هو الثناء على الذات الالهيه لصفاتها الحميدة كائنه ما كانت .

ودرجات الشكر : أقلها ترك الشكوى مع الصبر وفوقها الرضا وهو مقام وراء الشكر .

ومعرفة العبد بتقصيره عن الشكر شكر ، والاعتذار لله عن قلة الشكر شكر ، والمعرفة بعظيم حلم الله وكف ستره شكر ، واللم بأن الشكر أيضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم شكر وشكر أهل الخير على خيرهم شكر ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) وحسن الأدب بين يدى المنعم شكر . وتاق المنعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر . وعندى أن الصبر والشكر مقامات متداخلان . فإن الصبر لله على إقداره ضرب من الشكر ، وأنت العبد إذا لم بصبر لم يشكر . والشكر لا يقوم كيانته الحقيقي إلا بالصبر على مصاحبة نعم الله وأداء حقها كاستعمالها في مواضعها مثلاً وعدم الطغيان لوجودها . والصبر والشكر أيضاً متلازمان لا يستغنى أحدهما عن الآخر كحال الخوف والرجاء فانهما متلازمان ، ويوضح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (الإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر) وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت) .

مقام التوكل

التوكل مقام كريم . وقد أمر الله تعالى التوكل وخمله مقرونا بالايمان لقوله تعالى (وعلى الله فوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقال (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقال في موضع آخر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فخص توكل المتوكلين من توكل المؤمنين ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ولم يرد المتوكلين إلى شيء سواه كما قال لسيد المرسلين وادم المتوكلين (وتوكل على الحي الذي لا يموت) (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم) وشرط التوكل على ما قال أبو تراب حين سئل عن التوكل فقال : التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطداً بينة إلى عطاء الحكاية فن اعطى شكر وان منع صبر موافقة للقدر .

وسئل ذو النون رضى الله عنه عن التوكل فقال التوكل ترك الاعتناء على تدبير النفس والبرى من الحول والقوة .

وسئل رويح بن أحمد عن التوكل فقال الثقة بالوعد لقوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى فيما يريد .

وقال محمد بن سهل : العلم كله باب من التبعيد والتعبد كله باب من الودع والودع كله باب من باب الزهد والزهد كله باب من التوكل ومعنى التوكل هو المعرفة بالوكيل وأنه عزيز حكيم حيث قال (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) .

فالتوكل هو من أقام معطيه وواهبه وكيلا عنه في شئونه فسكران بينهما توافق في الوكالة لأن العطاء والمنع منه وأما المفوض فقد فرض الأمر لصاحب الأمر والسالك يكاشف بالتفويض إذا لمع ذروة التوكل تمهيدا للرضا فيطالع على إف سيده به وملاطفته له والتوكل والتفويض والتسليم كلها منتبهة حتماً بالسالك إلى مقام الرضا وليس وراء مقام الرضا عن الله من مقام أسلا وأسمى .

مقام الرضا

والرضا من أشرف المقامات وهو خاتمتها ومقدمة أحوال الرجال ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه فقال : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال : (ورضوان من الله أكبر) فذكر أن رضا الله عز وجل عن عباده أكبر وأقدم من رضاهم عنه ، والرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ، ومعياره أن يكون قلب العبد ساكناً تحت أحكام الله عز وجل . وسئل الجنيد رضى الله عنه عن الرضا فقال : الرضا رفع الاختيار . وسئل القناد رحمه الله عن الرضا فقال سكون القلب عند مرور القضاء . وسئل ذو النون رضى الله عنه عن الرضا فقال سرور القلب بحدوى القضاء (ما يحويه) . وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد لأنه حينئذ يعلم أن الله اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط . وقيل ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا ؟ فقال إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه فيقول إن أعطيتني قبلت وإن منعتني رديت وإن تركتني عبدت وإن دعوتني أجبت . وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنهما : أما بعد فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً) والرضا ثلاثة أقسام . رضا للعوام بما قسم الله وأعطى ، ورضا الخواص بما قدره وقضاه ، ورضا خواص الخواص به بديلاً عن كل ما سواه . وعن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابن آدم استغفاره الله عز وجل على الذنوب ومن سعادة ابن آدم رضاؤه بما قضى الله ومن شقرة ابن آدم سخطه بما قضى الله .

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدمر ذو دول الرزق مقسوم والخير أجمع فيما اختار خالفنا وفي اختيار سواء اللوم والشوم ويقول الله تعالى (ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر)

فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع الذكر فوق الصلاة حيث قال :
(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) فكما أن مشاهدة
المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية
مطلب سكان الجنان .

قال علقمة : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا سابع سبعة من قومي
فكلمناه فأعجبه كلامنا فقال (ما أنتم ؟) قلنا مؤمنون . قال (فما حقيقة
إيمانكم ؟) قلنا : لشكر عذبة الرخاء والصبر عند البلاء والصدق في مواقع اللقاء والرضا
بمر القضاء وترك الشهامة بالأعداء . فقال صلى الله عليه وسلم (فقهاؤ أدباء كاذبوا
يكونون من فقهم أنبياء فما أشرفها من خصال) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
(إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه وإلّا رضى اصطفاه) وقال
(من عرف سر الفقير هانت عليه المصائب) فيجب على العبد أن ينتهل دائما
إلى الله تعالى في أن يديم على قلبه الرضا به وبقضائه فإن ذلك من كمال الإيمان .

وقال الثوري يوما عند رابعة : اللهم ارض عنا فقالت أما تستحي أن تسأله
الرضا وأنت عنه غير راض ؟ فقال : سألته الرضا ارضني عني . وسئلت رابعة متى
يكون العبد راضيا ؟ فقالت إذا أرضته المصيبة كما ترضيه النعمة لورودهما من الله
جميعا . وقال الهادي : ليس الرضا أن لاتحس بالبلاء وإنما الرضا أن لاتتعرض
على حكم والقضاء . وقال النضر باذئ : من أراد أن يدافع محل الرضا فليلزم ما كان
رضا الله فيه . وقيل الرضا هو ارتفاع الجزع عند حكم وقع . وقال صلى الله عليه
وسلم (من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل)
وقال صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس (اعمل لله باليقين والرضا فإن
لم يكن فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا) . وقال فضيل : إذا استوى العطاء
والمنع عند العبد فذلك هو الرضا .

واعلم أن الرضا أعلا مقامات اليقين وأول أحوال المحبين ومشاهدات
الموقنين وهو ينصب على كل أفعال الله سبحانه من حيث أنها عن قضائه وقدره .
واعلم أن قضاء الله تعالى على العباد قائم لا محالة سواء رضى العبد أو لم يرض

لا يخلص العبد منه بالحيل ولا ينجو منه بالحذر وكما قيل : إنما الحيلة في ترك الحيل . ولـ تم العبادة والعبودية إلا بالرضا ، فإن العبادة فعل ما يرضى الرب . والعبودية الرضا بما يفعل الرب . والنتيجة له في ثلاثة أشياء .

١ - قبول ما يجرى من الأحكام الإلهية .

٢ - والتسليم لأمره .

٣ - وترك الاختيار في قضائه .

وقال الجيلاني صاحب الإنسان الكامل . إن شرط الرضا أن يكون بعد القضاء ، وأما قبله فإنه هزم على الرضا . وقد نص على هذا غير واحد من أئمة الطريق .

وحسبك أن الرضا يدل بنفسه على معناه وأن صاحبه مستوجب لرضا مولاه فنقول أن الرضا من اتخذ مقاماً لسيره إلى الله بعد أن درب عليه بالتوكل والتسليم والتوحيش وهدى ونور . آيئديه إلى أن الحول والقوة والأقوال والأعمال والمطالب والأسباب جميعاً بيد محول الأحوال والقلوب معاً فلا يعتمد على غير ذلك المحول الذي خلق الأشياء بأسبابها وورط الظواهر بعللها حتى انتهى أمرها جميعاً إليه كما بدأت في بادئ ذي بدء منه فلما ذاق ذلك عرف ولما عرف بالرضا اتصف بيوارق أوصاف الحق عز وجل . وما أحسن ما قال في هذا المقام سيدي علي الوفاي الشاذلي :

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحت في كف الحبيب ومن يكن جار الحبيب فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه لا خوف في هذا الجنب ولا نكد

السمع

السمع حرام وحلال وشبهة . فمن سمعه بنفسه مشحونة هوى وشهوة فهو حرام ومن سمعه عن عقيدة بصفة مباحة من جاريه أرزوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه وفعل هذا ببعض السلف من التابعين ومن سمعه بقلب مع مشاهدة معان إلهية ترفع الروح وتبعث على التماسي والرفعة وترشده إلى مسالك الحق فهذا مباح ولا يصح إلا لأهل الله ، ومن كان له نصيب منه ووجد في قلبه ميكا له وعموماً فإن السماع محل أو يحرم أو يكره بحسب نية السامع وغرضه رفعة وانحطاطاً ، والآن قد دخل فيه غير أهله فأحالهوه عن وجهته السامية وعدلوا به عن قصده الشريف . والغناء مادعى إلى الهوى وشوق إلى اللهو فمن سمعه من حيث هذه المعاني وذلك الفصد فالسمع عليه حرام . وسماع أهل الله في قصائدهم بما ذكر بالله ودل عليه وشوق إليه وأماج واجيد الإذن وأتار مشاهدات العلوم وذكر بطريق الآخرة ومقامات الصادقين مطلوب . فمن سمعه من حيث يشهد هذه المعاني فهو من أهله إذ له نصيب منه . وكل ذكر الله به فهو ذكر له

أهل الفتوة وأهل الملازمة

وأهل الفتوة هم أهل الملازمة فريقان من أهل طريق الله . فأهل الفتوة دأبهم الايثار على النفس مع انكار الذات في هذا الايثار . وأهل الملازمة يفعلون الطاعات ولا يروا أنفسهم من المطيعين وإنما دأبهم لوم النفس وتعنيفها ، وشعارهم في ذلك القول المأثور (حسنات الأبرار سيئات المقربين) .

وأول شرائط الفتوة الحب والايثار على النفس لله وللناس ، ثم التجدة والمروءة وبذل المكاييم وحمل المغارم والثبات والصبر لدى المكاره والرضى بالموجود وعدم انتظار المفقود ثم كلمة الحق في المقام الوعر مع الثبات والاحتمال ورعاية

الآثران وضبط النفس ومصاحبة الحلم، ثم اكتساب العلم واستيعاب الرحمة ووعى الحكمة وطلب الحقيقة حيث كانت. ثم توسط سلوك الطائفة وترك الجدل إلا بالحسنى. وجعلوا (الشد) استشعارا بالربط وهو اصطلاح لهم جعلوا دلالته الدخول في الفتوة ويحتفلون بالشد وشراب الماء والملاح لأن في الماء حياة كل شيء حتى والملاح مصلح لكل كائن نام الحق. والشد هو الربط على القلوب ومعناه الحزم والعزم والميثاق والعهد. ومن معاني الفتوة فسها النفس وهو المفضل على الإخوان بالكرم والمروءة والنجدة والتهامة مع استبعاد الواضع وإبقاء المسكريم دون عوض والدفاع عن الضعيف لدى القوم حتى يستقيم الحق معه. وإكرام اليتيم والغارم وابن السبيل. ويقول الله تعالى واصفا لقنيان أمل الكهف (انهم فيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا لا إذن شططا) ومن شرط الفتى مع ربه ألا يفقده حيث أمره ولا يراه حيث نهاه ولا يصبر على معصية وإن حدثت ولا يفر من طاعة وإن أفلتت.

وهو مع الخلق في المعاملة أن يكرن فيهم بلا نفس وأن يكون مع الله بلا خلق. ومعنى الأثرى ألا يعاملهم ومعه نفسه وإنما بروحه وقلبه ومعنى الثاني ألا يرى وجودا للخلق في حضرة الخلق مع احترام الأسباب تعظيما للسبب ورعاية الآداب بغية للتعجب. أما آدابه مع نفسه فاحترامها في المواقف والتسامي بها عن السفاف واستشعار العزة مع بذل الخدمة والعودة إلى الحق عند التذلل من النفس أو العقل مستفيدا من العبرة واجترار الفكرة. ومع الدنيا استعماها ومع لآخرة طلب العفو فيها ومع الحسنى نشدان أعلاها (ونفس وما سواها) فإلهها تجورها وتقواها قد أفاح من زكاتها وقد خاب من دساها) (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي).

ومن نوادر أهل الفتوة أن أحدهم كان له صاحب يقصده في حاجته فيقضيها له لإيثار آلى نفسه فقصده مرة وكان قد كلف بصره وكان الذي قصده لا يعلم ذلك ولما وصل إليه وجده كفيف البصر ولم يبق له من الدنيا سوى خادم يقوده وكان

الحاجد ملك يمينه فلما سلم عليه استجيبا أن يسأله شيئا فقال له تعودت أن تقصدني في مسيس الحاجة ، فما حاجتك الآن قال لا شيء لاني شلت من حالك ماكنت أجهله قال وإن يكن هذا فأليك هذا العبد به ، فأنى أخذه فقال إن لم تأخذه فهو حر لاني لا استرد ما سمحت به نفسي . وهو إنبار أهل الفتوة . والثانية أن أحد أهل الملاحة من الأرياء دخل بلدا فأخذ الناس في تعظيمه فسأل الله أن يصرفهم عنه وكان ذلك في رمضان وهو صائم فآلهم أن يجيره بلحة فناولها فنصرف الناس عنه قائلين أن الشيخ فاطر فشكر الله على أن أحلوا ما بينه وبين ربه . وهو وإن كان أفطر ورأى القارىء أن الكمارة لمزمه قلنا أن مثل هذا يقضى ثلثي عامه صائم تطوعا فإذا احتسب صوم بعض أيامه كفارة لفطر يوم فلا مانع عنده . وأهل الفتوة وأهل الملاحة جميعا من طلاب مقام الرضا ، ومقام الرضا آخر المقامات وأشرفها كما قدمنا ، وبه يتم كتاب الطريقة .

كيفية أخذ العهد

يجلس المرید بين يدي الشيخ على طهارة واضعا يده في يده وبعد الاستغفار يتلو الشيخ قوله تعالى : (إن الذين يبايعوك إنما يبايعون الله) إلى آخر الآية ثم يأمره الشيخ بتقوى الله في السر والعلانية والرضى عن الله في السراء والضراء ولوفاء بالعهد والميثاق وطاعة الله في السر والعلن وترك معاصيه في العمر واليسر مع الصدق والصبر في الرضى والفضب وأن يدعو غيره إلى طريق الله مصرحا بأن هذا ميثاق يسأل عنه المرید بين يدي الله وبجب الوفاء بهذا الميثاق حتى الموت .

كيفية الذكر

للنفس الامارة : الاستغفار . وللوامة : لا إله إلا الله . والمالهمة : الله والراضية : هو . وللرضية : حى . وللكمال : قيوم ثم ، ودود ، ثم حكيم . ووراء ذلك كله يوجد (اسم السر) وهذا لا يعطيه إلا الشيخ وهو سر عنده يدخره لمن يرى فيه شأنا لله يقتضى أن يكون مرشدا أو عارفا متصلا والله اعلم .

تم كتاب الطريقة وبليبه كتاب الحقيقة

فهرس الكتاب الثالث

وهو كتاب الطريقة

صفحة	صفحة
٢٠٢ في تخصيص الهداية	١٦٩ كتاب الطريقة
٢٠٣ عقيدة الصوفية	١٧٠ مقدمة الكتاب للطريقة
٢٠٦ معنى الطريق ومعنى التصوف	١٧١ مذهباً التصوف
٢٠٨ أصول الطريق	١٧٣ رأى الفوم فى التوحيد
٢٠٩ مراتب النفس	١٧٤ العلم بالطريق إلى الله
٢١٠ لمة الملك ولمة الشيطان	١٧٥ فلسفة التصوف
٢١٦ الحال والمقام والفرق بينهما	١٧٩ من أخلاق أهل التصوف
٢١٩ سلوك الطريق	١٨١ حقائق الطريق
٢٢٠ الإرادة	١٨٥ الدعاة إلى الله
٢٢١ إرادة الاستعداد للسلوك	١٨٩ رأى القدم فى حقيقة الطريق
٢٢٦ الرياضة	١٩٧ منهج التصوف
٢٢٨ التجريد	١٩٩ إخفاء الأحوال والمقامات
٢٢٩ التوبة	١٩٩ الواردات
٢٣٣ الجهاد	٢٠٠ أوائل الصوفية
٢٣٤ الورع	٢٠١ محاسبة النفس
٢٣٦ مخالفة النفس	٢٠٢ صفة الصوفية
٢٣٧ الجلادة	٢٠٢ الموافقة لكتاب الله

صفحة	صفحة
٢٤٩ مقام الرضا	٢٣٨ التشبيه
٢٥٠ السماح	٢٣٩ مقام الورع
٢٥٣ أهل القوة وأهل الملامة	٢٤٠ مقام الزهد
٢٥٤ كيفية أخذ العهد	٢٤٤ مقام الصبر
٢٥٥ كيفية الذكر	٢٤٥ مقام الشكر
	٢٤٨ مقام الوكل

کتاب الحقیقہ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاسلام مدخلا للإيمان وجعل الإيمان بمقاماته اليقينية دعامة
لمراتب الاحسان وجعل الاحسان يجمع أحوال أحبابه ومؤمل الصفوة المختارة
من عباده والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أحبابه ورسوله وأتباعه وهو العبد
المصطفى من عباده وبعد فهذا كتاب الحقيقة ومستمد مقام الاحسان والاحسان
لا يصبح إلا بعد الاسلام علما وعملا ثم سلوك مقامات الإيمان مقاما مقاما من
النوبة إلى الصبر والتوكل والرضا وهو المقام الذي مخاطب الله فيه النفس بقوله :
(يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي) وعباده بمعناها الخاص هم : هل الخصوصية والمعية استثناء من سائر مخلوقات
الإنسانية حيث أن الكل عباده ولكنه اختص منهم برضوانه أهل حضرته ومعيته
وهم الذين قال الله تعالى فيهم للشيطان (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) استثناء
واحتصاصهم فقال الشيطان نفسه مخاطبا ربه (الا عبادك منهم المخلصين) أي الذين
أخلصتهم لحضرتك وأهلهم لرضوانك فقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ
ارجعي إلى ربك راضية) فذلك مقام الرضا وأما قوله (مرضية) فذلك بدء رتبة
الاحسان الذي فسرهُ النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عمر مخاطبا جبريل عليه
السلام (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك) أما الأولى
فهي أن تعبد على حال من المشاهدة والمكاشفة وهو حال الشهود . فان لم يمكنك
ذلك فبالثبوت وهي أن تعبد على شريطة الخوف والمراقبة باستشعار اطلاعه على
على سريرتك وعلايتك لأنه يراك . ويؤخذ من هذا أن حال الاحسان رتبة الشهود
أو الثبوت وتجمع الاثنين كما لا يخفى رتبة الاحسان ولدقة هذه الرتبة رأينا من
الواجب علينا أن نتكلم في بيان الاسلام والإيمان والاحسان ببيان أدق من الشرح
الذي قدمناه فيما مر بك من الكتاب فنقول وبالله التوفيق ؟

بيان الإحسان

أن كان الإسلام تسليما وإذعانا لأوامر الله ومتابعة رسوله ، وإن كان الإيمان كفاحا للقرب من الله صادما يباشر القلب والروح فإن الإحسان هو التحقق كمال العبودية . والتحقق بالعبودية باعث على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة أى رؤية الحق موصوفا بصفاته ثم معرفة صفاته بعين القلب ثم بالتشبه بها والا طباع عليها . فالعبد يرى الله يقينا بقلبه ولا يراه بصورة ما فى الدنيا مشبهة بأى وصف من أوصاف خلقه فكل ما خطر فى البال من خيال يراد به للتصوير والتمثيل فالله بخلاف كل ذلك لأن التصوير والتمثيل والادراكات العقلية المنصبة على أمثال هذه الصور من وظيفة العقل ، وأما الشهود الإلهي بما يحصل بعين القلب وهى البصيرة وعلى صفة منزهة تليق بكمال ذات الله وهى فوق كل عقل وكل تدقل وكل تصور أو تخيل ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (تعبد الله كأنك تراه) مع كمال التذميه لأنه يراه من وراء حجب صفاته بعين ذاته هو أى ذات المرقى وليس ذات الرائق :

أعارته طرفا رآها به فكان البصير لها طرفها

ومن المشهور عند أهل الله أنك كما لا تهتدى إلى الله إلا بالله فكذلك لا تشهد الله إلا بنوره ، وسيله إليك أو سبيلك إليه فى هذا الشأن أمر واحد من نوره هو لا من نورك أنت ، وهو نور البصيرة ذلك السر الذى أودعه الله فى قلوب عباده فمنهم من يحجب عنه بصفاته ومنهم من يكشف له ويتجلي الله عليه فلا يرى للعبد الحقيقة إلا بالحقيقة نفسها ، والله هو الرائق كما فى البيت السامى وقد تجلى على عبده بوصفه وهو حال الإحسان ، وذلك لأن الإحسان فى معناه المطلق هو وصف المحسن الأول وهو الله . فبمور من هذا الوصف يرتقى العبد إلى رتبة الإحسان بعد أن رضى عن الله وكان مرضيا عند الله من طريق الإسلام والإيمان ، وأكد ذلك الرسول بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه) لا بعينك أنت وإنما بنوره هو وذلك من حال المشاهدة وهو من مقامات الروح لا من مقامات السلوك لأن السلوك يكون بالروح والجسد . فن قال فى حال الشهود انى رأيت العلم بالله فقد صدق ومن قال انى رأيت

الله شهودا بحسبى أو بادراكى فقد كذب . والاحسان فى رتبته هذه أعلى درجة من الايمان لأن كل محسن مؤمن وليس كل مؤمن بمحسن كما أنه كل مؤمن مسلم بمقتضى الاسلام وليس كل مسلم مؤمن كامل الايمان . وحقيقة الايمان درجة تنشأ من التحقق بالاسلام (وفالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وكذلك حقيقة الاحسان لا تقوم إلا على رواس من التحقق بكامل الايمان .

حقيقة الاحسان

ونفهم مما تقدم أن الاحسان هو شهود الله تعالى شهودا كامل التنزيه عما لا يليق بعظمته تعالى والحضور معه فى كل شئ بحيث لو اشتغل بأخذ الدنيا وانهمك فيها وصرف جميع أوقاته فى تناول لذائذها وشهواتها المباحة وكان -اضرا مع الله تعالى مشاهدا لتجليه تعالى فى كل شئ حتى لو أحب نوعا من ادمآكل والمشارب أو غير ذلك لشهد أن محبته فى الحقيقة منصرفه لذلك المتجلى الحق الذى تجلى له فأنتعم عليه باللذذ والتنعم به ، وبذا يكون رأى المنعم فى النعمة وحكما فالاشياء عنده صور للتجليات الرحمانية على اختلاف أجناس الاشياء وأواعها وهذا هو التحقق بقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) مع كمال التنزيه . فمن رأى فى الاستواء غير الاستواء بالتجلى الالهى كالجلوس وغيره فما عرف حقيقة الاستواء وخرج إلى التشبيه ، ومن رأى أن يرى الله بحاسة من حواسه أو بمحض إدراكه العقلى فهو حالم أو نائم عن شهود الحقيقة . وقد بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) فأثبت لهم النوم بسبب إهمالهم بحجاب الصور والمظاهر . قال الثورى رحمه الله تعالى من أبيات له فى ذلك الحجاب :

لو أنجلت عنهم ظلم وانمحوا عن عالم الصور
لشهدوا معنك منبسطا ساريا فى سائر الفطر
ودروا أن الحجاب هم عن جمال المنظر النضر

ولفضى يعقوب حاجته وانتهى زيد إلى الوطر

وقد ذكر البخارى فى صحيحه قول النبى عليه السلام (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) فأخبر أنه يعلم أنه يعلم ما لا يعلم وذلك لانكشف الحجاب عن صره صلى الله عليه وسلم . وللورائى من الامم حظ مما للأنبياء عليهم السلام فى هذا المقام الذى هو مقام الاحسان كما ورد عن الصديق رضى الله عنه أنه قال : (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله) .

واعلم يا أخى وفقنا الله وإياك أن الشريعة جسد والحقيقة روحها ، كان منك إليه فهو شريعة وما كان منه إليك فهو حقيقة لان الشريعة عمل كسب والحقيقة حال وهى ذىك تعبد ، شريعة (وإياك نستعين) حقيقة فالعبادة منك له والاعانة على الهدى منه إليك . وأهل الشريعة فائزون على الحدود وأما أهل الحقيقة فقد تلوا أن الحقيقة شهود خارج عن طور هذا الوجود فقالوا : نحن فيك نجاهد ولك نشاهد . فالعامل بالشريعة سعيد والمستغرق بتجلى الحقيقة شهيد . فهذا شأن أهل الحقيقة فى خصوصية الشهود ومشاهدة المعبود رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خاف مقام ربه . ثم اعلم أن الشريعة والحقيقة متلازمان لا توجد أحدهما ألا ومعهما الأخرى كلازمة الضال للشاخص والكف للأصابع لأن الحقيقة هى رؤيه الأمور على ما هى عليه فى نفسها وذلك هو غرض الشريعة المطهرة من حيث أنها الاخبار الصادق عن تلك الحقيقة نفسها ولذلك يقول قائل أهل الله : الشريعة أن تعبد والطريقه أن تفهم والحقيقة أن تشهد ؛ فلا يرى خلافا بين الشريعة والحقيقة إلا من لم يحقق النظر . وكما كان أئمة الحقيقة عالمين بالشريعة كان أئمة الشريعة مهدين للعلم بالحقيقة ، ومن رأى أن الحقيقة تخالف الشريعة أو عكسه فإنه يجهل أن الشريعة هى أساس علم الحقيقة فلا يصح طلب الحقيقة من غير معرفة الشريعة ولا يتم للإنسان طلب الحقيقة إلا من باب الشريعة متدرجا فى مقامات اليقين ، واليقين أعلا مناطق الايمان . وقد سئل بعض العارفين عن فقيه ينكر على الصوفيه وعن صوفى ينكر على الفقهاء فقال كل منهما جاهل قد حكم بطرف من الفضليه ونسى طرفها الآخر .

والمعرفة على مرتبتين أحدهما خاصه بأهل الإنكار أى بعالم العقل والثانية خاصه بأهل الكشف . فالأولى غايتها الظن والثانية غايتها اليقين ، والشريعة خاصه بالخبر الصادق وهو متحقق بالكمال عند الكشف ، وكذلك هما وجهان كقولك باطن الأمر وظاهره . يكمل الرجل فى ميدان العلم والمعرفة حتى يرى الحقيقة مؤيدة للشريعة وأن الشريعة دالة على الحقيقة وأن التصوف ليس بأمر زائد على السنة المحمدية وأما هو عينها الباطنة . وكما أن عالم الفقهاء مشيد بالكتاب والسنة واجماع الأئمة فكذلك علم التصوف مشيد بالكتاب والسنة وأفعال الأئمة وأحوال الأنبياء ولكن لما قل استثناء غالب الناس بالعمل على رياضه نفوسهم والتفتيش عما فيها من دسائس الشيطان وتركوا إمعان النظر فى أدلة مذاهب القوم رجحوا طريق الفقهاء على طريق التصوف وصار أحدهم يقول عن كل شئ لم يقدر على العمل به هذا منزع صوفى لم يقل به العلماء ، وكان الأجدر به أن يقول هذا قصور منى ؛ والفرق بينهم علم بعمل وعلم قد يكون بغير عمل ، ثم عمل بورع أو عمل دون ورع ، ورب حامل فقه وليس بفقير ، وحتى اسم الفقه لغة هو لفظ دال على الفهم وليس على القراءة والحفظ ، ومن فقه فقد وعى ومن وعى من المستبعد أن لا يعمل . ورحمة الله على الغزالي حيث يقول (عمل بغير علم لا يكون وعلم بغير عمل جنون) وكان أئمة الفقهاء كآبى حنيفة رضى الله عنه ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل والثورى والأوزاعى والعزبن عبد السلام وغيرهم كانوا من أئمة الصوفية ومن لم يكن منهم صوفيا كان يختلط بالصوفية ليضيف مما عندهم من علم الباطن إلى ما عنده من علم الظاهر فيكمل . وكانوا يسمون الصوفية أهل القلوب ويقولون أهل الأذواق فى مقابل أهل الأوراق وكان الأدبى بأهل الفصور أن يقولوا : هذا منزع صوفى لا يقدر على العمل به أديبا مع أولياء الله تعالى كما درج عليه العلماء كالامام الغزالي والامام النووي رضى الله عنهما وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول فى قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أن المراد بالعلماء ، هنا العارفون وأما علماء الأحكام فقط فإن الكثير منهم لا يخشى الله إلا من رحم ربه .

ولو أن الناس غير العارفين أمعنوا النظر فى أحوال الصوفية لوجدوها

مؤسسه على الكتاب والسنة إذ لا سبيل إلى التصوف الحق إلا بهذا ، ومذهبهم مبني على الفقه وزيادة ، وهو كمذهب المجتهدين على حد سواء فإن الشريعة أشهد لكل من المذهبين بالصلة المتينة وما أمته تميز بين الطائفتين أو الطائفتين إلا بالمقاصد فقط ، وذلك لأن الفقيه على أحسن تقدير يطلب بهلله الثواب من الله تعالى من دخول الجنة والتمتع بما فيها من مأكل ومشرب وحور وقصور وغير ذلك ، والصوفي يطلب بهلله وجه الله دون رؤية أنه مستحق على عمله مكافأة من حيث أنه يعمل محتسبا مخلصا لله (يدعون ربهم بالغداة والشئ يريدون وجهه) .

ولاجمالا فإن من ظن أن الحقيقة تخالف الشريعة أو أن الشريعة تخالف الحقيقة فقد جهل لأنه ليس عند المحققين من الفريقتين شريعة تخالف حقيقة أهدا حتى قالوا : شريعة بلا حقيقة باضلة . وعلى هذا القول سائر المحققين والأئمة من الفقهاء والعارفين وكذلك الصحابة والتابعين .

وكان الامام عبد الله بن مسعود يقول لا يباع عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من النفي وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء . وفسر هذه الجملة أصحابه فقالوا حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من النفي في الحرام والتواضع في طاعة الله أحب إليه من التعظيم في معصية الله وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء لا يميل إلى من يحمده أكثر من يذمه .

وهذا حال أهل التصوف وأصحاب درجات الايمان والاحسان وسائر المتفقهين المحققين في أصول الشريعة والعارفين من رواد الحقيقة . وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيأتي على الناس زمان يقال فيه للرجل ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقل ذرة من ايمان .

وكان الامام أبو سعيد الحسن البصري يقول : الاسلام أر تسلم قلبك لله ويسلم منك كل مسلم .

دعائم الاسلام والايمان والاحسان

أما دعائم الإسلام فهي :

اثنتي عشرة خصلة وأول ذلك الشهادتان وهى الفطرة ، والصلوات الخمس وهى الملة ، والزكاة وهى الطهارة ، والصيام وهى الجنة ، والحج وهو السكال ، والجهاد وهو النصر ، والأمر بالمعروف وهو الحجة والنهى عن المنكر وهو الوقاية . والجماعة وهى الألفة . والاستقامة وهى العصمة . وأكل الحلال وهو الورع . والحب والبغض فى الله وهو الوثيقة . وحسن التعامل مع الناس وهو الخلق وكسب الأذى وبذل الندى والسلام على من تعرف ومن لا تعرف . فأما الخصال العشر التى جاءت الأخبار بها وأنها واجبة على المسلم المسلم فهى ، أن يسلم عليه إذا لقيه ويحجبه إذا دعاه ويشتهه إذا عطس ويعوده إذا مرض وبشهادته جنازته إذا مات ويبر قسمه إذا أقسم وينصح له إذا استنصحه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه . وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أربع من حق المسلم على المسلم أن يعين محسنهم وأن يستغفر لمذنبهم . وأن يدعو مدبرهم وأن يحب تائبهم) . وعن أهل البيت عليهم السلام : لا يقبل الله تعالى قولا إلا بالعمل ولا قولا وعملا إلا بنية ولا نية إلا بإيمان . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترضه الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله عز وجل . فيذنبى أن يكرن للعبد فى كل شئ نية حتى فى مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه إن ذلك كله من أعماله التى يسأل عنها ذلك كله من سر ذرائع الإيمان .. وفى حديث عبد الله بن عمر : من تسكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها . ومن تسكن الآخرة جعل الله غناؤه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهى ما يكون فيها .

وأشدد أحد بن يحيى :

فى كل بلوى تصيب المرء عاقبة إلا البلاء الذى يدنى من النار

ومن أخلاق أهل الإسلام والإيمان عموماً أن يكون محباً للخير وأهله .
مجانباً للشر وأهله . مسارعاً إلى ما ندب إليه من أوامر الإسلام أو من
أركان الإيمان إذا قدر عليه ويحزن على ما يفوته من ذلك إذا عجز عنه . مصلياً
للخمس في جماعة إذا أمن الفتنة مجانباً للغيبة والكلام في الناس بالسوء والنحس
عن عوراتهم وأن يحب لكافة الناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه
مسارعاً إلى الخيرات . مسابقاً إلى أعمال البر والمكرمات ، طويل الصمت لين
الجانب ، ذليلاً للمؤمنين عزيزاً على المنكبرين لا يمارى بالباطل ولا يداهن
في الدين ولا يسكت على شيء من الحق وإن كان على نفسه ، ولا يؤيد شيئاً من
الباطل وإن كان له ، وأن يكون كارهها المدح ممن يحبه قابلاً للنصح ولو ممن يفضيه
وأن تكون سربرته أفضل من علانيته ، وأن يكون محتسباً لأذى الخلق صابراً
على بلائهم متفرداً بحاله عنهم تاركاً لكثير من باطلهم خشية دخول الشبهات عليه
منهم وخوفاً من تغير قلبه لهم . ومن اجتمعت فيه هذه الخصال اجتمعت له ذرائع
الإيمان والإسلام .

مدارج الاحسان

يقول الله تعالى :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) ومعناها الذين
جاهدوا في الله أنفسهم ودنياهم وأهلهم عن أن يضلوهم عن سبيل الله يهديهم الله
سائر سبله الموصلة إليه من الشريعة والطريقة والحقيقة ، وفي قوله : (وإن الله
لمع المحسنين) أثبت لهم المعية ، وهذه المعية طبعاً بالروح ومنزهة عن كل
شوب من الزمانية والمكانية .

وقد علمنا من هذا أن رتبة الاحسان هي رتبة المعية مع الله ، وهي أعلا
الرتب الوارد فيها جميع ما جاء في القرآن من عبادي إلى أحبائي إلى أوليائي الخ
ولا أولئك القوم المحسنين أحوال مع الله كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد
أن مزجوا أقواله بأنفسهم وأعماله بأعمالهم وقطعوا من مقامات اليقين ما قطع

عليه الصلاة والسلام ، متابعة له متقربين إليه تعالى ذاكرين له (وما حديث حراء
ببعيد) فالقوم درجوا على ما درج عليه صلى الله عليه وسلم تربية من الله ورعايه
وعنايه ، ولذلك كانوا على قدم هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فأنعم الله عليهم
بأحوال سنية أولها الحب وآخرها المشاهدة ؛ وسنذكركم في هذه الأحوال بعد بيان
قوائد المعرفة الالهية .

وسائل المعرفة

اعلم عليك الله أن الصوفية في أبحاثهم لا يعتمدون كثيراً على المشاهد الظاهرية
المحيطة بهم وإن سلموا بوجودها وإنما جل اعتمادهم على المشاعر الباطنية كما قدمنا
ولذا جعلوا طريق الادراك الحقيقي من القلب كما جعله الله وعنه ينبع الادراك
العقلي وينفرع عنه الادراك الحسى فالقلب هو الذى يفيض بالمعرفة الحقة وما تحمله
الحواس من مشاعر يكون دائماً مشوباً بالعاط والخداع .

وأما العقل فقد يكون حججاً إذا جنح عن الصواب مرغماً أو متعمداً وقد
يهدى إلى ألوان من نور الحقيقة ، ولكنه نور محدود . والتماس أهل هذه المعرفة
للنور الالهى على ثلاث درجات : فناء المعرفة في المعروف وهو الفناء علماً ، وفناء
العيان في المعاني وهو الفناء جسداً وهو مستحيل لفقد اللملة التى تربط بينهما في
الشبه والملائمة ، وفناء الكائن المحدث بمعناه الروحى في الوجود الحق وهو الفناء
المقصود لأهل التصوف . فالأول وهو غيبة العارف في معرفته عن شعوره بمحدوديته
في محيط معرفته ومعانيها فيبقى عن وصفه هنا بوصف معروفه وهو علم اليقين
لأنه إذا استغرق في شهود المعروف ففى عن حدود نفسه وعلمها . ولما كانت
المعرفة فوق العلم وأخص منه كان فناء المعرفة في المعروف مستلزماً لفناء العلم في
المعرفة فيبقى العلم أولاً ثم تنهى المعرفة في المعروف وهو اليقين العرفانى عن طريق
العلم . والثانى وهو فناء المعاني في المعاني وهو المنعوت بفناء العيان وهو رتبة
حين اليقين واليقين العينى يقضى بأن المعاني محدودة المكان والمعاني قديم
مطلق وجوده وجود وجوبى . وشرط الشهود بعين اليقين فناء المحدث في اليقين

وانطواء المحدود في المطلق ودخول الممكن تحت حكم الوجود الوجودي وهو الله فلا رابطة توجب التساوي أو الالتصاق بين المعايين والمعاين أو الشاهد والمشهود لانتهاء الدالة الرابطة في الوصف بينهما إلا إذا قورن الفناء بالبقاء واجتمع الحدوث والعدم وهو مستحيل . وهذا نفسه هو السبب المانع من حلول الخالق في المخلوق . واتحاد الخلق بالخالق الأعلى وصف محمول على الجزل لأعلى الحقيقة وكل صلة تتم بينهما فهي دائما صلة روحية معنوية بعيدة عن الحلول والاحياز والمخلطة والمفارقة وهو فناء المفقود في الوجود وهو درجة حق اليقين في الشهود فيبقى من لائمة له من بقاء . ويدق من يستحيل عليه الفناء (لم الملك اليوم لله الواحد القهار) فكان بقيته الشهودي أولا علما مشاعا ثم قوى فصار معرفه عيذه ثم قوى فصار عيانا مشرقا ثم تمكن فصار شهودا وجوديا مطلقا وهو رتبة حق اليقين . وبذا نفهم ان يقين العارفين من المؤمنين على ثلاث درجات علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وجعله القول أن اهل التصوف يترقون من محيط الحس الى سماء العقل ومن سماء العقل الى العلم اليقيني ولن يكون الا بالقلب ثم بالمعرفة اليقينية ولا يهدي اليها سوى البصيرة ثم الشهود الروحي وهو فناء الحدوث في مواجهه القدم وتلاثر الفناء في مجابهه البقاء .

وتد اختلف سواد الناس قديما وحديثا في كفايات المعرفة وهل تأتي المعرفة عن طريق الحواس الخمس وحسب أم عن طريق الحواس مضافا إليها العقل أم لها سبل وطرق باطنية الهامية أخرى ؟ فلما دبون من علماء وفلاسفة لابرون للمعرفة بابا إلا الحواس الخمس المنصلة بالعالم الخارجي ويقررون أن لا مصدر فوق هذا تصدر عنه المعرفة وهم شديدا التهمك برجال الكشف ومن سلك مسلكهم . ورجال العقل بحملة منطقهم وهو منهج أصحاب المذاهب العقلية والمثالية لا يؤمنون بالحس ولا بأحكام الحواس ويرجعون كل المعرفة للمنهج العقلي . وأما الصوفية والروحانيون على اختلاف أديانهم وألوانهم ومذاهبهم فيقررون أن للعلم وسائل باطنية تصدر عن عالم ما فوق الحس والعقل ، فتصل بين النفس الانسانية والعالم الروحاني ، وتلك الهلة يلبسها كل من صفت نفسه من ادران المادة وتخلصت من حدود السور المنطقي للعقل ذلك النطاق المحدود الذي قيد العقل به نفسه وآمن به

إيماننا مؤلها فوق كل إيمان آخر. واما اولوا الوجدانات المتسامية والقطر الساميه
والبصائر الوقاده فيحصلون من هذا الطريق على أسرار لوجود وخفايا الكائنات
وأحكام تعلق على الحواس الخمس والمعارف المحدوده التي تدركها العقول الحبيسه
في حلقاتها المفرغه .

على أن العلم الحديث بعد ما تطور وجرى شوطا بعيدا في الرياضيات العلمية
والأبحاث الذرية ومقاييس السرعة والبعد الرابع ونسبة أينشتاين قد بدت له باحات
من الغيوب كان لا يتوقعها في محيطه الحسي الضيق فصار معهما رغما حتى أشرفت به
على حقائق تقضى بأن يعطل الكون بجمع ما فيه من مادة وقوانين وعلائق وعلوم
تعليل رياضي بما كأنه يعطل عالما غيبيا لا يشاهد إلا من خلال المعادلات والأرقام .
ومن حسنات العلم ايضاً أن أصبح يعترف في صراحة بأن للمعرفة وسائل أخرى
غير الحواس الخمس ولا ادراك العقل وأن هناك الهامات روحية غامضة لا سبيل
إلى معرفة أسرارها أو إنكارها .

فمسائل العقل الباطني والتنويم المغناطيس مثلا وما عجز الماديين عن أنكاره
أو تشكيك النفوس فيه ما هو إلا ضرب من ضروب العلوم الغيبية التي لا يتناول
الحس ولا العقل لذوق أسرارها والحكم عليها حكما فاطما بالنفي أو بالاثبات
وقد دل العلم الحديث على أن المنوم تنويميا مغناطيسيا بعد أن تتعطل حواسه يتقهص
شخصية أرق من شخصيته وتلبسه روح عاقلة واسعة الادراك وسامية المعارف
تحدث عن أدق المسائل وأغصن الأسرار . ومن مشاهدات العقل الباطني ما
يصح الاستشهاد به في كثير من المسائل المعضلة المحيرة كالحسابين على البديهية
وكالملممين والمحترمين وهم طائفة تاتي عليهم أغصن المسائل الرياضية وأدقها تلك التي
تحتاج الى زمن كبير في التفكير والعمل فيجيبونك عنها فورا وهم لا يدرون
ولا يعرفون كيف ولا متى جاءتهم الاجابه ؟ وهناك العباقرة الاطفال يرسمون
أعظم الصور ويرقصون على الآلات الموسيقية الدقيقة التي تحتاج لعلم جم
وتجربة طويلة ويعزفون عليها قطعاً ملحنه واهلهم يعجز عنها أنهم الذين
الموسيقيون وهم لا يعرفون كيف صنع هذا الحن أو رتب ذلك النغم وقد كتب

الشاعر (دموسيه) عن نفسه فقل (أنا لا أعمل ولكني أسمع فأفعل فكأن إنسانا
بجهولا ياجبن في اذني) وكان لا مارتن ويقول (لست أنا الذي يفكر ولكن هي
أفكاري التي تفكر لي) وروى الشاعر (ريشه) أنه قد بنام غالبا وهو يصنع قطعة
من الشعر لم تنم فيستيقظ فيجد لها نامة في اليوم التالي عندما يفكر فيها. وكذلك كثير
من المؤلفين كانوا يؤلفون في نومهم وسكتون بها حلوا به فور يقظتهم أما سقراط
فقد كان يسمع بأذنه ما تنبيه إليه الروح وهو شيطان سقراط مشهور عند اليونانيين
وغيرهم من الفلاسفة. فكيف مع ذلك كله ينكر بعض الناس على بعضهم
الآخر حصول العلم بالإلهام لاستعداد فيهم أو لرياضات نفسية أخذوا أنفسهم بها
فأنتجت من الاشراقات اروحية ما لم يحلم به الآخر؟ حالة أن الإلهام الإلهي
كم عام مشترك بين الحيوان والإنسان، إلا احتج أهل الحس باشتراكهم في الحواس
وادعى أهل العقل أن العز كم مشترك بين العملاء فإن الإلهام أشمل منهما واعم
وعلى هذا القياس نفسه تكون كفة الإلهام والبصيرة أرجح شمولاً عند سائر
الاحياء.

لذلك يرى الصوفية أن غايتهم الوصول إلى الله تعالى من غير طريق لمحيوسات
الشاغلة أو طريق العقل لأصحابه بوسائل التعايل والشكيب والمعادلة والمفاصلة
والطن والتجيين بل بوسائل أسلا من ذلك مشهدا وأوسع مدى وهو طريق
الإلهام القلبي بالبصيرة وهو أصل العقائين الظاهر والباطن وأصل الإدراك الحسي
أيضا. وعلى هذا الأساس حاولوا الإتصال بالله. وللوصول إلى هذه الغاية عندهم
طرق ومقامات جمه وأحوال سنية ورياضات نفسية مستمدة مادها من الكتاب
والسنة وأفوال الاولياء وهي منسقة متوحد من حيث الجوهر ولو اختلفت
وجهات النظر باحتلاف المنهج في السلوك أو الوسائل في تربية النفس. وقد قدمنا
أن في السلوك مذهبين مذهب البرهان ومذهب الاشراق والنتيجة واحدة والغاية
متوحد ولذا يقول قائلهم

ومذاهب الناس على خلاف ومذهب القوم على ائتلاف

فالمريد يترقى من مقام إلى مقام وينتهي إلى التوحيد والمعرفة ودعامة هذا الرقي

الاخلاص في الطلب ويتقدم ذلك الإيمان والتبصر . ولا غنى للبريد عن محاسبة نفسه خشية النصور أو المبالغه ولا غنى له أيضا عن شيخ مرشد مجرب راد الطريق سلوكا ثم عاد بعد الوصول يرشد غيره اليه كما يقول فاتلهم

خبر الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد

ومقصد القوم المعرفة الالهية ، والمعرفة في عمومها غير العلم أما هنا فلامر مغاير وليس منافضا لالم المعروف والمعرفة المعهودة لآها معرفة الله رأسا عن طريق الوحي والالهام وتتوقف على إرادة الله فلا وصول إلى الله إلا به وأدواتها المتخذة كوسائل للإنسان ثلاث وهى كوسيلة لمعرفة الله (وابتهوا إلى الله أوسيلة) وهى العقل ، والقلب والسر ، وتجمعها الذات أو النفس أو الروح أو ما شئت من أسماء ؛ فالعقل للتمييز والاعتبار والقلب للتشعير والإدراك والسر لرؤيه السر حيث لا يشهد سر الله سوى سر اودع في قلب العبد من الله واخيرا الحواس للنظر في خالق السموات والارض وذلك مصداقا للحديث القدسي (ما وسعني ارضى ولا سمانى ووسعني قلب عبدي) الخ والقلب المذكور ليس هو القلب الفسريحي المعلوم الصنوبري الشكل بلحمه ودمه وإنما هو قلب معنوي يساكن الهيكل الجسماني من نخه لقلبه وعصبه وحواسه وهو سر اودعه مودع الحياة في الإنسان ليتعرف به اليه ويخضع لجلاله ويسجد لعظمته ثم يفتي في بقائه ليدوم بدوامه . وعماد ذلك كله الحب وبعد حب الله حب الإنسانية كلها وحتى يدخل في هذا الحب ما تفل الارض وما تظل السماء من حيوان ونبات وجماد إذ الكل يشهد بوجود الخالق ويسبحه تسبيحا لا تفقهه المخلوقات وتسجد لبارئها بقللها وحفائنها ثم تقوم دليلا بوجودها الامكاني على وجوده الدائم السرمدى

الأحوال

قلنا أن الطريق تتركب مفازته من مقامات وأحوال وتكلمنا في الكتاب الثالث عن المقامات وقلنا أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب وهنا نشرع بعون من الله وتجلي نوراني وهداية في بيان أحوال أهل القرب .

والأحوال هى المواهب المفاضه على العبد من ربه إما واردة عليه ميزانا

للعمل الصالح المزمكى للنفس المصطفى للقلب ولما نازلة من الحق امتانانا محضنا لتسكون
وسيلة بين العبد وربه بغيره الشهود والقرب . وإنما سميت أحوالا لتحول العبد بها
من الرسوم الطبيعية بارتفاع درجات الأحوال الإلهية إلى سماء الحقيقة وساحة
القرب وذلك هو معنى الترقى .

مراقبه الأحوال وحة تنها وصفه أهلها . والمراقبه ميزان الأحوال ومقدمة
الخوف والرجاء الذين هما أول الأحوال . والمراقبه حال جليل قال الله تعالى
(ما يلاحظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال عز وجل : (يعلم
سرهم ونجواهم ويعلم ما تسرون وما تعانون) . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهى رتبة الاحسان
المتقدمة . والمراقبه لعبد علم وتيقن أن الله تعالى مطالع على ما فى قلبه وضميره وعالم
بذلك فهو يراقب خواطره المذمومة المشغلة للقلب عن الله . قال أبو سليمان الداراني
رضي الله عنه : كيف يخفى عليه ما فى القلوب ولا يكون فى القلوب إلا ما يلقى فيها
فهو يخفى عليه ما هو منه ؟ . وفى كتاب منازل الساترين يقول مؤلفه : أن الأحوال
من نتائج المقامات والمقامات من نتائج الأعمال فكل من كان أصلح عملا كان أعلى
مقاما وكل من كان أعلى مقاماً كان أعظم حالاً ، وهى لواضع ولوائح فى أولها ومقامات
فى أوسطها وأحوال سنية ثابتة فى منتهاها ، فالذى كان بارقا هو بعينه المقام . وهذه
الاسماء وضعت باعتبار تعلق الأحوال بالقلب والمقامات بالسعى . قال النبي ﷺ
(أنا أعلمكم بالله وأشدكم خشية) . وحكى عن ابن عطاء الله أنه قال : خيركم من
يراقب الحق بالحق فى فناء ما دون الحق . والسالك الحق من تابع المصطفى ﷺ
فى أفعاله وآدابه وأخلاقه وهذه نفسها هى الأعمال والمقامات والأحوال أو بوادرها
الدافعة إليها وقال الجنيد رحمه الله حينما سئل عن الحال : الحال نازلة تنزل بالقلوب
فلا تدوم . وقد عبر عن الحال قبل المقام وإنما الحال بعد المقام ثابت وأن بدا
حينما وغاب حينما . والأحوال هى الخوف والرجاء والمحبة والشوق ، والانس ،
والقبض ، والبسط والقرب ، والفناء ، والبقاء ، وهى عشرة ، منها سبعة فى مقابل
المقامات لأنها كلها تطالب القرب ، ومنها ثلاثة فى حضرة القرب نفسه وبعد الوصول
وهى : القرب والفناء والبقاء .

حالى الخوف والرجاء

يرى بعضهم أن الخوف والرجاء مقامان وهما فى الحقيقة حالان لأن المقام فيه ملابسة وبجاهدة للأشياء بالجسم والنفس وهذا شأن المقامات كالصبر والشكر مثلا وأما الخوف والرجاء حالان قليبان ولا يثنان إلا بعد بحدة النفس بسلك مقامات اليقين كالنوة والورع والصبر والشكر الخ وقد تقدم قول العارفين (بأن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب) ولا نذى أن هناك أحوالا خائفة تسبق المقامات هى مجرد لوازم وبوارق وهوائف وهذا لا يبنى أن هناك أحوالا ثابتة تعقب المقامات كالخوف والرجاء والحب والآنس وهكذا .

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) وفى الحديث القدسي يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء) .

مت بداء الهوى وإلا فطائر واطرق الحى والعيون نواظر
لا تخف وحشة الطريق إذا جئت وكنت فى خفارة الحب سائر
واصبر النفس ساعة عن سواهم فإذا لم تجب لصبر فصابر
وصم اليوم واجعل النظر يوما فيه تاقى الجبيب بالبشر شاكر
وافطم النفس عن سواه فكل الـ عيش بعد النظام نحوك حائر
وتأمل سريرة القلب واستح من الله يوم تبلى السرائر
واجعل الهم واحدا يكفيك الله هـ هو ما شتى فزك قادر
يا أبا اللب إنما السير عزم ثم صبر مؤيد بالبصائر
يا لها من ثلاثة من ينلها يرق يوم المزيد فوق الأكابر
فاجتهد فى الذى ينيلك الـ بشرى وكن هناك والقلب حاضر

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وسأله قائلا من يلى حساب الخلق يوم القيامة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (الله تبارك وتعالى) قال هو بنفسه ؟ قال : (نعم) فتنبسم الأعرابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم (مم ضحككت يا أعرابي ؟)

فقال : أن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح .

وقال شاه الكرمانى : علامه الرجاء حسن الطاعة . وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال . وفى كتاب إيقاظ الهمم يذكر صاحبه أن الناس فى الخوف والرجاء على ثلاثة أقسام .

١ - أهل البداية وينبغى لهم تغليب جانب الخوف على الرجاء .

٢ - وأهل الوسط وينبغى لهم أن يمتدل خوفهم ورجاؤهم .

٣ - وأهل النهايات يغلبون جانب الرجاء على الخوف .

أما أهل البداية فلأنهم إذا غلبوا جانب الخوف جدوا فى العمل وانكفوا عن الزلل فبذلك تشرف نهايتهم (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) . وأما أهل الوسط فلأنهم قد انتقلت عبادتهم إلى تصفية بواطنهم ولذلك فإن عبادتهم قلبية أكثر منها ظاهرية ، فلو غلبوا جانب الخوف لرجعوا إلى عبادة الجوارح ، والمطلوب منهم عبادة البواطن على رجاء الوصول وخوف القطيعة فيعتدل خوفهم ورجاؤهم . وأما الواصلون فلا يرون لأنفسهم فعلا ولا تركا فهم ينظرون إلى تصرف الحق وما يجرى به سابق القدر فيتلقونه بالقبول والرضا فإن كان طاعة شكروا وشهدوا منة الله ، ولأن كان معصية اعتذروا ونادبوا مع الله ولم ينظروا مع أنفسهم إلى حله وعفوه وإحسانه وبره أكثر من نظرهم إلى بطشه وقهره . ويرحم الله الشافعى حيث يقول .

فلما قسى قلبى وضائق مذاهى جمعت الرجاء منى لعفوك سلما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما

فما زلت ذا جود وفصل ورحمة تجود وتعفو منة وتسكرا

وقال الشاعر المصرى ومله قلبه الرجاء فى الله وكأنا ارتقت روحه بالاشراف

على هذا المقام العظيم .

أيارب أين ترى تقام جهنم للظالمين غدا وللأشرار

لم يبق عفوك فى السموات العلا والأرض شبرا خاليا للنار

يا رب أهلى لفضلك واكفى شطاط العقول وفتنة الأفسكار

ومر الوجد يشف عنك لكي أرى غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الاسرار حسبي محنة علمي بأنك عالم الاسرار
اخلق برحمتك التي تسع الورى ألا تضيق بأعظم .. الاوزار
ويقول أبو العباس المرسى رضى الله عنه :

العامه إذا خوفوا خافوا وإذا رجوا رجوا . والخاصه إذا خوفوا رجوا ومتى
رجوا خافوا .

ومن علامة الرجاء فى العبد كون الخوف باطناً فى رجائه لانه لما تحقق برجاء
شئ خاف فوته اعظم المرجو فى قلبه وايضاً لشدة اغتباطه به فهو لا ينفك فى حال
رجائه عن خوف فوت الرجاء . وهكذا حال الراجين مع الله ، والرجاء هو ترويضات
الخائفين ولذلك سمى العرب الرجاء خوفاً لأنهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ،
وعلى هذه اللفه جاء قول الله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) فأما الرجاء الذى هو
هم الناس من الإقالة من المعاصى مع الانهماك فى الخطايا وهو يرجو المغفرة وينتظر
الكرامة فليس هذا برجاء عند العلماء ، لأن الرجاء حال من اليقين ، وليس هذا وصف
الموقنين ؛ وسماه الله تعالى خلفاً والخائف : الردىء من الناس وتوعدهم بشدة البأس
فى قوله عز وجل (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الأدنى ويقولون سيعفو لنا) . والرجاء لا شك أنه حسن ظن العبد بالله . فأما
المؤمن فقد أحسن للظن وأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساء بالله الظن وأساء
للعمل ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال الحسن إنما عمل الناس على قدر
ظنونهم بربهم .

حال الخوف

الخوف في البدايات خوف الموت قبل التوبة وأصله خوف العقوبة مع تصديق الوعيد وذكر الجنابة ومراقبة العاقبة . ودرجته في الأحوال خوف المصير بالمصداق والأعراض وزوال لذة الحضور والمراقبة ، وفي الأخلاق خوف النقص وفقدان الكمال .

وفي فضيلة الخوف قال صاحب أحياء العلوم . اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار ، فأما الاعتبار فبذيله أن فضيلة الشيء تقاس بقدر نفعه ، والخوف يفضي إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه . وقد ظهر أن لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر والذكر ، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب ، ولا ينقطع ذلك إلا بالافتصاد في لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات إلا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف من الله . فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات . وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى .

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار ونهايك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائمين الهدى والرحمة والعلم والرضوان . في قوله تعالى : (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال الشبلي ما خفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة يفضي إلى الرجاء والرحمة .

ويذكر صاحب قوت القلوب في هذا الباب أن الله تعالى يقول : (وما يعقلها إلا العالمون) فرفع العلم على العقل وجعله مقاما فيه وقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فجعل الخشية مقاما في العلم وهو حقيق بها . والخشية حال من مقام الخوف ، والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع بسائر صنوف العبادة .

حال المحبة

المحبة شوق يسمى بالهمة ، ووجد ما حق للسوى ، ثم مطارعة للحق وبقين واستقامة وتمسكين يدعوان إلى القرب والتألف لرفع الكلمة لا التكليف .

ويقول الغزالي في هذا الحال أن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والأحوال ، والمكانة العليا من الدرجات . فابعد إدراك المحبة من حال إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والإنس وغيره . ولا قبل المحبة حال إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالمقامات ومنها التوبة والصبر والزهد وغير ذلك .

وأما حقيقة المحبة فلا يعرفها سوى المحبوب أو المحب أى من دخل في هذا الحال الغزوى الرفيع فعلا .

ويذكر صاحب منازل السائرين أن الله تعالى قال (فسوف يأت الله بقوم يحبه ويحبونه) والمحبة عكوف القلب بالهمة على القرب ونتيجتها الانس بالله . والمحبة على ثلاث درجات :

١ - محبة تقطع الوسواس وتحب الخدمة وتسلى عن المصائب وهى تنبع من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة وتنمو بالاستجابة للشرع .

٢ - محبة تبعث على إظهار الحق على غيره وتجعل اللسان يلهج بذكره وتفاق القلب لشهوده ، وهى تظهر من مطالعة الصفات والنظر فى الآيات والارتياذ بالمقامات

٣ - محبة خاطفة تقطع العبارة وتدفع الإشارة ولا تفتنى بالزمن وهذه المحبة هى قطب هذا الشأن .

ويقول صاحب الأصول : أن المحبة فى البدايات هى التلذذ بالعبادة والتسلى عن الشهوات . وفى الوسط جمعية الباطن على السلو عما سوى المحبوب والاختبات إلى جنبه مع الاعراض عن غيره .

وفى العزيمة تجر يد الحب المرموق عن الموانع وتصميم العزم عليه مع هجر القواطع وفى القرب إحياء نور القلب بالنظر فى الآيات ودوام مطالعة حسن الصفات

شواهد الحب لله من الشرع :

يقول الله تعالى (يحبهم ويحبونه) ويقول : (والذين آمنوا أشد حبا لله) وهو دليل على إثبات وجود الحب لله وإن حصل التفاوت فيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا لمن يحب) وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب شرط الإيمان في كثير من أقواله ، إذ قال له أبو رزين العقيلي يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال (أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما) وقال (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين) وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحبة فقال (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله إياي) وقال صلى الله عليه وسلم في معرض دعائه (اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد) وقال رجل يسأله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله متى الساعة . قال ما أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله . فقال رسول الله (المرء مع من أحب) وقال أنس : ما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك .

ونحن نقول أن المحبة حال شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبته للعبد . قال الحق بوصف بأنه يحب للعبد والعبد بوصف بأنه يحب للحق على أن يكون العبد ذا استعداد لتذوق هذا الحال فإن لم يكن ذا استعداد فلا

ومن يلك ذا فم مرید يحد مرا به الماء الزلال

يقول الحسن البصري : من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها .

وقال سهل التستري . الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة . وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل (أي تبديل صفات المحب بصفات المحبوب لأحداث الآلة) من صفات المحب . وقال الشبلي سميت محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وسئل بن عطاء عن المحبة فقال أغصان تفرس في القلب فتثمر على قدر الحال حبا أو أنسا أو شوقا .

وكتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي : سكرت من كثرة ما شربت من كأس

محبه فكتب إليه أبو يزيد . غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى
بعد وأنشدوا .

شربت الحب كأسا بعد كأس فأنفد الشراب وما روي
وقالت رابعة العدوية في مناجاتها : إلهي أتحرق بالنار قلبا يحبك ؟! فهتف بها
هاتف : ما كنا نفعل هكذا فلا تظني بنا ظن السوء . وقالت رابعة بينا كان الثوري
يجلس بين يديها ويقول علمينا بما أفادك الله من ترائف الحكمة . قالت : نعم الرجل
أنت . لولا أنك تحب الدنيا . وقد كان رحمه الله زاهدا في الدنيا عالما إلا أنها كانت
تجعل إشار كتب الحديث والتهاون في الإقبال على الله من أبواب الدنيا . وقال لها
الثوري يوما : لكل عبد شريطة ولكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ .
فقالت : ما عبدت الله خوفا من الله فأكون كالامة السوء إن خافت عملت .
ولا حبا للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت ولكني عبدته حبا له وشوقا
إليه . وقال لها حماد بن زيد اذكرى لي حوائجك حتى أقضيها ، فقالت له : أنى لأستحي
أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسأله من لا يملكها ؟ وأنشدت في معنى الحب
هذه الأبيات :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وقال سمنون : إن المحبة صفاء الود مع دوام الذكر لأن من أحب شيئا أكثر
من ذكره .

علامات المحبة

من علامات محبة العبد لمولاه تقديم أمور الآخرة وكل ما يقرب من الحبيب
على أمور الدنيا ، ثم إيثار محبته على الهوى واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما
أمر به ونهى ، والخضوع لأوليائه من العلماء به العاملين له ثم التعزز على أبناء الدنيا
المؤثرين لها كما أمر الله حبيبه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وتبتل إليه بفتيلا) ثم أن
لا يخاف في حبه لومة لائم ولا مدح ممدح .

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذراتك العين أهوائ
وبات يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركك للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادىنى ودنياى
ومعرفة الله بعد تطهير القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل داعية للمحبة
بالضرورة لأن المعرفة رائد الحب ، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالسكر الصافي
والذكر الدائم أو كما يقول الشبلى : الحب دهش فى لذة وحيرة فى تعظيم . وقال
سهل : المحبة عطف الله بقلب عبده على مشاهد الحقيقة بعد فهم الخطاب
عن الحبيب .

وفى وصف سبيل الحب لله يقول أبو الحسن أحمد بن الحسين الرزبارى : سمعت
أبا عبد الله أحمد بن عطاء الرزبارى يقول العلم موقوف على العمل والعمل موقوف
على الاخلاص والاخلاص لله يورث الفهم عن الله تعالى ويدنى من الحب . وقال
بعض العارفين : من آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا ومن أيقن بالمجازاة لم يؤثر
الحسنى ، ومن استعان بالله استغنى بحبه عن سائر عبادته ومن وثق بالله استظهر
لمعاشه ومعاده .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعاهم هؤلاء
الدعوات (اللهم اقم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك
ما تبلغنا به إلى رحمتك ومن اليقين ماتمون به علينا مصيبات الدنيا ومتعنا بأسماعنا
وابصارنا واجعل ذلك الوارث منا وانصرنا على من ظلمنا ولا تجعل مصيبتنا فى
ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يخاف
ولا يرحمنا) .

(وسئل الشبلى متى يذوق العبد الانس بالله ؟ قال إذا صفا الود وحسنت
المعاملة . فسئل متى يصفو الود ؟ فقال إذا اجتمع الهم فصار فى الطاعة .
ورقيل فى شرط المحبة :

وأترك ما أهوى لمن قد هويته وأرضى بما رضى وإن سخطت نفسى
ولإليك سبع خصال مؤدية إلى سبيل المحبة وهى :

أن لا تحزن على ما فاتك ولا تحمل هم ما لم ينزل بك ولا تلم الناس على ما فيك مثله ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل ولا تنظر بالشهوة إلى ما لم تملك ولا تنضب على من لم يضره غضبك ولا تمدح من يعلم من نفسه خلاف ذلك . هذا شأن أهل الله من المحبين له . وأخسر الناس عملا ومآلا من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد . ومن كان عكس هذا فهو أفضل عند الله وأقرب . وأقرب منها من لا يبالي إلا بالله عمل مختارا أو قصر مجبرا وأفضل من الثلاثة من أسلم أمره وقلبه وحاله ومآله إلى الله فهذا قد سلم وغنم وأحب الله وأحبه الله .

قال عبد الواحد بن زيد . ذكر لي أن جارية مجونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتني خراة جالسة على حجر وعليها جبة صوف ، فلما نظرت إلى قالت من غير أن أكلمها : مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتي ولم ترني قبل ذلك ثم قالت ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ فقلت جئت لتعطيني فقالت واعجبا لو اعطى يوعظ ثم قالت : يا عبد الواحد اعلم أن العبد إذا كان في كفاية من أنعم الله ثم مال إلى الدنيا سلبه الله حلاوة الحب فيظل حيرانا والها فإن كان له نصيب عند الله عاتبه وأدبه في سره ثم يقول له عبدى أردت أن أرفع قدرك عند ملائكتي وحمل عرشي وأجعلك دليلا لأوليائي وأمل طاعتي في أرضي فأت إلى عرض من الأعراض الفانية وتركمتي فورتك بذلك الوحشة بعد الأانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى . عبدى أرجع إلى ما كنت عليه أرجع لك ما كنت تعرفه من حبي وإطقي وبري وعفوى ثم أنشدت :

إنك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت يحيط بها يقطع فيها أمل الآمل
تعجل الذنب بما تشتهي وتأمل القوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة ما هذا بفعل الحازم العاقل

فبنت وتركها منييا إلى الله واعتبرت أنها كانت تحذني بلسان الحق :
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة له (أيها الناس أن الأيام تطوى

ولأن الأعمار تنفى والابدان فى الثرى تبلى وأن الليل والنهار يتراكمضان تراكمض
البريد يقربان كل بعيد ويخلفان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما لى عن الشهوات
ورغب فى الباقيات الصالحات) وأنشد بعض الصالحين يصف بحى الدنيا
وجامعها .

كدود . كدود القز ينسج دائما فملك غما وسط ما هو ناسجه

ومن نوارى بزرجهى حكيم الفرس قوله : (نصحنى النصحاء ووعظنى الوعاظ
شفقه ونصيحه وتاديبا فسمعت لهم ولم يعظنى مثل شيبى ، ولا نصحنى مثل فكرى ، ولقد
استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم أستضيء بشئ أضوأ من نور قلبى . وعاشرت
الأحرار والعبيد فلم يملكنى أحد ولا قهرنى غير هوى نفسى ، وعادانى الأعداء
فلم أرى أعدى لى من جهل واحترزت بنفسى لنفسى من الخلق كلهم حذرا عليها
وشفقه فوجدتها شر الانفس لنفسها ورأيت أنه لا يأتها الفساد إلا من قبلها ،
وقد زحمت المضايقون فلم يزحمتنى مثل الخلق السيئ وذهبت أبعد البعد ووقعت فى
أسفل السفلى فلم أقع فى شئ أضر على من لسانى ، ومشيت على البحر ووطئت
الرمضاء فلم أر نارا أحر من غضبى إذا تمكن منى ، وطالبنى الطلاب فلم يدركنى
مدرك مثل ضميرى ، ونظرت ما الهاء القاتل ومن أين نالنى فوجدته من معصية
ربى سبحانه . والنمست الراحة لنفسى فلم أجد شيئا أروح لها من تركها ما لا يعينها
وركبت البحار ورأيت الأهوال فلم أر هولا مثل الوقوف على سلطان جائر .
وتوحشت فى البرية والجبال فلم أر مثل القرين السوء وعالجت السباع والضباع
والذئاب وعاشرتها وعاشرتنى وغلبتها فلم يغلبنى إلا عدو فى ثوب صديق . وأكلت
الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم أجد شيئا أذل من العافية والأمن
 واجتمعت بالشياطين والجبال والسباع فلم أجزع إلا من خبث الطوية . وأكلت
الصبر وشربت المر فلم أر شيئا أضر من الفقر (ويريد فقر النفس) وشهدت
الحرب وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الأقران فلم أر قرنا اغلظ
من المرأة السوء . ونقلت الصخر فلم أر حملا أثقل من الدين . ونظرت فيما يذل
العزى ويكسر القوى ويضع الشريف فلم أر أذل من ذى فاقة ومعصية . واصطنعت

الإخوان وانتخبتم الأقوام للعدة والشدة والثبات فلم أر شيئا أخير من التقرب إلى الله والتوسل بطاعته لمحبه (وإجمالا فشكل ما أوردناه في حال الحب لله وكل ما ذكرناه في باب الحب من حب غير الله كالدنيا والنفس والشیطان والهوى وما في ذلك من سقوط وذلل وحجاب وغفلة هذا وذاك يبعث كل ذی ذوق سليم وطبع مستقيم ونظر بعيد على الحب لله والتقرب منه ولو فقد الدنيا جميعا فهو الغنى بالله على كل حال .

عبيد ولكن الملوك عبيد عبيد وأضحى له السكون خادما
واسمع إلى ابن الفارض سلطان العاشقين يصف محبوبته وهي الذات الإلهية
فيقول :

فإن قيل لي صفها فانت بوصفها خبير أجلى عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديما ولا شكل هناك ولا رسم
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحکم
إلى أن قال .

وعلى نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

حال الشوق

والشوق هو الباعث الأعظم لأهل الله على الاجتهاد في الوصول إلى الله
وحسن العمل ولولاه لفترت همم السالكين وأحسوا شقة الطريق وطال عليهم
أمد الوصول . وفي هذا المعنى يقول يحيى بن معاذ رحمه الله : علامة الشوق فطام
الجوارح عن الشهوات . وقال بن خفيف : الشوق ارتياح القلوب بالوجد
ومحبة اللقاء بالقرب .

والشوق هو سفر القلب إلى محبوبه فإذا قدم عليه ووصل إليه صار مكان
الشوق قرة عينه ومباغ أمانيه التي كان يتوق للوصول إليها . وقيل لبعضهم في هذا

المعنى . هل تشنق اليه ؟ . فقال : لا إنما الشوق إلى غائب وهو حاضر .
وأن كان غيره يقول :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام
ويقول القشيري . سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يفرق بين الشوق والاشياق
ويقول . الشوق يسكن باللقاء والاشتياق لا يزول باللقاء . وفي هذا المعنى أنشدوا
ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقاً
ويقول صاحب منازل السائرين : أن الشوق على ثلاث درجات شوق العابد إلى
الجنة ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمل .

وشوق إلى الله تعالى زرعه الحب الذي نبت على حافات المين فملأ قلبه بصفاته
المقدسة واشتاق إلى معاينة لطائف كرمه وآيات بره وأعلام فضله . وظمناً للشهود
أضرم نار المحبة لا تهدأ دون اللقاء .

وفي جامع الأصول : الشوق حركة السير إلى الله بالمحبة المنبغثة عن مطالعة
تجليات الصفات . وفي كتاب عوارف المعارف يقول صاحبه (أن الشوق من المحبة
كالزهد من التوبة لا بد منه في مجال الحب . وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق الحادث
عند المحب ليس كسبه وإنما هو موهبه خص الله تعالى بها المحبين) . ولا نعي
بالشوق إلا مطالبة تنبعت من الباطن إلى ما هو أولى واعلى من مجالى القرب وهذه
المطالبة كائنة في المحبين . فالشوق إذراك من عند المحبين لا وجه لانكاره . وقال أبو
زيد : لو أن الله تعالى حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث
أهل النار من النار . وفي الحديث القدسي (كذب من أدعى محبتي وإذا جنه الليل فام
عني أليس كل حبيب يشنق إلى الخلوة بمحبيه ؟ فما أنا ذا قريب من أحبائي أسمع سرهم ونجواهم
وأشهد حينهم وشكراهم) . وخاطب الله بعض الصديقين بلسان الحال أن لي عباداً
من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم يذكرونني وأذكروهم
وينظرون إلي وأنظر إليهم فإن حدوث طريقهم أحبيتك وإن عدلت عن طريقهم
غضبت عليك . قال يارب وما علاهم ؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى
الشفيق غنمه ويحتمون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب

فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخللك حبيب بحبيبه نصبوا إلى أفدامهم وافتشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلى بانعamy فبين صارخ وبالك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد، بمعنى ما يتحملون من أجلى ويسمعى ما يشتهون من حبي فأول ما أعطيتهم ثلاثا أفذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم فمن أقبلت بوجهى عليه لا يعلم أحد ما أريد أن أعطيه .

حال الانس

الانس بالله تعالى الفرح بوجوده والسكون إلى عناية به والاستعانة به ، على وجد معيته وليس فى الامكان التعبير عنه بأكثر من هذا . وقد روى فى الخبر أن مطرف ابن عبد الله بن الشخير رحمه الله كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ليسكن أنسك باقه وانعطاعك إليه فإن الله تعالى عبادا استأنسوا به فكانوا فى وحدتهم أشد أنسا من الناس فى كثرتهم . وأهل الانس فى الانس على ثلاثة أحوال فمنهم من أنس بالذكر واستوحش من الغفلة وأنس بالطاعة واستوحش من المعصية ومنهم من استأنس بالله واستوحش مما سواه من المعارضات والخواطر المشغلة .

كما ذكر عن ذى النون رحمه الله أنه قيل له ما علامات الانس بالله ؟ قال إذا رأيت الله يوحشك من خلقه فقد أراد أن يؤنسك بنفسه ومنهم من يأنس بالله أنسا ثابتا حضره الناس أو غابوا . وسئل الجنيد رحمه الله عن الانس بالله فقال ارتفاع الكلفة مع وجود الهيبة .

الانس بالله لا يحويه بطلال وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال
وفى جامع الأصول ان أصل الانس الاسترواح بروح القرب وشاهده
الاقتراب من حال القرب وقالت رابعة العدوية .

ولقد جعلتك فى القواد محدثى وأبحت جسمى لمن أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد جليسى
وفى ايقاظ الهمم أن المؤانسة التى يجدما العامل بعد العمل على ثلاثة أقسام .
١ - مؤانسة ذكر وهو لاهل الفناء فى الأفعال . ٢ - مؤانسة قرب وهو
لاهل الفناء فى الصفات . ٣ - مؤانسة شهود وهو لاهل الفناء فى الذات .
والأولى لاهل الإسلام والثانية لاهل الايمان والثالثة لاهل الإحسان . فمؤانسة
الأول توجب له الفرار من الناس والوحشة منهم ، ومؤانسة الثانى توجب القرب
لهم على الحذر منهم ومؤانسة الثالث توجب الصحبة لهم ومخالعتهم لأنه يأخذ منهم
ولا يأخذون منه . ومؤانسة الذكر توصل لمؤانسة القرب ومؤانسة القرب توصل
لمؤانسة الشهود . وقالوا :

يا سافى القوم من شذاه الكمل لما سقيت تاهوا
غابوا وبالسكر فيك طابوا وصرحوا بالهوى وفاهوا

حالى القبض والبسط

القبض والبسط حالان شريهان قال تعالى فيهما (والله يقبض ويبسط) وقد تكلم
الشيخوخ بإشارات هى علامات القبض والبسط من حال الانس . فمن كان لله به
عناية إذا بسط ولم يستشعر الخشية فى بسطه رده الله إلى القبض فاذا قبض ترازن
حاله فيصوغ له الانس وهكذا . وقد يشتبهان بالخوف والرجاء ولكن الخوف
والرجاء غير البسط والقبض لأن الخوف لا يقتضى البسط لما فيه من انتظار
لوامع الرجاء والقبض لا يقتضى كل الرجاء لما فى الرجاء من لوامع الخشية وإن كان
القبض غيمة تتكشف عن حال الخوف ، والبسط إذا انزن أوماً بقرب حال الرجاء
والهبة والانس مقياس حال القرب وميزانه وإن تفرع القبض عن حال
الخوف وتفرع البسط عن حال لرجاء . وقال الواسطى يقبضك عما لك ويبسطك
فيما له وقال النورى يقبضك بياك ويبسطك ليايه . وأنشدوا فيمن حجب بالقبض
عن الخوف وبالبسط عن الرجاء .

ووراء هاتيك الستور محجب بالحسن كل العز تحت لوائه

لو أبصرت عينك بعض جماله لبذلت منك الروح في ارضائه
ما طابت الدنيا بغير حديثه كلا ولا الاخرى بدون لقائه
يا خاسرا هانت عليه نفسه اذ باعها بالعين من أعدائه
لو كنت تعلم قدر ما قد بعته لفسخت ذاك البيع قبل وفائه
أو كنت كفا للرشاد والهدى أبصرت لكن لست من اكفائه

ويقال مثل هذا الشعر أيضا لمن حجب عموما .

ويقول صاحب ايقاظ الهمم . البسط فرح يعترى القلوب والأرواح إما بسبب قرب شهود الحبيب أو شهود جماله أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله وتجليات ذاته . والقبض حزن وضيق يعترى القلب إما بسبب فوات مرغوب أو عدم حصول مطلوب أو بغير سبب إلا أن يكون مبدأ للخوف ، وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار . فالعوام إذا غلب عليهم الخرف أنقبضوا وإذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا ، والخواص إذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا وإذا تجلى لهم بوصف الجلال أنقبضوا . وخواص الخواص استوى عندهم الجمال والجلال والقبض واللبسط والخرف والرجاء فلا تغيرهم واردات الأحوال لأنهم بالله ومقر بون فالأولون ملكتهم الأحوال وخواص الخواص ما السكون للأحوال . وجاء في شرح المباحث أن الغالب على العارفين البسط فرحا بالله وبالوصول إليه . والغالب على المرید القبض لأنهم في محل المجاهدة والمكابدة . وأعلم أن للقبض والبسط آداب فن أساء فهمها الأدب طرد إلى الباب أو إلى سياسة الدواب . وفي آدابها جهاء في كتاب ايقاظ الهمم أن آداب القبض . الطمأنينة والوقار والسكون تحت مجارى الأقدار والرجوع إلى الواحد القهار فإن القبض شبيه بالليل والبسط شبيه بالنهار ومن شأن الليل الرقاد والهدوء والسكون والهجوم . ومن آداب البسط : كف الجوارح عن الطغيان وخصوصا جارحة اللسان فإن النفس إذا فرحت بطرت وخفت ونشطت فرما تاتى كلمة لا تاتى لها بالا فتسقط في مهاوى القطيعة بسبب سوء أدبها . ولذلك كان البسط مزلة أقدام . فإذا أحسن المرید بالبسط فليطعم نفسه بلجام الصمت وليتحل بحيلة السكينة والوقار خشية القطيعة والبعد قال ابن عطاء العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا وأنشدوا في ذلك .

قف بالديار فهذه آثارهم وابكى الأحبة حمرة وتشوقها
 كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها أوسائلا أو مشفقا
 فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقى
 وأنشد هذه الأبيات أبو محمد الحريري عندما قال له رجل كنت على بساط
 الأنس وفتح على طريق البسط فزلت زلة فخرجت عن مقامي فكيف السبيل إليه
 دلني على الوصول إلى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخى السكل في قهر هذه
 الخطأ ولكنى أنشدك أبياتا لبعضهم . وأنشد ما أسلفنا . وقال الجنيد : الخوف
 يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني قال ابن عطاء الله في أسباب القبض
 والبسط وتناجيهما : ربما أعطاك فزعلك وربما منعك فأعطاك . ويعنى بذلك
 القبض والبسط ووجوب التبصر فيهما . وقال أبو الحسن الشاذلي رضى الله
 عنه في حربه : اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم
 بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم .

حال القرب

قال تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فأز قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان)
 وقال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقال : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن
 لا تبصرون) وقال في صفة الملائكة (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
 الوسيلة أيهم أقرب) : والوسيلة بمعنى السبيل إلى القرب . فذكر تعالى قريهم منه
 ثم ذكر قريهم بمعنى توصلهم إليه بالقرب أيهم أقرب . وحال القرب لعبد يشاهد
 بقلبه قرب الله منه فيتقرب إليه بطاعته وجمع همته بين يدي الله تعالى بدوام ذكره
 في سره وعلايته . والمقربون على ثلاثة أحوال فمنهم المتقربون إليه بأنواع الطاعات
 لعلهم يعلم الله تعالى بهم وقربه منهم وفضله عليهم . ومنهم من تحقق بذلك كما قال
 عامر بن عبد القيس رحمه الله ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه منى
 وقال الجنيد واعلم أنه يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب
 عباده منه ، وهذه الدرجة الثالثة من حال القرب . وأما حال الواصلين فهو كما قال

أبو يعقوب أن يغيب العبد عن القرب والبعد باقرب .
وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (واسجد واقترب) . وقال ذو النون
ما ازداد أحد من الله قربا إلا ازداد خشوعا وهيبة . وقال النصراني باذى : باتباع
السنة وبأداء الفرائض تنال القربة والمواظبة على النوافل تنال المحبة . وأشدوا
في ذلك .

قد تحققتك في سرى فناجاك لسانى
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
إن كان غيبك النعم عظيم عن لحظ عيانى
فلقد صيرك الود من الاحشاء داني

حالى الفناء والبقاء

علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية وسئل الخراز ما
علامة الفانى ؟ قال : علامة من ادعى الفناء ذهب حظه من الدنيا والآخرة
إلا من الله تعالى . والحظ هنا بمعنى الطاب والمعبر عنه بالفناء هو رؤية فناء أنيتك
في بقاء الحق وشهود أفعالك مفعولة لمشية الحق وشهود سريان تلك المشية
في جميع الممكنات مظاهرها وأعيانها وذواتها . والبقاء هو بقاؤك على هذا الشهود
له به تخليا من نظرك شهود نفسك وغيرك من الكائنات وإن كنت كائنا فيها
وفي منازل الساترين عن الفناء : أن الله تعالى قال (كل من هابها فان ويبق وجه
ربك ذو الجلال والإكرام) فالفناء في هذا الباب اضمجلال ما دون الحق علما
ثم حجدا ثم حقا

وفي جامع الاصول : الفناء هو زوال الرسوم جميعا بالملكه في عين الذات
الأحدية مع ارتفاع الانثنية وهو مقام المحبوبين . وصورته في البدايات الفناء
عن العادات والمألوفات بامثال المأمورات وفي الوسط الفناء عن الهيئات الطبيعية
النفسانية بالهيئات النورانية القلبية . وفي النهايات الفناء عن الأفعال البشرية
بالأفعال الالهية .

وفي العموم الفناء عن إرادة الأغيار تأثرا بإرادة الحق وفعله . وذكر في منازل السائرین فی البقاء : البقاء اسم لما بقي قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها وهو على ثلاث درجات .

الأولى — بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما .

الثانية — بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودا لا نعتا .

الثالثة — بقاء من لم يزل حقا بإسقاط من لم يكن محوا .

وفي جامع الأصول . هو بقاء ما لم يزل حقا بشهود فناء ما لم يكن أزلا . وقال الخراز : الفناء هو التلاشي في الحق بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق . وقال صاحب إيقاظ الهمم . الفناء هو أن تبدو لك العظمة فتفسيك كل شيء وتفنيك باطنا عن كل شيء سوى الواحد الذي ليس كمثل شيء وليس معه شيء أو تقول هو شهود حق بلا خلق . كما أن البقاء هو شهود خلق بحق . وسئل أبو سعيد الأعرابي عن الفناء فقال . هو أن تبدو العظمة والجلال للحق على العبد فتفسيه الدنيا والآخرة .

الفرق بين العارف والفاني

أن العارف يثبت الأشياء بالله والفاني لا يثبت سوى الله . العارف يقرر القدرة والحكمة والفاني لا يرى إلا القدرة . والعارف يرى الحق في الخلق مع فناء الحدوث في القدم وتنزيه واجب الوجود عن صفات الممكنات أو وجودها معه والفاني لا يرى إلا الحق والعارف في مقام البقاء والمجذوب في مقام الفناء . الفاني سائر والعارف متمكن . ويأتي في باب السكر والصحو أن الصحو فوق السكر والسكر يناسب مقام البسط . والصحو مقام صاعد عن الانتظار مغن عن الطلب طاهر من الخرج فإن السكر إنما هو في الحق والصحو وإنما هو بالحق .

السكر والصحو

يقول صاحب عوارف المعارف إن السكر هو استيلاء سلطان الحال . والصحو
العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال . قال محمد بن خفيف السكر غليان القلب
عند معارضات ذكر المحبوب . وقال الواسطي ، مقامات الوجد أربعة . الذهول ثم
الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته
الأمواج ، فعلى هذا من بقى أثر سريان الحال فيه فعليه أثر السكر ومن عاد كل شيء
منه إلى مستقره فهو صاح . فالسكر لأصحاب القلوب والصحو للحكام المكاشفين
بحقائق الغيوب . ويحكى أن الجنيد حضر مع خاله السرى السقطي مجلس ذكر وسماع
فتواجد الجنيد حتى ذهل عن نفسه ونظر إلى خاله فوجده ساكناً ثابتاً فوضع يده
على كتفه وقال له : أليس لك قلب يا شيخ الصوفية ؟ فنظر إليه السرى السقطي
ثم تلا قول الله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وعبر
السرى بالآية عن ثبات الراسخين في العلم والمعرفة .

المحاضرة . والمكاشفة والمشاهدة

المحاضرة هي التلون والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بين ذلك إلى أن
يستقر الشهود . فالمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العيان والمشاهدة لأهل الحق
أي حق اليقين .

وفي جامع الأصول يتحدث صاحبه عن المكاشفة فيقول . هي نهاية شهود
العيان وما في ذلك من أحوال الايقان كالحب والصحور وهو التحقيق الصحيح
بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية . وهي في البدايات الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية ،
وفي الوسط تحلي القوى النفسانية بمعاني الأسماء الإلهية ، وفي المعاملات التهدي
للعمل بمقتضاها وإجابة دواعيها . والغيبة على ثلاث درجات : الأولى غيبة
المريد في تخليص القصد من حجب العلائق ودرء العوائق للانفاس الحقائق .
والثانية غيبة السالك عن رسوم العلم ورخص السعي وعلل الفتور . والثالثة
غيبة العارف عن مراتب الأحوال والشواهد والدرجات في عين الجمع . ويقول
صاحب جامع الأصول إنها هاهنا غيبة السالك عن رسوم العلم لقوة نور الكشف :

الوجود

الوجود بمعنى الوجد هو الظاهر بحقيقة الشيء وهو اسم لثلاثة معان : الأول وجود علم لدني يقطع علوم الشواهد بصحة مكاشفة الحق اياك . والثاني . وجود الحق وجودا عينيا منقطعا عن مقتضيات الاشارة . والثالث : وجود مقام اضمحلال رسم الوجود الإمكانى بالاستغراق في الازالية .

وقال صاحب جامع الاصول : هو في قوله تعالى (ووجد الله عنده) بمعنى حقيقة إدراك الشيء وهو أصفى مراتب الشهود عن وجود مقام يضمحل فيه كل ممكن بالكلية بشهود الموجد في عين الأولية والمراد وجود الحق بذاته حيث لا رسم ولا اسم .

الكلام عن معارف الصوفية وإظهار حقيقة عقيدتهم

يرى الذين لم يتذوقوا علم التصوف ولم ينهلوا من بحره الخضم الأعظم ولم تنهياً استعداداتهم لفهم حقيقته إلى النيل من التصوف والمتصوفين بوم من الادعاءات الباطلة التي لا يؤيدها علم حقيقي ولا تدعمها فلسفة صحيحة . وقد أقاموا أنفسهم بمعارفهم الضئيلة حكماً قساة على أولياء الله وعارفيه بدون مبرر يبررهم لا من الشرع ولا من العقل . ولم يتذوقوا مشارب القوم وعلومهم ومعارفهم ومواجيدهم فيما بينهم وبين ربهم وفي نظرتهم السامية العميقة لهذا الوجود وأول ما يرونهم به من كذب عظيم القول بوحدة الوجود ؛ فما هي وحدة الوجود يا ترى ؟ أهى الجمع بين وجودين أزليين أبديين أم يريدون بالحقيقة أن تكون اثنينية ؟ !

أما القول بأن الكون كل واحد ، فهذا رأى العلم الحديث ؛ وأهله ما بين ماديين واقعيين وخصوصاً الرياضيين منهم وبالأخص العلماء الذين . والقول بأن الوجود أعيان منفصلة لا يصلها ببعضها وحدة أو انسجام فذاك مالا يفهمه العلم الحديث ولا تعرفه الفلسفة وهو تعدد بغير مصوغ عند أهل التصوف ومخالفة للواقع ، وبقي معنا حقيقة البحث في أصل الوجود كما هو .

فإما أن يكون الوجود صدر عن مادة قديمة سابقة للوجود ؛ وإما أن يكون خرج من العدم ؛ وإما أن يكون نشاطا من إبداع حقيقة عليا اقتضها صفاتها وأفعالها ولك أن تسميها الله أو ما شئت من أسماء عدا أن تسميها طبيعة أو صفة أو ضرورة أو ما إلى ذلك .

أما القول بالعدم فواضح الاستحالة في منطق العلم والفلسفة والدين ، سيما وأن العدم يبين الوجود والمعدم والموجود ضدان ، وإن فاقد الشيء في نفسه لا يعطيه لغيره .

وأما القول بوجود مادة قديمة تشارك الله في الأزلية فذلك هو الكفر الصريح فضلا عن أن المادة اليوم لا وجود عيني لها وأن كيانات الكائنات يقوم في عرفة العلم الحديث على الطاقة والسرعة لا أكثر ولا أقل أو ثنائية فلسفية أو الحاد لا يعرفه الإسلام ولا التصوف .

وإما أن يكون سبب هذا الوجود إبداع فعل الله وأمره حسب اقتضاء وصفه بقدرة قائمة بذاته ، فلا يكون قديم إلا هو ولا سبب إلا إرادته وفعله وذلك هو الحق وهو عقيدة الإسلام ومذهب الصوفية .

والحقائق من الصوفية لا يمتدحون أن للإله العظيم جرما فيحلى في شيء من خلقه كما يفهم الذين لا يعلمون إلا الظاهر من حياة الدنيا وعن الآخرة هم غافلون .

فوحدة الوجود الصوفية غير وحدة الوجود الفلسفية التي لا تميز بين المصنوع والصانع (كما عند اسبينوزا أو غيره) وهي أن تشهد ذات الله في وصفه ووصفه في فعله وفعله يكون آثارا هي هذه الكائنات على أن يلاحظوا في ذلك غاية التنزيه والتسامي عن أوصاف مخلوقاته . ولا يكون ثمة في الكائنات مؤثر غير نشاط ذلك الفعل الإلهي الصادر عن ذات قديم لا بد له ولا نهاية هو وعي مطلق وحياة مطلقة واقتدار مطلق وعلم مطلق وإرادة مطلقة وفاعليه مطلقه ، فلا ندت سادته في الوجود دعن قدرته ؛ ولا استمد كائن حي حياته إلا من حياته ، وما شذ بسيط أو مركب في فعله وتأثيره عن إرادته ، وما تحرك فعل ولا قام

نظام في الوجود إلا وكان الله علته ، فصفاته مؤثرة في الوجود وفعله أصل الحركة فلا مؤثر حقيق من غيره ؛ ولا صفة نشيطة منتجة لمخلوق إلا راجعه إليه . فأفعاله هي أصل كل فعل وسبب كل كائن .

ولإذن فالوجود المطلق الحق لله ولاوصافه الثابتة التي لا تتلاشى ولا تتحول . وبذا يتضح أن الفعل السببي الذي صدرت عنه جميع الأسباب والأفعال هو فعل الله وانظر إلى قول الله تعالى في القرآن (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) والضمير عائد إلى الله . فوجود هذا الظاهر المرفى على التحقيق - وجود اعتباري ، كوجود الفعل في الفاعل ، والكلام في المتكلم والمعمول في العاقل ، والمحرك في القوة المحركة . وبذا يكون الوجود كله وحدة مطلقة في منطق العلم الرياضي والفيزي وفي منطق الفلسفة العليا ؛ وأما في منطق الدين والتصوف فيكون الوجود كله دقه وباقه ، لأن سببه فعل مطلق لذات مطلقة عنها صدر الشكل بغير مشارك وإلها يرجع الشكل دون متخالف أو مخالف ودون حلول أو اتحاد أو ما يشبه ذلك ، وفي هذا المعنى يقول أحد العارفين :

ولما تجلى من أحب تكسرما	واشهدني ذاك الجلال المعظما
تعرف لي حتى تيقنت أنني	أراه بعيني جهرة لا توهمها
وفي كل حال اجتنابه ولم يزل	على طور قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصلي بمتصل ولا	بمنفصل عني وحاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بمثله	وأين الثرى من رفعة لا يدركها
أشاهده في صفو سرى فأجتلي	جهالا تعالى الله عن أن يقسما
كما أن بدر النجم ينظر وجهه	بضوء غدير وهو في أفق السما

وجود الله ، فاعلم أنه وجود وجوبي ضروري دائم ؛ ووجود غيره إمكاني متحول لا يقوم استمراره إلا بدوام مبدعه ، فهل يمكن أن تكون تلك العقيدة هي الحق المبين جريمة كبرى وذنبا عظيما ؟ ربما ولكن في نظر الذين لا يعلمون من الوجود إلا سطوحه لكونية وظواهره الشبيهة فهم يأخذون على التصوف والمنصوفة كونهم وحدوا الفعل كله وذلك نفسه هو نص كتاب الله وأب شرعيه رسوله . أما نص الكتاب

فقوله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقوله (كل شيء هالك إلا وجهه) ومعناه وجه الإيجاد الإلهي في الشيء الأمكني المعدوم . وحسبك قوله تعالى في كتابه :

(هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (والضمير يعود لله) وأما لب الشريعة فلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وله الخلق ، وله الأمر من قبل ومن بعد .

وأما رأى الآخرين على عقيدة أهل التصوف في ترحيهم لله ولتفعل الله فانه ناشئ عن علمهم بظواهر الكائنات دون حقائقها وأسبابها الخفية ، وإلا فليقولوا لنا . ما هي القره الطبيعية ؟ وما كنه الطاقة الذرية ؟ وأخيرا ما هي الكهرباء ؟ وما هي المغنطيسية ؟ وما أصل النور ؟ وما ماهية الإثير الخ الخ ؟ وكلها أمور طبيعية تكن وراء ما يلبسون ويمارسون من أشياء وقوانين وغير ذلك .

وماذا كان يريد من النقد من التصوف الاسلامي غير هذا والاسلامية دين توحيد في العقيدة والعمل والنظر للوجود وموحده !!

أيرجع أهل التصوف الاسلامي يا ترى في نظرتهم المتسامية للوجود إلى مثالية افلوطين القديمة في خلق الوجود بالعقول العشرة أو الانفس السبع التي نفس فاعلية الله في خلقه ؟ أم يرجعون إلى مثالية أفلاطون القائلة بالمثل في الخلق والابداع دون الله أو يرجعون إلى أرسطوا وأشياعه من الفلاسفة الماديين القائلين بأن المادة قديمة غير حادثة وأنها خالدة غير فانية ؟ . مع وصول العلم الحديث إلى تفكيك ذراتها واطلاق اصولها إلى اشعاعات متعددة وأطياف تنحصر بين ما فوق البنفسجي وما تحت الاحمر . أم يرجعون اخيرا إلى مثالية دكنس ، الألماني القائلة بأن العقل هو العقل وهو الإله وهو المادة ؟ . خلافا للمادية الواقعية القائلة بأن المادة هي المادة وهي العقل والإله وهي كل شيء . في كل شيء !! كلا ويتعالى الله عما يظن به المبطلون ، فليس هذا من التصوف الحق في شيء ولا من الاسلام الذي هو أصل هذا التصوف التوحيدي الذي لا يخرج عن المعتقد القائل بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

هذا هو التوحيد الحق في الوجود فلندعهم وما يقولون به .

وتعالوا معنا إلى قضية وجود الانسان ذلك المدرك لتلك الحقيقة التوحيدية أو المقصر في البلوغ إلى كمال إدراكها ولنبحث في كيانه هو نفسه هل هو في كيانه الحقيقي مبنى وجوده على التوحيد أم على الاثنائية أم على الكثرة وهل هو قديم بقدم الروح الذى يسره ليكون وجوده ناشئ عن أنثوية أم وجوده ناشئ عن كثرة لا تحديد لها ولا توحيد فيها ؟ لا علم يدري ولا فلسفة تحجب لانهما لا يمكن أن مرجعا لواحد من الثلاثة . من حيث القدم ولا من حيث الحدوث ولا من حيث الفاعلية .

وواقع الأمر أن ذات الانسان أو روحه هي ما هيته أو قل هي الحياة التي قام عليها كيان جسده الوجودى الكونى فهو متوحد في الحقيقة وإن بدى في شكل اثنى روح وجسد . ولا شك أن هناك مؤثر وأثر متأثر . فالكون له خالق مؤثر وهو مخلوق متأثر ، خالق أزلى ومخلوق حادث ، والحدوث بطبيعته ينضوى في القدم الذى هو المؤثر في كيانه الوجودى . فهناك وحدة حقيقية وان بدت لمن لا يعرف في مظهر اثنى أو كثرة . وذلك هو الحق القديم الموجود قبل الحدوث والنشأة والتعدد . وهو الخالد أيضا بعد كل ذلك .

ألا فليشهد أولوا الالباب والبصائر شهادة الحق بأن لا إله إلا الله ، وأن لا حول ولا قوة الا بالله ، وأن كل شئ يفنى ويبقى وجه الله دون حلول أو اتحاد للخالق في المخلوق أو المخلوق بالخالق .

والاتحاد هو امتزاج جسم في جسم أو كائن جامد أو سائل أو غازى بكائن آخر مماثلة ويتمالى الله عن ذلك وانما ما يعنيه الأولياء الناطقون بمثل هذا اللفظ انما يعنون به ما يعنى المعبر عن قطرة الماء إذا تبخرت من المحيط ثم رجعت إليه . وذرة النور إذا انشعبت عن أصلها النوراني ثم عادت إليه . وكله مبنى على المجاز لا على الحقيقة في كل حال لافرق الحاصل بين المخلوق والخالق والمصنوع والصانع . والحلول لغة وفلسفة واصطلاحاً تداخل جرم في جرم آخر أى تحيز جرم في جرم متحيز في الفراغ ، يكون طرفاً له ومحلاً محتويته وذلك كحلول الشمس في أحد أبراجها مثلاً وكحلول

اشعه الشمس في الأرض . وكحلول الشمس في ناحيه من مكان لارتحاله عن مكان آخر . ويتعالى الله في عزته ورفعته عن كل هذا ويتعالى العارف بالله معرفة صحيحه عن أن يظن بربه مثل ذلك . فن من الصوفيه يا ترى يعتقد أن الذات الالهى العظيم المقدس المنزه الذى لا يحيط به شئ ولا يحتوته شئ من المكان على سعته ولا الزمان على امتداده يتحد أو يحل بشئ من مخلوقاته إلا أن يكون جاهلا بالتصوف وبالإسلام أو مدعيا متطفلا على التصوف والإسلام . وإذن فليسكب المخفرون الجاهلون تخرصهم بغير علم عن التصوف وأهل التصوف وليدعوا امر الخلق الذى له في خلقه الكثير من الشؤون .

الحقيقه

لا شك أن قانوناً عاماً يسود هذه الكائنات فيعين تسلسلها وأسبابها ونتائجها ويقدر أحوالها ومصائرهما ، وهذا مما يدل على أن وراء ذلك فاعلاً مدركاً وعلى أنه ثابت غير متحول ، وعلى أن الفاعل الأول الله موجود أزلاً وبغير متناه ، وما وجود العوالم الإمكانية إلا حادثه في الوجود يستوى فيها طرفا الایجاد والاعدام أو التكون والتحول . وما وجودها بجانب وجود الحق إلا كوجود الظل مضافاً إلى نور الشمس ، والشمس مع ذلك واحده وجودها حقيقى بالنسبة لوجود ظلها وهو وجود اعتبارى امكانى ، ولم تحل ولم تتحد بها . فاعتبر بهذا المثل الاعلا في كل حال .

فاعتقد حفظك الله أن السماء وما أقلت ، والأرض وما حملت وإنك وسائر العوالم المفروضة لمكانياً واعتبارياً هباء في هباء وإن الله سبحانه ناظر إليك وقريب منك . واعلم أن العقل السليم لا يسهه الاعتقاد بوجود وجودين حقيقين أزليين والبدنيه ترفض قبول كائنين حقيقين قديمين أزليين كأنما علة الوجود أو عاتين فيتعاملان متحدتين أو منفصلين ليسكونا إلهين مشركين في القدم والتأثير والديمومة

والمصير بل قل لاله إلا الله ، وذلك هو الحق ، وما عداه فباطل ووه . وأشكر الله
على ما أعطاك واستمسك بما أولاك وسر في طريقك الذي إليه هداك .

وما يضرك شيء لو كنت في نور الحقيقة والأغيار في ظلامها ؟ فإن رأيت
نفسك في صبح مشرق وغربك في ظلام دامن فقل مع الصوفي الحكيم .
ليلي بوجهك مشرق وظلامي في الناس سار
الناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

وانظر بعين البصيرة في قول الله تعالى : (إن في خالق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً
سبحانك فقنا هذاب النار) .

ودع المفرضين الذين لا بصائر لهم يفرضون - جهلاً وخطأ - أن للمادة
وصورها عالماً مغايراً في وجوده لوجود الله ويفرضونه قديماً منذ الأزل ، على أن
الكون المادي في عصرنا الحاضر وعلى ضوء تقدم العلم الحديث مجرد إنتاج
متشعب لحركة مستمرة ناشئة عن طاقة هي قوة عامة تحدث عن إشعاعات كونية
مطلقة وهذا الإشعاع النوري تدركه بنور آخر معنوي هو كفاية الإدراك فينا ،
والنور كله لله - قائماً بقدرته ومتحركاً بإرادته .

هذه حقيقة الوجود وهي حقيقة مبرهن عليها ولا ينكرها إلا جاهل أو متجاهل
أو متعلم قاصر لا يسير العلم في تطوره ، ولا النتائج العلمية التي يؤدي إليها ذلك
المنطور . والنتيجة المستخلصة من كل هذا أن لا وجود بحق إلا للموجود المطلق
الواحد الأحد ، المنزه عن القيود والحدود والزمان والمكان وهو « الله » جل
جلاله وعظمته مشيئته ، وتعالى عن سائر الامكانيات ذاته وتقدس عن الاشياء
والنظائر أسمائه وصفاته . (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)

معجم مصطلحات الصوفية

(باب الألف)

الألف : إشارة إلى الذات الاحدية . من حيث انها أول حروف الاسم الإلهي الجليل .

الاتحاد : هو شهود الحق من غير حلول أو ملابسة كما يحدث من الأجسام للأجسام .

الاتصال : اتصال مدد الوجود وتجلي الرحمن على العبد .

الاحد : اسم الذات الاعلى .

الاحدية : اعتبارها مع اسقاط الجمع للمخلوقات .

الاحسان : هو التحقق بالعبودية والنظر للربوبية بنور البصيرة .

الارادة : هي جرة من نار المحبة في القلب تبعث على العمل .

الاسم : اسم الذات العليا .

الاسماء الذاتية : الاسماء الارادية .

الاسم الأعظم : الله جل جلاله وهو علم على الذات .

الاصطلام : الوله الغالب على القلب .

الاعيان الثابتة : حقائق الممكنات الثابتة في علم الحق تعالى .

الافراد : هما الرجال الخارجون عن نظر القطب .

الافق المبين : هو نهاية مقام القلب .

الافق الأعلى : نهاية مقام الروح : الحضرة الالهية ، المعية مع الحق .

الامامان : الشخصان اللذان أحدهما يكون عن يمين الغوث والثاني عن يساره .

ام الكتاب : الفاتحة أو مجلى الحق .

الآنية : الحقيقة التي يضاف إليها كل شئ . من العبد كقوله نفسى وروحى .

والآنية : تحقق الوجود العيني من حيث رقبته الذاتية .

الازعاج : تحرك القلب إلى الله بتأثير سماع الوعظ .

أتمه الاسماء : الاسماء السبعة الاول المسماة بالاسماء الالهية وهى الحى والعالم والمريد والقادر والسميع والبصير والمنكلم .
الانس : الخروج من القبض والبسط والشعور بالكينونه فى حضرة الحق والانتناس به .

الاثبات : اقامة أحكام العبادة .
الاستقامة : درجة بها يكال الامور .
الاخلاص : مالا يكون للنفس فيه حقل .
الادب : اجتماع خصال الخير فى نفس السالك .

باب الباء

الباء : يشار بها إلى أول الموجودات الممكنة وهى المرتبة الثانية من الوجود .
باب الابواب : وهو التوبة : وهى الرجوع إلى الحق تعالى بالقلب .
والنفس والجوارح .

البارقة : لحظة آتية من الجناب المقدس .
الباطل : ماسوى الحق وهو العدم .
البدنة : كناية عن النفس القاطعة لمراحل الطريق .
البرق : أول دعوات الدخول إلى حضرة الرب .
البرزخ : الحائل بين الشيتين .
البسط : فى مقام القلب وهو قبول المنة من الحق تعالى :
البصيرة : هى قوة القلب منورة بنور القدس التى بها يرى حقائق الوجود .
البوادر : ما ينفج القلب من الغيب .
بيت الحكمة : القلب الغالب عليه الاخلاص .
البيت المقدس : هو القلب الطاهر من التعلق بالفهم .
البيت المحرم : هو قلب الانسان الكامل الذى حرم عليه غير الحق تعالى .
البقاء : قيام الاوصاف المحمودة .
البعد : البعد عن التحقيق والتوفيق .

باب النساء

- التواجد : استدعاء الوجد .
- التلوين : صفة أرباب الأحوال .
- التمكين : صفة أهل الحقائق .
- النجلى : الخشوع التام للحق ليظهر له بالبصيرة منة منه .
- القوية : وعلامتها الندامة والرجوع إلى الحق بالكليه بعد التخلص من شوائب حظ النفس من الأغيار .
- التقوى : السير بالله وإلى الله والله بتمام التوجه إليه تعالى .
- التواضع : الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم .
- التوكل : الاطمئنان لقدر الحق وتقديره والتوجه إليه تعالى والاعتماد عليه .
- التصوف : الصفاء عموما . أو الانتماء إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لبس الصوف .
- التوحيد : الحكم بأن الله تعالى واحد .

(باب الجيم)

- الجلبة تقريب العبد لمنازل الحق .
- الجسد : ما ظهر من الأرواح الغيبية وتمثل في جسم نورى أو نارى .
- الجلالة : ظهور الذات المقدسة لذاته بذاته .
- الجلال : احتجاب الحق تعالى بعزته عنا .
- الجمال هو تجليه بوجهه لذاته في مظاهره لأذواق عباده .
- جمالك فى كل الحقائق سافر وليس له إلا جلالك سائر الجمعية : اجتماع الهمة فى التوجه إلى الله .
- الجمع : شهود الحق بلا خلق .
- جمع الجمع : شهود الخلق قائما بالحق ويسمى الفرق بين الجمع .
- جنة الصفات : الجنة المعنوية من تجليات الصفات والاسماء الالهية وهى جنة القلب فى الدنيا .

جنة الذات : مشاهدة الجمال الاحدى وهى جنة الروح .
الجنائب : هم السائرون الى الله فى منازل النفوس .
جنتا الطلب : الوجوبيه والامكانيه .
الجوع : الامساك عن الاكل .
الجود : السخاء .

(باب الحاء)

الحال : معنى يرد على القلب من غير تعمد .
الحقيقه : مشاهدة الربوبيه .
حق اليقين : ما كان بنعت العيان وهو لاصحاب المعارف .
الحجاب : انطباع الصور الكونية فى القلب ، مانعه لقبول تجلى الحق .
الحزن : حال يقبض القلب عن التفرق فى اوديه الغفلة .
حفظ العهد : الوقوف عند حدود الله التى حددها للعبد .
الحسد : العداة للنعمه والجور لفضاء الحق تعالى .
حقيقه الحقائق الذات العليا .
الحياه : انقباض القلب لتعظيم الرب .
الحكمه الكويه : العلم بحقائق الاشياء .
الحكمه المسكوت عليها : اسرار الحقيقه .
الحكمه المنطوق بها : هى علوم الشريعه والطريقه .
والحكمه الباطنه : وهى معرفه الحق وتفريده مع وجود الخاق .
الحضور : رجوع العبد الى احساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق أو الغيبه عن كل ذلك بالحق .

(باب الخاء)

الخلوه : العزلة عن الخلق بالحق تعالى .
الخلق الجديد : هو اتصال امداد الوجود بنفس الرحمن إلى كل ممكن لأن
الممكن معدوم بذاته .

الخوف الهروب من الله إلى الله .
الخواطر : خطاب يرد على الضائر .
الخشوع : قيام القلب بين يدي الحق خاشعا .
الخلق : جمع الصفات المحمودة .

(باب الدال)

الدبور : ريح تأتي من جهة الغرب وهي هنا صولة داعية هوى النفس .
الدرة البيضاء : العقل الاول لقوله صلى الله عليه وسلم (أول ما خلق الله
الدرة البيضاء) وقوله (أول ما خلق الله العقل) .
الدعاء : مفتاح الحاجه إلى الله وهو طلبه واللجوء إليه .

(باب الذال)

الذوق : التعبير عن ثمرات التجلي .
الذكر : النداء له بالقلب واللسان .
ذخائر الله : قوم من أوليائه يدفع بهم البلاء عن عباده .
ذو العقل هو الذي يرى الخلق ظاهرا والحق باطنا .
ذو العين : هو الذي يرى الحق ظاهرا والخلق باطنا .

(باب الراء)

الروح : هبة الحياة ونور الله المفاض على عبده فهي روحه .
الرجا : لما يؤمل في الاستقبال .
الرضا : عدم الاعتراض على الحكم والقضاء .
رب الارباب : هو الحق تعالى .
رتب الاسماء : ذاتية ووصفية وفعلية .
الرب : اسم للحق تعالى .
الراعى : هو المتحقق بمعرفة العلوم السياسية النفسية المتمكن من تدبير
النظام .

(باب الزاى)

الزهد : رفض الحرام والافلال من الحلال .

(باب السين)

السكر : غيبة بوادر شهود الخلق .

الستر : التغطية بالتعامل

السر : وديعة القلب كالارواح

السفر : القيام والنووجه للغرض

السابقة : العناية الالهية

الستائر : صور الاكوان

سجود القلب : فناؤه فى الحق .

سدرة المنتهى : البرزخية الكبرى التى ينتهى إليها سير الكمل

سر العلم : حقيقة العالم .

سر الحقيقة : ما لا يفشى من حقيقة الحق

(باب الشين)

الشريعة : أمر بالتزام العبودية .

الشرب : الرى من ثمرات التجلى .

الشاهد : وهو ما يكون حاضر قلب الانسان من التجلى .

الشفع : هو الخلق .

الشكر : الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع .

الشيخ : هو الانسان الكامل فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة .

الشوق : رجاء لقاء الله تعالى :

الشؤون : هى الافعال الالهية . والشئون الذاتية شئون الله فى عباده .

(باب الصاد)

الصحو : الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة .

الصبا : الدراعى الباعثة على الخير .

الصمت : السكوت مع الانقباض والخشوع .
صاحب الزمان والوقت والحال : المطلع على حقائق الاشياء .
الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وهو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى .

الصدق : القول بالحق والعمل والتوجه والسير بالحق إلى الحق .
الصعق . الفناء في الحق بالتجلى الذاتي .
الصحبة : المرافقه بالمواقفه .
صوامع الذكر : المواطن المعنويه التي تصون الذاكر عن التفرق .

(باب الطاء)

الطريقه : السبيل القاصد إلى محبه الله وعداء الشيطان .
الطب الروحاني : العلم بعلاج القلوب وآفات وأدوائها .
الطوالع : من صفات أصحاب البدايات الصاعدين في الرقي بالقلب .
الطاهر : من عصمه الله عن المخالقات .

(باب العين)

علم اليقين : ما كان بشرط البرهان وهو لأرباب العقول .
عالم الجبروت : عالم الأسماء والصفات الالهيه .
عين اليقين : ما كان بحكم البيان وهو لأصحاب المعارف .
عالم الحقائق وعالم الملك وعالم الشهادة . هو عالم الأجسام والجسمانيات .
العزلة : من أمارات الوصلة وهي اعتزال الحفصال المذمومه .
العار العظيم والمقت الكبير : هو نقض العهد وعدم الوفاء بالوعد .
العبادة : ظاهريه التذلل للعامة . والعبوديه صدق القصد للخاصه .

(باب الفين)

الغيبه : غيبه القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بماورد عليه من الغيب .

الغيبية : ما ذكر في الآيه للكريمه (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) .
الغراب : كناية عن الجسم الكلى لكونه في غاية البعد من عالم القدس
والحضرة الأحديّة .

الغشا والغشاوة . ما يركب وجه مرآة القلب من الصدا ويحجب عين البصيرة .
الغوث . هو القطب حينما يلتجأ إليه - غيب الهوية والغيب المطلق : هو ذات
الحق باعتبار تجرّدها من الاسم والصفة الغيب المكنون : هو سر الذات وكهها .

(باب الفاء)

الفتح : ما يقابل الرأى من تفصيل المادة المطلقة بصورها النوعية .
الفتوح : كل ما يفتح به على العبد من الله - الفتح القريب : الفتح على العبد من مقام القلب .
الفتح المبين : هو ما انفتح على العبد من مقام التجليات والولاية من الاسماء الالهية
المتعينة بصفات القلب وكالاته - الفتح المطلق : وهو فتح باب الوحدة والاستغراق
في الجمع المطلق - الفترة : هي خلود حرارة الطلب اللازمة للبدايه .

الفرق الاول : هو الاحتجاب بالخلق عن الحق - الفرق الثاني : هو شهود قيام
الخلق بالحق - الفرقان : هو العلم التفصيلي الذي يفرق بين الحق والباطل .
الفناء : سقوط الاوصاف المذمومة - الفتوة : أن يكون العبد أبدا في أمر غيره .
الفراسه : خاطر يهجم على القلب فينتفى ما يضاذه .

(باب القاف)

القابليه الاولى : اليقين الاول - القبض : وحشة القلب .
القدم : السابقة التي حكم الحق بها للعبد .
القطب : هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان .
القطبانيه الكبرى : هي مرتبه قطب الاقطاب وهو باطن النبوة للرسول ﷺ
القلب : جوهر نوراني مجرد يتوسط بين الروح والنفس ، وهو الذي تتحقق
به الانسانيه ويسميه الحكماء النفس الناطقه . والروح الباطنه ، والنفس الحيوانيه
هي المتوسطه بينه وبين الجسد .

القيامة : الانبعاث بعد الموت - القناعة : الحياة الطيبة

(باب السكاف)

الكتاب المبين : اللوح المحفوظ المراد بقوله تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) - الكل : اسم للحق تعالى .
الكنود : في الشريعة تارك الفرائض : وفي الطريقة تارك الفضائل في الحقيقة
من أراد شيئاً لم يرده الله تعالى .

(باب اللام)

اللائحه : ما يلوح من نور التجلي - اللب : العقل المنور بنور القدس .
اللبس : الصورة العنصرية التي تلبس الحقائق الروحانية .
الأسن : ما يقع به الإفصاح الإلهي للأذان الواعية .
لسان الحق : الإنسان الكامل المتكلم بالله .
الوابع : أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس اصفية الطاهرة
فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك .
ليلة القدر : ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة
إلى محبوبه .

(باب الميم)

ماء القدس : العلم الذي يظهر النفس من دنس الطبائع .
مبادئ النهايات : هي فروض العبادات .
مبنى النصف : التمسك بالافتقار والتحقيق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار
المجذوب . من اصطغفه الحق لنفسه واصطفاه لحضرة انسه .
المجال الكلية والمطالع : بدايات الأحوال ومفاتيح الغيوب التي تفتح بها مناقق
الأبواب المسدودة بين ظاهر الوجود وباطنه .
مجلى الاسماء الفعلية : المراتب الكونية التي هي أجزاء العالم وآثار الأفعال .
مجمع الأهواء : هو حضرة الجمال المطلق - مجمع الاضداد : الهوية المطلقة .

المحبة الأصلية . محبة الذات عينها لذاتها .
محو أرباب السرائر . هو إزالة العلل والآفات .
محو أرباب الظواهر . هو رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة .
محو الجمع والمحو الحقيقي . فناء السكثرة في الوحدة .
محو العبودية ومحو العبد . هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان .
المحق . فناء وجود العبد في ذات الحق - المحاضرة . حضور القلب مع الحق .
المحاذاة . حضوره مع قلبه بمرافقة تذهله عما سوى الله حتى لا يرى غيره لغيبته
عن كل شيء - المحادثات . خطاب الحق للعبد .
المخدع . موضع ستر القلب عن الأفراد الواصلين .
المدد الوجودي هو وصول كل ما يحتاج إليه الممكن في وجوده على الولاء .
المراتب الكلية ، ستة : مرتبة الذات الاحدية ومرتبة الحضرة الالهية ومرتبة
للفنوس العالمة وهي عالم المثال وعالم الملكوت ومرتبة عالم الملك وهو عالم الشهادة
ومرتبة السكون الجامع وهو الانسان الكامل .
مرآة السكون : هي الوجود المضاف للقلب - المسامرة : محادثه الحق للعبد في سره .
مستوى الاسم الاعظم : قلب الانسان الكامل - مستند المعرفة : الحضرة الواحدية
المستهلك : هو العاني في الذات الاحديه .
المستريح من العباد : من اطلعه الله على سر القدر .
مشارك الفتح : هي التجليات الاسمائية
مشارك شمس الحقيقة : التجليات الذاتية قبل الفناء .
مشرق الضمائر . من اطلعه الله تعالى على ضمائر الناس .
المضاهاة بين الشؤون والحقائق : هي ترتب الحقائق الكونية على الحقائق
الإلهية التي هي الاسماء وترتب الاسماء على الشؤون الذاتية :
المضاهاة اللبس الحاصل بين الحضرة والأكوان . إن تساب الأكوان إلى حضرة
الوجوب وحضرة الامكان وحضرة الجمع بينهما .
المطالعة . لمحات الحق في قلوب العارفين

معالم ابواب الصفات : هي الاعضاء كالعين والأذن .
 مغرب الشمس : هو استتار الحق بتعييناته واستتار الروح بالجسد .
 المعلم الأول ومعلم الملك ، آدم عليه السلام
 المفيض اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم - المقام ، هو استيفاء حقوق المراسم
 مقام التنزل الرباني ، ظهور الوجود الحقاني في مراتب التعيينات
 المكانة ، أرفع المنازل عند الله - السكر ، ترادف النعم مع المخالفة
 الملك ، عالم الشهادة - الملكوت ، عالم الغيب
 مالك الملك ، الحق تعالى - ممد الحمم ، الرسول صلى الله عليه وسلم
 المناصفة ، حسن المعاملة
 المنهج الاول ، إلتقاء الواحدية عن الوحدة الذاتية ؛ المنقطع الوجداني ؛ محل
 انقطاع الاغيار
 منتهى المعرفة . الحضرة الواحدية .
 المهيمون . الملائكة المهمة في شهود جمال الحق .
 الموت : قبح هوى النفس - الموت الأبيض : الجوع .
 الموت الأخضر . لبس الخاق - الموت الأسود . احتمال أذى الخلق .
 الميزان . ما به يتوصل الإنسان إلى معرفة الآراء الصائبة والأقوال السديدة
 والأفعال الجميلة .
 المكاشفة - حضور بنعت البيان غير مفتقر إلى تأمل في الدليل أو تطلب
 السبيل ولا مستوحش من دواعي الريب ولا محجوب عن نعوت الغيب
 المشاهدة - حضور الحق من غير بقاء تهمة ارتياب
 المجاهدة فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها
 المراقبة - أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
 مخالفة النفس - عصيانها فيما تمنح إليه
 (باب النون)

النبوة - هي الاخبار عن الحقائق الآلهية وهي على قسمين نبوة التعريف
 وهي الأنباء عن معرفة الذات والأسماء والصفات ، والثانية ، التشريع وهي جمع

ذلك مع تبليغ الاحكام والتأديب بالاخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة
وهي الرسالة

النجباء - هم الاربعون القائمون باصلاح شؤون السالكين
النفس الرحمانى - الوجود الاضافى الواحدانى بمحققته المتكثرة بصور المعانى
النفس - هي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية
النفس الامارة هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتوجب صاحبها عن الرشد
النفس اللوامة - هي التي تنورت بنور القلب تنوراً ما
النفس الملهمة - هي التي ألهمها الله الفارق بين طريق الهدى وطريق الضلال
النفس المطمئنة - هي التي تم نورها بنور القاب بالكلية فاطمأنت إلى ربها
ورجعت إليه

نهاية السفر الاول - هو رفع حجاب الكثرة عن وجه الوحدة
نهاية السفر الثاني - هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلية المستبطنة
نهاية السفر الثالث - هو زوال التقيد بالضدين باطناً وظاهراً بالحصول في
أحادية عين الجمع

نهاية السفر الرابع - شهود اضمحلال الخلق في الحق
النوال - هبة الحق لأهل القرب
النون - العلم الاجمالى في الحضرة الاحادية
النور - اسم من أسماء الله تعالى
نور الانوار - سر الحق تعالى

(باب الهاء)

الهاء - اعتبار الذات بحسب الحضور والوجود
اللهو - الغيبة والفقد

همة الافاقة - الباعثة على طلب الباقي وترك الغنى - أولى درجات الهمة
همة الانفة - هي الدرجة الثانية الثابتة ، وهي تورث صاحبها الانفة من

طلب الأجر على العمل

همة أرباب الهمم العالية - هي الدرجة الثالثة والتي لا تتعاق إلا بالحق

الهوى - ميل النفس إلى مقتضيات الطبع

الهواجس - الخواطر النفسانية

الهواجم - ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تعمد للعبد

الهيولى - اسم للشيء بنسبته إلى ما يظهر فيه من الصور - كل باطن يظهر فيه

صورة يسمونه هيولى

الهيبة - الخشية من الله والانس به

باب السوار

الوار : هو الوجه المطلق في الكل .

الواحدية : اعتبار الذات من حيث انتشار الأسماء منها وواحديتها بها مع
تكثرها بالصفات .

الواحد : اسم الذات بهذا الاعتبار .

الوارد : كل ما يرد على القلب من المعاني من غير تعمد من العبد .

الواقعة : ما يرد على القلب من المعاني من عالم الغيب باستعداد لها في العبد .

واسطة الفيض وواسطة المدد : هو الإنسان الكامل الذي هو الواسطة

بين الحق والخلق .

الوتر : هو الذات باعتبار سقوط جميع الاعتبارات فإن الأحدية لانسبة لها .

الوجود : وجدان الحق ذاته بذاته ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود .

وجهتها العناية : هما الجذبة والسلوك اللذان هما وجهتا الهداية .

وجه الحق : هو ما به يكون كل شيء حقا إذ لاحقيقة لشيء إلا به .

وجهة جميع العابدين : هي الحضرة الإلهية .

الوصف الذاتي للحق : هو أحدية الجمع والوجوب الذاتي والغنى عن العالمين .

الوصف الذاتي للخلق : هو الامكان الذاتي والفقر الذاتي .

الوصل : هو وحده الحقيقة الواحدة بين البطون والظهور .

وصل الفصل : شعب الصدع وجبر الكسر وجمع الفرق كما أن فصل الوصل :
ظهور السكرة في الوحدة .

وصل الوصل - العود بعد الذهاب والعروج بعد النزول والوصول بعد القطيعة .
الوفاء بالعهد - العبادة للعوام والعبودية للخواص .
الوقت - ما حضر في الحال .
الوقت الدائم - وهو كناية الديمومة .
الوقف - هي التوقف بين المقامين لقضاء ما بقى عليه من حقوق المقام الاول .
الوقوف الصادق - هو الوقوف مع مراد الحق .
الولى - من تولى الحق أمره وحفظه من العصيان .
والولاية - هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك بتولى الحق إياه
حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين .
الورع - ترك الشهوات .

باب الياء

الياقوتة الخراء - هي النفس السكلية لامتزاج نوريتها بظلمة التعالق بالجسم
بخلاف العقل المفارق المعبر عنه بالدرة البيضاء .
يوم الجمعة - وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع .
اليقين - هو العلم المستودع في القلوب - وعلمه العيان - وحقه الشهود .

تم بعون الله كتاب الحقيقة

قد تلقينا ماجاء في هذا المجلد من كتاب المفتاح وكتاب الشريعة وكتاب الطريقة
وكتاب الحقيقة عن سيدنا وشيخنا وقدوتنا إلى ربنا السيد محمود أبو الفيض المنوفي
قراءة وإملاء بالزاوية العامرة القريبة من الرحاب الزينية بمصر .

القاهرة في سنة ١٣٨٠ هجرية - الموافق لسنة ١٩٦٠ ميلادية .

عزى زكى محمد الشعراوي
خادم الطريقة البهائية

مَا نَزَّ قَوْلُنَا إِلَى الْفَيْضِ
وَضَعَهَا بَعْضُ رِجَالِ الطَّرِيقَةِ الْفَيْضِيَّةِ

رسالة جمعها بعض رجال الطريقة الفيزية الشاذلية في
حكم وأقوال ومآثر وحياة شيخهم السيد محمود أبي الفيز
المنوفي للشاذلي الحسيني رضي الله عنه .

(نسب سيدنا ومولانا السيد محمود أبو الفيض المنوفى رضى الله عنه)

الحمد لله الذى شرف آل بيت نبينا وجعل لهم نورا ساطعا وبرهانا منيرا
وألبسهم خلع البهاء والمكالم وحلاهم بالنقى وحسن الخصال ومدحهم فى كتابه العزيز
الذى أنزله على جدهم صلى الله عليه وسلم فكان للناس بشيرا ونذيرا وتعظيما لشأنهم
وتوقيرا قال تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)
نحمده سبحانه الذى شرفنا بهم وجعل شيخنا رضى الله عنه من أصلاهم ومن أسباط
النبي وذريته وجعلهم وارثين لنوره الذى خصص بعترته الطيبة الطاهرة وهذا
للى العمل بكتاب الله وسنته وأتم نعمته علينا ورضى لنا الإسلام ديننا وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مقصر فى شكره ضعيف عن حمل
أمانته إلا أن يعينه ويؤيده ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ذلك النبى الكريم الذى كان لحنانه وتعاطفه وتودده
وتواضعه يحمل أحيانا الحسن والحسين على ظهره أو يجلسهما على حجره وعلى
آله الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله ولم يغيروا تغيرا .

وبعد فهذه نسبة علوية وشجرة قرشية أصلها ثابت فى الأرض وفرعها فى السماء .
وقد جعل الله شيخنا بفضلته وعنايته وبرحمته منه فرعا من تلك الشجرة الزاهرة
وهذا نسبه رضى الله عنه مستخرجا من بحر الانساب المودع بنقابة الأشراف . فهو
السيد محمود أبو الفيض وأخوه إبراهيم وحسن أبناء السيد على بن السيد عمر بن السيد
إبراهيم أبو ماضى بن السيد ماضى بن السيد موسى بن السيد جعفر بن السيد الأمير
حمد ابن السيد أبو الجعافر بن السيد يوسف المغربى بن السيد إبراهيم بن السيد
عبد المحسن الفامى بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد موسى بن السيد يحيى
بن السيد عيسى بن السيد على النقى بن السيد الإمام محمد المهدي بن الإمام حسن
للعسكرى بن السيد على الهادى بن السيد الإمام على الجواد بن السيد الإمام على
الرضا بن السيد الإمام موسى الكاظم بن السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام
محمد الباقر بن السيد الإمام على زين العابدين بن السيد الإمام الحسين بن على بن أبى طالب
وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مولده رضى الله عنه

ولد أستاذنا ومولانا السيد محمود أبو الفيض المنوف بمدينة منف من مديريات
مصر ومن عائلة تنتمي إلى السادة الأشراف عن طريق سيدنا الحسين بن علي بن أبي
طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها . ولد في ٢٣ ذو القعدة عام ١٣١٢ هـ الموافق ٣١ مايو
عام ١٨٩٢ م ونشأ في بيت علمي وكان والده من كبار رجال الأزهر والقضاء وعمه
كان من كبار رجال الله الصالحين ومن صلاح الأسرة وهبوا المولود وهو سيدنا
ومولانا السيد أبو الفيض المنوف رضى الله عنه ، ولما وجد فيه من مخايل الخير والميل للحق
ولذلك بحث عنه أحد كبار مشايخ الطريق إلى الله في كل مكان ليبيعه لأن الله أمره
وأخبره باسمه ومكانه في المنام بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه واستأذن والده
في مبايعة نجله الكريم على عهد الله وميثاقه فرحب الوالد وأذن له بكل سرور وكان
يومئذ سيدنا ومولانا صغيرا فبايعه الشيخ وباركه وأوصى والده خيرا بولده المبارك .
ومن هنا وجهته العناية الإلهية إليها . فأحب الحقيقة فتي وتعرف إليها شابا .
وأثابه الله الحكمه كهلا وترامت له أعقاب الألوهية شيخا ولا مطلب له من الله
في الدارين لإتمام العفو والعافية والرضى الإلهي في الحياتين وذلك حسبه وكفى .
فهذا هو المنى والحنى والسعادة العظمى . فالله اعطه ما سأل فهو أكرم الخلق
علينا في هذا العصر وأكرمنا بكرامته وبارك لنا فيه كما باركت على سيدنا محمد
وعلى آل محمد يارب العالمين .

فالسيد محمود أبو الفيض المنوف أول داع في الديار المصرية بعد جمال الدين
الأفغانى والشيخ محمد عبده للأصلاحين الدينى والاجتماعى وأول مؤسس مجلة
إسلامية في ذلك العهد حيث لا مجلات ولا جماعات اسلامية وهى مجلة لواء
الإسلام عام ١٩٢٢ وأن الأزهر بعد صدور لواء الإسلام بمدة أصدر نور الإسلام
ثم مجلة الأزهر ثم أصدر الأستاذ أمين عبد الرحمن مجلة الاسلام بعد ذلك وقد
عين سماحة مؤسس الفيضين شيخنا لعموم السادة الفيضية الشاذلية بالبلاد المصرية
حين ذاك وكان يعقد المحاضرات بدار الفيضيين بشبرا بشارع التربة البولاقية
ويحضرها صفوة الفضلاء من أولى التصوف والعلم والأدب وذلك من عام ١٩١٨

إلى عام ١٩٢٦ م وفي عام ١٩٢٧ م أسس الكلية الصوفية والفلسفية بعمارة زغيب بميدان الأبرار بالقاهرة إلى عام ١٩٣٣ م وأهداها السيد الاستاذ إلى أحمد حمزة ثم أصدر بعدها مجلة الهلال ، وهي مجلة في ظاهرها التنشيط وفي باطنها الحكمة والتبكيث ثم أصدر بعدها العالم الاسلامي ، وتصدر إلى الآن . وهي مجلة دينية علمية فلسفية تجمع بين هدى الايمان ونور العرفان ، والتوصل بقراءها الدائم إلى المعرفة الحقة فضلا عن أنها لسان حال للطرق الصوفية قبل إصدار مجلتهم المعروفة وبعد إصدارها صارت معاونته لمجلتنا في مضمنا الخير . والآن نذكر لكم أيها السادة طرقا من أخلاقه وبعض سجايه بقدر ما نستطيع وكذلك بعضا من آدابه وحكمه وأقواله النفسية والأخلاقية والدينية والعلمية والصوفية وكذلك عن تعبيره عن الحقيقة الكبرى في (كتاب الوجود) وكتاب (وحدة الدين والفلسفة والعلم) على هامش كتاب الوجود وله غير ذلك مؤلفات عديدة ، وأما عن حياته فليست كحياة العلماء والمفكرين وإنما هي حياة عبد خصه الله بشئ لم يختص به كثير من عبادته من قنوح وإلهام وفيوضات إلهية لأنه خلق ليعرف الحقيقة ويدعو الناس في كل الميادين من ميدان الصحافة وميدان الفن من ميدان الدين وميدان الفلسفة والعلم وذروة هذا كله ميدان التصوف الحق الذي بزقه أهل عصره لأنه علم من أعلام رجال التصوف لجزاه الله عنا وعن الأمة الاسلامية والعالم أجمع خير الجزاء . وقصدي من ذلك كله أن نعرف شيخنا في علمه وجهاده وإذا أردنا أن نعرفه حق المعرفة فنتوجه إلى الله عن طريق التصوف نجده هناك ههنا وهذا حسبى وكفى .

أما الكلام عن أخلاقه فعملنا بها كما يأتي .

يا كاسي الاخلاق في زمن عن الاخلاق عارى
يا عاشق الخلق العر يح وشأنه الخلق المواري
لم يجر في ناديك هجر القول أو خلق المداير
جم التواضع والتواضع آية القوم الكبار

وأما عن الحلم والعدل والكمال ... فثله فثل قول القائل :

لقد عاشرتنا فلبثت فينا مثالا للنزاهة والكمال
بحلم كان محمود المزايا وعدل كان بمدود الظلال

أما عن زهده فثل قول القائل

يا من صدقت عن الدنيا وزينتها فلم يفرك من دنياك مغريها

ماذا رأيت بأهل مصر حين رأوا أن يلبسوك من الأثواب زاهيا
فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلني وداخلتي فيه حال لست أدريها
وكاد يصبو إلى دنياكم (أمل) ويرتضى بيع باقيها بقانيها
أما عن الافادة والاستفادة والتعليم وعن أهمية كتاب الوجود : نقول :

بالأمس قد علمتنا أدب الكتابة والحوار
واليوم قد ألفتنا بالطيبات من الثمار
بكتابك في الوجود صنو الحقيقة والمنار
جاهدت في تفصيله وواصلت إليك بالثمار

ما عما فيه من عطف ورحمة فثل قول القائل :

في طي شدته أسرار مرحة للعالمين ولكن ليس يفشيها
وبين جنبه في أوفى صرامته فؤاد والده ترعى ذرارها

هذا ويحدثنا استاذنا عن السعادة فيقول :

إن كنت من الباحثين عن السعادة ، الراغبين في الحكمة ، الطامعين في رضا الحق
فاصغ لاسألك هل أنت على الهمة وثاب العزيمة ؟ هل أنت صادق القول والعمل
هل أنت مستقيم الطبع وسليم الفطرة ؟ هل تحب الله فوق كل شيء ؟ فإن لم تكن
هكذا فكن ، وبغير ذلك لن توفق إلى معرفة نفسك وروحانيتك ولا حقيقة إنسانيتك
ولا تشتم ربح السعادة والحريّة والحكمة ولا تبصر نور الحق ولا يمكنك أن تحيي حياة
الصدق وعباد الله المخلصين ما لم تتصف بهذه الصفات .

ثم يتكلم سيادته عن الغاية والمبدأ فيقول :

كن أنت وجميع أعمالك في الله لله ومن الله وإلى الله وليكن دملك وقفا على مقاصدك
وأغراضك وليكن أبدا مبدؤك إما الغاية وإما المنية في النهاية .

ثم يتحدث عن محبة الإخوان لبعضهم فيقول :

عش في إخوانك لإخوانك . معتقدا أن الجميع لك باذلا في معونتهم نفيسك
ونفسك فما أتم الروح واحدة في أجساد متعددة ، .

ويقول الإخلاص روح الأعمال وهو سر الله في خلقه . يمن به على من يشاء من عباده .

واستخلصنا ما اشتغلت عن الاعمال بالآفوال ، وعن الآخرة بمصائد الآمال ، أو انفعلت لغير الله بأى حال .

ثم يتحدث عن الصلاة والصيام والزكاة فيقول .

اعلم أن أفضل ما أدته جوارحك الصلاة ، لأنها صلة بين العبد ومولاه . والخشوع مع الحضور فيها كما لها . وخير طهور للنفس الصيام ، وصيانة للجوارح ملاكه ، وأعود أنواع البر على فاعله الزكاة ثم الصدقة سياجها ورأس الجميع خلوص النية وأفضلها ما صدر عن علم ، وخير العلم ما أيده العمل وأفضل العمل ما كان لله وحده .

ثم يتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول :

أيها الأخ أأمر بالمعروف وأحجب أهله ، وأنه عن المنكر بيدك وإسائك وقلمك ولا تكن من أهله وكن صديقا للحق وانصره حيث وجدته ، ولا تخش فيه لوما ولا ذما ولا ترج على صنيعك من غير الله أجرا وقل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا وكن مع الصادقين لئلا تكون منهم يوم ينفع الصادقين صدقهم . ثم يتحدث عن الثقة بالله فيقول .

ثق دائما بربك ، وثقه في الدين ، واطلب من العلم ما يثبت اليقين ، والجأ في المعونة لمولائك ، فإنك تلجأ إلى ركن متين وحصن حصين

ثم يتحدث عن الابتعاد عن الممالك فيقول .

لا تكن عبد شهوتك وقد خلقت حرا ولا تسلم قلبك لاهوائك فتبدل نعمة الله عليك بكفرا ولا تذل للدنيا فتسلك بك مسالك الردى وباطنية المسعى . ولا تخضع للهوى فإن الهوى عدو الهدى وشريك العمى . ثم يقول : كن دائما يقظا متحفظا . وأن نازعتك نفسك في أمر فاعصها واغلبها على أمرها . وسر في عكس طريقها واطلب غير مرادها يسأس لك قيادها ويكبح جماحها ويذل سلطانها .

ثم يرشد إلى الحقيقة فيقول

اعلم أنك خلقت للموت لا للحياة ، وللجهاد ولا للراحة ، وللإتلاء لا للعافية واعلم أنك عرضة الآفات ومرض المصائب والنائبات ولا سعادة لقلبك إلا في صحبة ربك . واعلم أن الذى وهبك الحياة هو المالك لموتك فاعمل على خلاص نفسك ، ومهد في حياتك لموتك ، واستخدم يومك لغدك ولا تكن عبدا إلا لربك . ويتكلم

عن المجد الحقيقي فيقول : يا له مجدا خالدا وعملا مجيدا أن تطلب العلم للعلم وأن تستخدم
الإنسانية لذاتها وتعرف الله

ثم ينهانا عن حب الدنيا فيقول :

لا تفتح لحب الدنيا نافذة قلبك . ولا تنجس برخيصة ملذاتها حظيرة نفسك
فيتفرق لك ويكثر همك ويكثر لك اشتى لاحتراق نفسه حملا من حطب ، أو
وضع رجله في قيد من ذهب . ثم يوجهنا إلى أعظم الأعمال فيقول :
عليك بذكر الله في جميع حالاتك وفي سائر أوقائك وحذار من الغفلة عنه في
كل لحظاتك ويكفيك في وجوبه القول المصون ، واذكروا الله كثيرا أيها
المؤمنون لعالمكم تفلحون ،

ثم يحثنا على مراقبة النفس فيقول

ولتكن لك ساعه في يومك وإياتك ترجع فيها إلى ربك مفكرا في
مبتدئك ومصيرك محاسبا نفسك على ما أسلفت من أيام عمرك ، فإن وجدت
خيرا فاشكر وإن وجدت نقصا فجاهد واصطبر .

ثم يحثنا على الصدق في القول والعمل والحال فيقول :

كن صادقا في قولك وعملك محبا للخير لجميع الناس كما تحبه لنفسك ، واعلم أن
جميع أفكارك أو هام باطله ما لم تكن إلى الله موجهة وبالصدق والاخلاص مكملة
ثم يحثنا على التمسك بالكمال دائما فيقول

تمسك بأذيال السكال طول حياتك واهرب من النقص بكل طاقتك . وعليك
بالصمت والتفكير في غالب أحيائك . وليكن كلامك نذرا قليلا إلا في حق تؤيده
أو خير تنشره وليكن دائما عملك أكثر من قولك وقولك أقل عما تسمع فإن مع الصمت
والسكون الوقار والسكينة فإذا حدثت فأنشد في حديثك وتكلم بأرادة ثابتة مشموله
بالافتناع يحذوه الاخلاص في جميع عباراتك وإشاراتك وحركاتك ونبرات صوتك
ثم يأمرنا بالعمل فيقول

اعط للعلم باكورة أيام عمرك وأصفي ساعات دهرك ، فإن العلم غذاء النفس
وضقال العقل ونور القلب وأحيه دائما بالعمل فتكمل إنسانيتك ويرتفع عند الله

والناس شأنك ، هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون ، ويقول في بيت له
إن حياة المرء أعماله فأقبل على الأعمال قبل التراب

فيأياها الأخ الكريم.. هذه لمعة وضئيه أرفها إليك للتعرف بهميدا الفيضيين وتلاميذه
الذين كانوا وما زالوا يعملون على نشر دعوته منذ أكثر من أربعين عاما في جميع
أنحاء العالم (مسلم وغير مسلم) يحملون مشعل النور فيضيء للجميع ويهدي إلى
الايمان الحق ونور العرفان وإلى الطريق المستقيم

ونختم نصائحه وآدابه العلية والدينية والاخلاقية والصوفية وهي الجم الكثير
بمختارات من قصيدته الوجدانية الثائية التي هي جوهره في السلوك وبخطاب بها
الحقيقة الربانية فيقول في مناجات الحقيقة

وجدت هواكم قاندى منذ نشأتى ففتيت عن الاكوان اذا كنت وجهى
ومصت بكم والحب فيكم مصاحبى مدى العمر والأشواق كانت مطبقى
فى القلب لم يخطر سواكم بخاطرى ومذكنت طفلا كان حبك قدوتى
إلى أن قال :

فيذكركم قلبى وما بحث باسمكم لغير فؤادى أو لغير سريرى
وما طمعت فى الحب نفسى لغيركم وما غير ذاتى قرب ذاتى أحبى
ولانى من القوم الذين تقيموا غراما وعهدى فى الهوى قبل خلقى
وفى القلب نيران وفى العين وحشة من الخلق والأسقام دوما قرينى
إلى أن قال

لحينما بحسكم الروح أطمع للعلا وتهبط بى حينما كثافة طينى
وطورا أرائى حاضرا غير غائب وطورا أرائى فى غياهب غفلى
فما يصنع العانى أسير جمالكم وشرط الهوى فيكم فناء الإرادة
إلى أن قال

فخلصنى من أسر الطبيعة واهدنى بنورك يا الله وأوصل قطيعى
وأنعم بتطهير الفؤاد من الهوى وجدلى بتوفيق ومن بأوية
ففى القرب روح الروح حقا وفى اللقا حياة لنفس فى الغرام اطمأنت

وفي البعد لوعات وفي القرب رحمة وفي الوصل راحت إذ الحب ملق

ثم تكلم عن بحثه عن الحقيقة وتحمله المشاق في سبيلها فقال

ولاني بليل قد منيت وساقني غرامي لذلي بين أهلي وعترتي
وكم من طريق للحمى قد سلكها وحملت فيها غصة بعد غصة
وقاسيت ما قاسيت من ألم الجوى وكرعت من كأس الهوى كل مرة
فلما قرعت الباب قصد لقاها خلعت لها جامي وعلمي ودعوتي
وحققت وصفي وهو ذلي لعزها وعاديت فيها حظ نفسي وعادتي
وجئت إليها خاضعا متضرعا منيها لها كيما تكون بجيتي
وعفرت خدي في التراب تذلا فكان فلاحى في افتقاري وفانتي
فألفيت عزى في أمثال لامرأها وترك مرادى في مراد الاحبة
ولما رأيت ذلي وعجزى ولوعتي تجلت إلى قلبي بمكنون حكمة
وقرني الساقى لجان شرابها فكان بها صحوى وسكرى ونشوى
وصارت تاجيني بحلو خطابها فشاهدتها لكن بعين بصيرتي
وعاينت أسراراً تسامت بذاتها ولاني أرى شرحى لها فوق طائفي

ثم ينصح تلاميذه وإخوانه بقوله إذا أرادوا أن يسلكوا مسلكه :

وأنت كذا إن رمت قرب ديارها تجرد لها عن وصف نفس خؤونة
وسر في هواها دائماً بحماها وطلق سواها واعتصم بالشريعه
وهاجر إليها من حظوظك قاطعا علائق طبع مؤثراً فضل عفه
رواظب وثابر واعتكف لمرادها وراع آداب الحب واخضع لخدمه
وقابل جفا المحبوب بالصبر واثبت لعل الرضا منك قريب فشئت
فقلبك طهر وامثل لأوامر وعمر لاوقات بذكر ويقظه
وصبر وتسليم وورد ملازما وأمر بمعروف وحفظ لحرمة
وصحبة شيخ وهى أصل طريقهم فما ثبتت أرض بغير فلاحه
وما سلمت في الحى شاة شريده ومن غير راع ما استقامت رعيه
ونفسك فاعرفها ولا تلك جاهلا بها فهى كنز بين جنبيك ضمت

ألم تر ضرب الله أمثال نوره لدى القلب بالمصباح ضمن زجاجه
فقلبك كالمصباح والنفس زيته وجسمك مشكاة وفيك الاضاءة
وذاذك مرآة وفكرك ضوءها وسرك عين والحقيقة صورة
لجاهد ترى تفصيل ما قلت واضحا فما ضاع عند الله مثقال ذرة
وكن كاملا للسر عن غير أهله ولا تفشه إلا لأهل البصيرة
إلى أن قال :

صلاة من الرحمن ربي وغالفي على مظهر الأسرار خمر الخليفة
مع الآل والأصحاب ما قال قائل وجدت هواكم قائدى منذ نشأتى
ففسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أستاذنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم ، أقول قولى هذا - واستغفر الله لى ولكم ،

طريقته رضى الله عنه

هذا وقد من الله علينا من فضله وعنايته بأن تتصل الطريقة الفيضية بأفضل مصادر
الشاذلية ومواردها الهنية وسلاسلها الذهبية المتينة الوثائق والعرى حتى تلتقى بخير
البرية وصفوة الأرومة العلوية والعمرة النبوية المطهرة فقد أخذ شيخنا أبو الفيض
المنوفى رضى الله عنه العهد بالطريقة الشاذلية القاسية والمدنية الظافرية والشاذلية
الخلوتية من طريق مرشد المريدين ومربي السالكين السيد محمد العقاد دفين طنطا
وجدد الميثاق على يد العارف المجاهد فى الله أخيه فى الطريق سيدى نسيم الدين الدرملى
وهما أخذوا الطريق عن سيدى محمد الوفاى وأخذ عن السيد حسنين الحصافى
للقبرك والحصافى والوفافى يجتمعان فى الأخذ عن سيدى محمد القاسى وهو أخذ عن
سيدى الشيخ القطب محمد ظافر المدنى وهو أخذ عن السيد الشريف مولانا العربى
الدرقاوى القاسى وهو عن القطب الشريف سيدى على الجمل العمرافى القاسى

وهو عن سيدى العربى بن أحمد بن عبد الله الفاسى وهو عن والده سيدى أحمد
 الفاسى وهو عن سيدى قائم الإخصاصى عن سيدى عبد الرحمن الفاسى عن سيدى
 عبد الله والد سيدى أحمد الفاسى عن سيدى يوسف عن سيدى عبد الرحمن المجذوب
 عن سيدى على الصنهاجى عن سيدى إبراهيم إرخام عن البحر الدفوق سيدى الشيخ
 أحمد دروق عن سيدى أحمد ابن عقبه الحضرمى عن سيدى الشريف يحيى القادري
 عن السيد على وفاعن والده بحر الصفا سيدى محمد وفا عن سيدى داود الباخرى عن
 سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم عن سيدى أحمد أبو العباس المرسى
 عن سيدى على أبي الحسن الشاذلى عن سيدى عبد السلام بن مشيش عن سيدى عبد الرحمن
 المدنى المطار عن تقي الدين الفقير (الفقيه بالنصير) عن سيدى فخر الدين عن سيدى نور
 الدين أبي الحسن عن سيدى تاج الدين عن سيدى شمس الدين بأرض الترك عن
 سيدى زين الدين القزوينى عن سيدى إبراهيم البهرى عن أبي القاسم بن مروان
 عن أبي محمد سعيد عن أبي محمد فتح السعود عن أبي سعيد الفزوانى عن سيدى أبي
 محمد جابر عن السبط سيدنا الحسن ابن الإمام على بن أبي طالب وأخذ الإمام على
 عن صفوة خالق الله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله أول خالق الله وخاتم أنبياء
 الله وأشفع الشافعين عند الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه آمين

(حياة ونسب سيدى أبي الحسن الشاذلى شيخنا رضى الله عنه)

هو أبو الحسن الشاذلى شيخنا وقد وتنا فى سبيل الله وفى طريق رسول الله الشيخ
 الكامل والولى الصديق الحبيب النسيب السيد أبو الحسن الشاذلى الحسى بن
 عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرم بن حاتم بن قصى بن يوسف
 بن يوشع بن ورد بن أبي بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن المثنى
 بن سيد شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين على بن أبي طالب
 كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولد رضى الله عنه ثلاثاً وتسعين وخمسمائة من الهجرة النبوية سنة ٥٩٣ هـ بقرية
 من قرى غمارة من إفريقية قريبة من سبته وهى بالمغرب الأقصى وتوفى سنة ٦٥٦ هـ
 ودفن بصحراء عذاب من صحارى صعيد مصر واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها

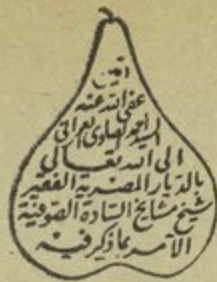
فقهها وسنة وتفسيرها . وكان رضى الله عنه فصيح اللسان عذب الكلام آدم اللون
نحيف الجسم طويل القامة خفيف العارضين طويل أصابع اليدين شين للكفين
وقد حكى عن نفسه رضى الله عنه فقال :

كنت في مبدأ أمرى أطالب العلم حتى حصلت منه على ما يكفينى وأردت أن أسألك
إلى الله طريقه . فرددت في هل أجوب البرارى والفقر أنفرغ للطاعة والأذكار ؟
أم ألزم المدن والأمصار للهداية والافتداء بالأخيار ؟ فوصف لى ولى برأس
الجليل الأخضر وهو سيدي عبد السلام بن مشيش فصعدت إليه فسمعتة
يقول : اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم لهم فرضوا عنك
بذلك . اللهم إني أسألك أعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك .
فلما دخلت عليه هبته وقلت له يا سيدي كيف حالك فقال أشكو إلى الله من برد
الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار . فقلت يا سيدي أما شكواي
من حر الاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم
فلماذا ؟ قال أخاب أن تشنأني حللوتهما عن الله تعالى قلت يا سيدي سمعتك البارحة
تقول اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا
منك بذلك : اللهم إني أسألك أعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك
فتبسم ثم قال يا بني عوض ما تقول سخر لى قل يارب كن لى .
أرى إذا كان الله لك . هل يفوتك شيء ؟

فطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلى رضى الله عنه تنسب إلى الشيخ عبد السلام
ابن مشيش والشيخ عبد السلام بن مشيش ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني ثم
واحدا عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كما ذكر . انتهى والله اعلم .

عن الاخوان الفيضين
حسن الراعى يوسف بالأزهر الشريف

(تم بموون الله)



مشيخة عموم الطرق الصوفية
الكنة الصوفية



صدر هذا التقرير الكريم الواجب تلبية الاحترام والتعظيم من مشيخة لادة الصوفية بالدار المصرية
أمر بتحريره وتطهيره صدر المصور النظام علامة العلماء الأعلام مولانا الأستاذ شيخ المشايخ الصوفية
صاحب السيادة والرياسة الأستاذ الشيخ أحمد الماوي الممراني زيد قدسه ودام علاه وممنون
هذا التقرير الشريف والمقلد المنف أنه لما رأى سماعة في حجرة المخطوطات في السيرة
أبو الفتح المصنف في الكفاية في الأعمال وصحت لديه من غلات الفضل والكمال فلهذه وطبعة مشيخة
الطريقة الفيضانية لهذا إليه

بناء على قرار صادر من المجلس الصوفي بتاريخ يوم ١٤٧٠ / ١٢ / ١٩٥٠ هـ / ١٢ / ١٩٥٠ م

وقرره في ذلك ومكته وثبه وأمره بتقوى الله تعالى التي هي شعار المؤمنين اجمعين وقد حضر الله
أولياءه عابداً وهداهم في حكم كتابها فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين وأمره بأرشادهم إلى الصراط المستقيم والنظر في قضاياهم بالعدل والانصاف وعدم المحور
والاعتداف وعليه أن يعمل على تطوير عقائدهم من كل ما يحالف الكتاب والسنن وتربية نفوسهم بأدله
الشريعة القراء والخدمة البيضاء حتى يتخلقوا بأخلاق العاقل ويصلوا إلى مرتبة الإنسان الكامل ويتزعموا
عن كل بدعة ذميمة وعادة غير مستقيمة وعليه أن يسعى في تأليف تقريره عمل الله والتقوى وأن لا يحلف
عنه أو يبيع إلا من كان حازراً من الفضل والكمال أو فسر نصب أملاً لقيام بما تقدم من الأعمال
ومن الله التوفيق وبلوغ الآمال

تحريراً في ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٠ هـ / ١٢ / ١٩٥٠ م شيخ مشايخ الطرق الصوفية

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

أحمد الماوي

١٩٥٠ / ١٢ / ١٩٥٠ هـ / ١٢ / ١٩٥٠ م

سكرتير المشيخة العامة
أحمد الماوي

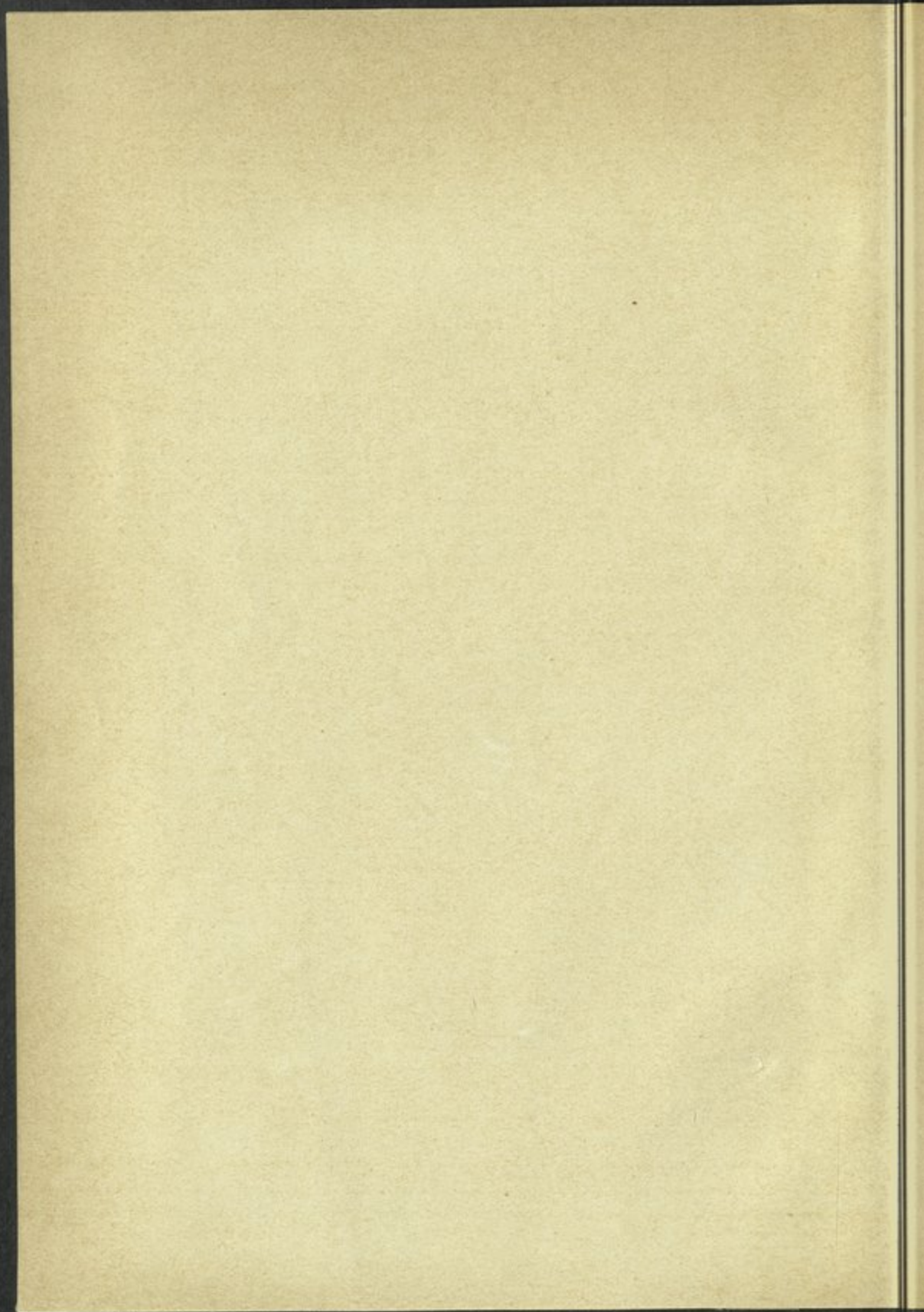
صورة للاجازة باعتماد ونشر الطريقة الفيضانية من مشيخة عموم الطرق الصوفية
بالمجمهورية العربية المتحدة

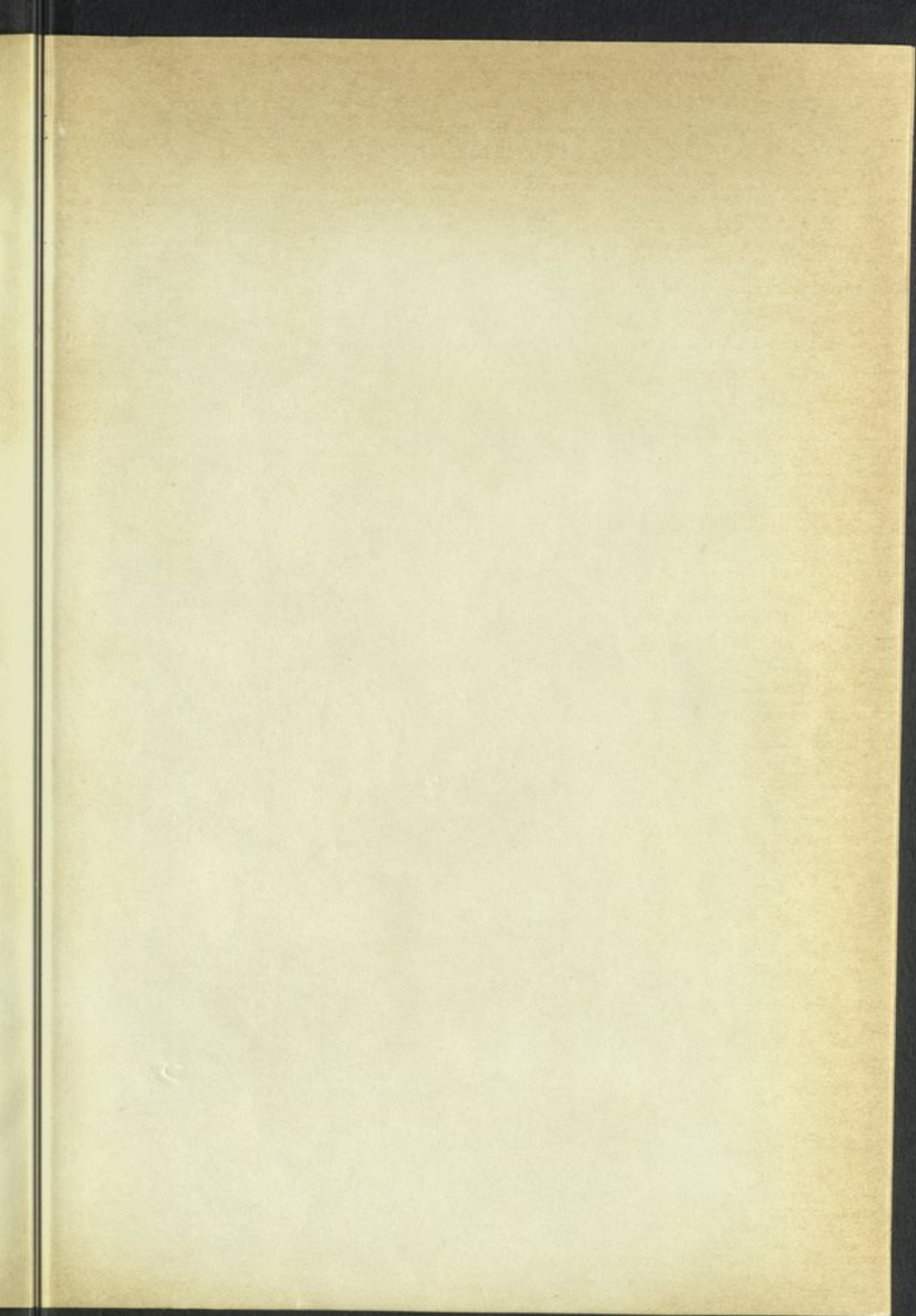
انظروا صهيحة لم يباشر المؤلف التصحيح بنفسه فالمرجو تصحيح هذه الأخطاء المطبعية قبل القراءة

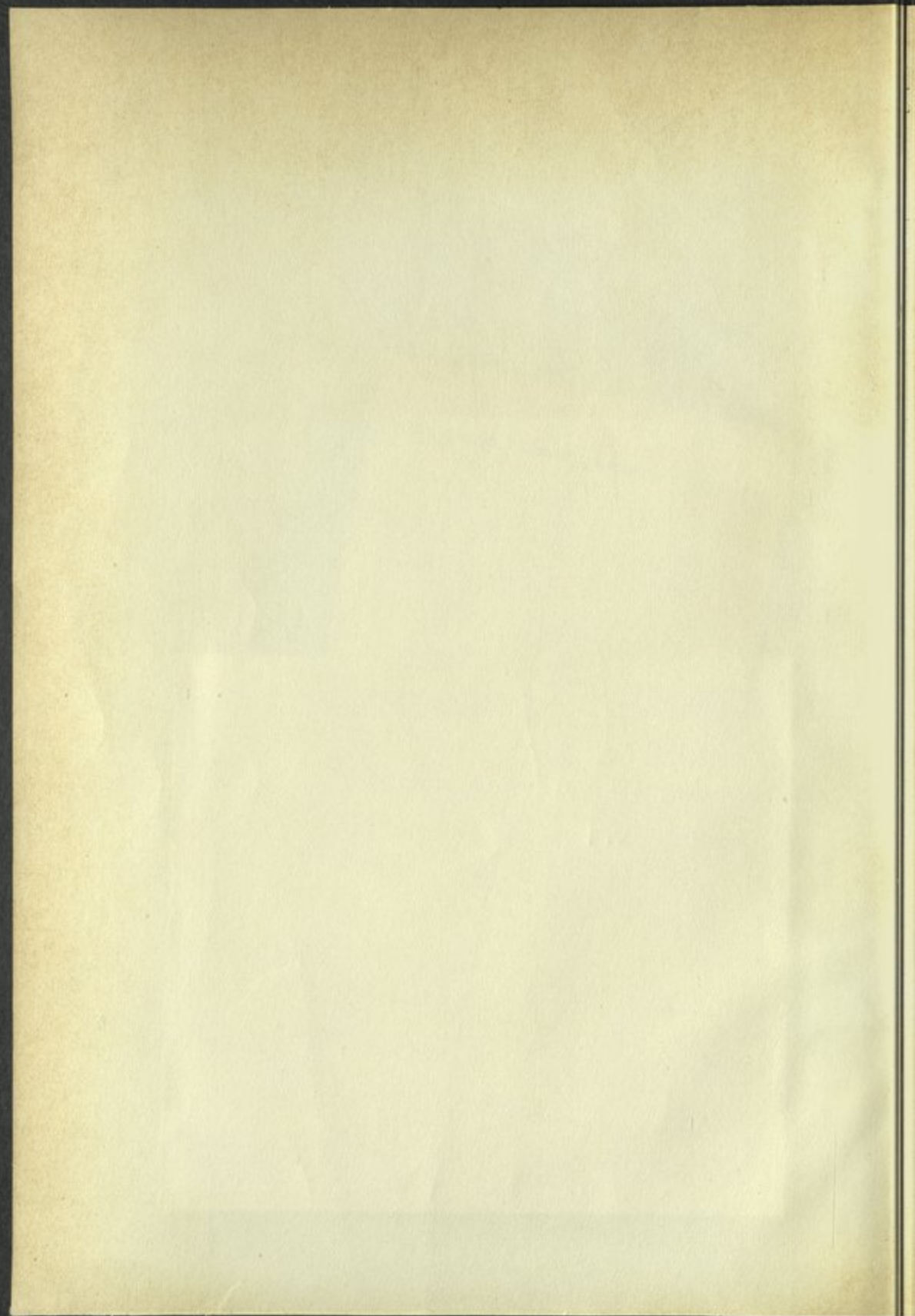
ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
٣	١٤	لارب له ولا	لارب ولا	٣٨	٣	الفلسفة	الفسافة
٥	١٤	جمره	جمهره	٤٩	١٣	الكربوك	الكربون
٨	١٢	الحاجه	الحاسة	٥٣	٦	فتحلهما	بتحلهما
٩	١٣	يتذكر	يذكر	٥٥	١٤	الشخص	الشخصي
١١	٧	وحقيقة	وحقائق	٥٦	١	سبع	سبعة
١٢	٦	كل تجليا	كله تجليا	٥٩	١١	فريقا	فرقا
١٣	٢	امتد	استمد	٦٠	٥	يتوحددا	يوحدها
١٤	٢	المجض الحق	بمحض الحق	٦٣	١١	متعاه	معناه
١٤	٦	التحقيق	التحليق	٧٩	٢٢	أر شروطها	أول شروطها
١٤	٧-٦	الحائق الهية	الحقائق الالهية	٨٢	١٥	ثلاث	ثلاثة
١٤	١٠	طاب	خاب	٩٤	١	ولا ولا	ولا أولا
١٤	٢١	لا يشر	لا يسبر	١٠٢	٤	خلق	خالق
١٤	٢٣	لما هيئ للنور	لتلقى النور	١٠٢	١٣	من القدوس	من القدس
١٥	١	مقادير	مخاطر	١٠٤	٤	بآه	بمساة
١٥	٢	تبخسوا	تبخسوا الناس	١٠٦	١٢	افاه	أفناه
١٥	٥	أخرى	أخى	١٠٦	٢٥	كمور	كون
١٥	١١	أن إغراق	إن أغراك	١١٠	١١	والكيفيات	والكيفية
١٥	١٦	نيفتسه	نيفشه	١١٣	١١	واوقات	والاوقات
١٦	١	يصد	يصعد	١١٣	١٧	موجود	موجودا
١٦	٧	وصلا	وصل	١١٥	١٧	ليلا	دليلا
١٦	٢٢	للعقليه	للعلية	١٢٠	٧	علم	عله
٢٦	٢٥	قادرين	قادرون عليها	١٢٠	١٢	ضرورة	ضرورة
٢١	٢٣	الاكيا	الاكتيال	١٢٢	١٦	الحيلة	الحياة
٢١	٢٤	الحق	إلى الحق	١٢٢	٢٠	الكثنات	الكائنات
٢٩	٢٤	الم	العام	١٢٢	٢٥	آيايا	آياتنا
٣٠	٨	نسها	نسقها	١٢٧	١٤	يؤمن	يؤمنون
٣٢	٣	والاجوبة	والتجربة	١٤١	١	لهوام	لهواه
٣٢	٤	جرد	بمجرد	١٤٣	١	الترفع	الترفع
٢٣	٢٥	والمسكانية	والمكائية	١٤٤	٩	يتعنق	يتعلق
٣٦	١٧-١٤	أولو	أولوا	١٤٨	٧	يمنع	يمنع

ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
٧	١٥٠	الشدان-القدر	الشيطان-القدر	١٩	٩٥	تسبن بكلة	تظنن بكلمة
٥	١٥٦	بآياننا	بآياتنا	١٠	١٩٥	نجد لها مر	نجد لها من
٥	١٦٢	أوفارة	الوفادة	١١	١٩٦	لثانها	لثباينها
٢	١٦٣	بالاسعاة	بالاستطاعة	٢	١٩٧	في شقى	في شىء
٤	١٦٣	العامت المتوزنة	الطاعات المتوزنة	٩	١٩٧	المخلص	المخلص
٨	١٦٤	توة	توبة	٤	١٩٨	النفس	النفس
١٣	١٦٤	لبصلك	ليصلك	٤	١٩٨	لعدارة	بالعداوه
٤	١٦٦	فتعى	فتفى	٩	١٩٨	أبو حمره	أوحزة
٦	١٦٦	حاليا	خاليا	١٤	١٩٨	الاوراء	الاوراد
٧	١٦٦	بالعا	بالعا	٢	٢٠٠	كادوا	فكابدوا
٩	١٦٦	المسكر	المنسكر	١٩	٢٠٠	لينفة هوا	ليتنفقهوا
٢	١٧١	الغار	الغار	١٧	٢٠١	وقل	وسعى
١٨	١٧١	لنجعلته ريبط	لنجعلنه ريبط	٢٤	٢٠١	بخالفا	بخالفا
٨	١٧٦	المعطوف	العواطف	٣	٢٠٢	بثت	بائيات
١٠	١٧٦	الافكار	الافتقار	١٢	٢٠٢	واليط	والتيقظ
٧	١٨٠	أسو	تأسوا	١٧	٢٠٣	عمله	بعمله
١٠	١٨٢	داه الدين	دواء الدين	٦	٢٠٥	لأنبات المسكرين	لأنبات المنسكرين
١٤	١٨٥	خلفتك	خافتك	٤	٢٠٦	أما	إسما
١	١٨٧	القاعة	القناعة	١٤	٢٠٦	ولارلة	ولزالة
٧	١٨٧	والخلال	والخلال	٢	٢٠٧	تمى لزيادة	تمى الزيادة
٨	١٨٧	لا يعدوا وتخلية	لا يعدو وتخلية	١٠	٢٠٧	لم تر	لم تر
٧	١٨٩	العين	الفتن	١١	٢٠٨	للطريق	للطريق
١٢	١٩٠	الانزار	الاعتزاز	٤	٢٠٩	شمود	شهود
١٠	١٩١	وآوا	وآنوا	٢٠	٢٠٩	الطمانينه	المطمئنة
١١	١٩١	المسكر	المنسكر	١	٢١٠	السكى	الكاسى
٢	١٩٤	افعه لانتاع	أفعاله لامتناع	٥	٢١٠	زكاه	زكاه
٥	١٩٤	يحمله	يخلقه	٩	٢١٠	وللسلك	وللملك
٧	١٩٤	فى	فى	٢٣	٢١٠	انقوا	انقوا
٧	١٩٤	غلاته	غفلاته	٣	٢١١	السكينه	السكينة
١٠	١٩٤	اوح	الروح	١٢	٢١١	أسكه	أمكنه
١٢	١٩٤	ومى	مرمى	١٥	٢١٢	وذوا	وذو

صواب	خطأ	ص سطر	صواب	خطأ	ص سطر
عزيراً	هزيراً	١٦ ٢٤٤	عبد	عبد	٢٢ ٢٤٤
صبروا	صروا	١ ٢٤٥	لتصنع	لصنع	١٩ ٢٤٥
المخافتات	المخفات	٥ ٢٤٥	اختلفت	اختلفت	١٢ ٢٤٦
واسغ	واسغ	١١ ٢٤٦	مقام	مقام	١٥ ٢٤٨
الشكر	الشكر	٧ ٢٤٧	الائثنية	الائثنية	٨ ٢٤٣
فتوكروا	فوكروا	١ ٢٤٨	فقال	فقال	٢٠ ٢٢٣
لطف	لف	١٠ ٢٤٨	الحيوانى	الحيوانى	٧ ٢٢٦
الغناء	الغناء	٨ ٢٥١	الزوب	الزوب	٧ ٢٢٩
والميثاق	رايثق	٦ ٢٥٢	فتوبوا	فتوبوا	٩ ٢٢٩
استسعار	استسعار	٧ ٢٥٢	أرائك	أرائك	١٨ ٢٢٩
يباعونك	يباعونك	١٣ ٢٥٤	الزائد	الزائد	٦ ٢٢٣
أهل	هل	٨ ٢٥٨	واذلة الحائمه	واذلة الحائمه	٢ ٢٢٥
ويشمته	ويشمته	٩ ٢٦٤	اتباع	اتباع	٣ ٢٢٦
تلقيه	تلقيه	٦ ٢٦٩	الخوشن	الخوشن	١ ٢٢٧
مناقضا	مناقضا	٦ ٢٧٠	تطمن	تطمن	١٠ ٢٢٧
كالنوة	كالنوة	٤ ٢٧٨	بلغ ذلك	بلغ ذلك	٣ ٢٣٨
الشبابى	الشبابى	٦ ٢٧٩	فيصير المتشبهه	فيصير المتشبهه	١٣ ٢٣٨
ألهى	ألهى	١ ٢٨١	الورع	الورع	٣ ٢٤٠
كذود	كذود	٥ ٢٨١	الزهد	الزهد	٥ ٢٤٠
بالعين	بالعين	١ ٢٨٦	أن القناعة	أن القناعة	٥ ٢٤٠
والصحور	والصحور	١٦ ٢٩٠	تحلى	تحلى	١٠ ٢٤٠
الحاق للحاق	الحاق	٧ ٢٩٦	دابك	دابك	١٠ ٢٤١
م	هما	١٥ ٢٩٨	بدنك	دك	١١ ٢٤١
وحياة شيخهم	وحياة شيخهم	٤ ٣١٢	فأغنى	فأغنى	٧ ٢٤٣
وأخوه	وأخوه	١٧ ٣١٤	بالغداة	بالغداة	١٠ ٢٤٤
الصديقين	الصديق	١٨ ٣١٧	وصاروا	وصاروا	١٤ ٢٤٤







297.04 M29mA

المنوفي

معالم الطريق الى الله .

297.04

M29mA

المنوفى، محمود أبو الغيث
معالم الطريق إلى الله في الجمع بين ا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01005922

7.04
9.4